المحتوى

كلمة

٢ مَن نريدُه وما نريدُه منه - جورج مغامس

مَداراتُ الجامعة

٤ قدّاس البداية
٦ التّخريج ١٧
٢٠ مؤتمر مريميّ
٢١ طاولة حول الطاقة
٢٤ العلاقات اللبنانيّة الصينيّة
٢٧ أدباء من الشمال
منى جبّور - د. لطيف زيتوني
جورج يمّين - د. زهيدة درويش جبّور
٣٤ العمل الرعويّ الجامعيّ
٣٧ تحيّة لجان فارس

الهُم هو الهَمّ.
أي إنّ ضميرَ الغائب الهُم هو علّةُ ضَيْرِ الحاضر الهَمّ. فإذا أنتَ واجهتَ زيدًا أو عَمروًا بحقيقةٍ أو واقعٍ ما، ورأى أنْ لا سبيلَ له إلى المدافعةِ والمحاجّة، سارعَ إلى الهُم يُخفي وراءها وجهَه ويدَيه.
هو يُنكرُ. يَتنكّرُ. يَستنكرُ. يتّهمُ ويَرجمُ وكأنّه بلا خطيئة... كأنّه ليس من الهُم.
فللّه ما أشقانا بهذا الهُم. لا يُورثُنا إلاّ الهَمّ!
أَما آنَ لنا أن نكونَ على قَدْرِ المسؤوليّة في أقوالنا وأفعالنا، في أيٍّ من شؤوننا الخاصّة أو العامّة، إزاءَ ما نريدُه وما لا نريدُه مِمّا يَنفعُ ويَضرّ، في ضوءِ أنوارِ العقلِ والقلب؟!

التّحرير

كانون الأوّل ٢٠٠٧ | عدد ٤١

وجوه

٤٠ البطريرك بولس مسعد - الأب بولس صفير

مباحث

٥٠ صلاح لبكي في ملفّ
٥٠ سهيل مطر
٥١ د. جورج طراد
٥٣ د. منيف موسى
٥٧ د. ديزيريه سقّال
٦٣ د. أنطوان شكيبان
٦٧ د. وجيه فانوس
٧١ د. متري بولس
٧٥ الوزير إدمون رزق
٧٧ د. دياب يونس
٧٩ النقيب عصام كرم

مقالات

٨٠ لتكن الجامعة جامعة - الأب بشاره الخوري
٨٢ الاحتباس الحراريّ - د. حسن الشريف
٨٤ السلام - الأمّ مونيك كيروز
٨٦ أناشيد الشعوب القديمة - د. أنطوان صفير
٨٨ جدار تلو جدار - الطالب وسام قسطنطين
٩٠ بين بيتهوفن والزبّال - الطالب أحمد قرقناوي

شعريّات

٩١ صنّين الأرجوان - د. أمين أ. الرّيحاني
٩٢ عيد آخر - عيدٌ مجيد - د. وديعة-نبال الأميوني
٩٢ وطني - د. يوسف عاد

مراجعات

٩٣ القدّيسة ريتا للأب فادي بو شبل
٩٥ ألحان الكروم للدكتور منصور عيد - د. عصام الحوراني

٩٨ من منشوراتنا

ndu spirit

NDU Spirit دوريّة حول
علامات الحياة في عالم
جامعة سيّدة اللويزة

هاتف: ٢١٨٩٥٠(٠٩) - مقسّم: ٢٤٧٧
فاكس: ٢٢٤٨٠٣ (٠٩)
بريد الكترونيّ: nduspirit@ndu.edu.lb
موقع الكترونيّ:
www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

رئيس التّحرير
جورج مغامس
التّحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر
تَتَبُّع أَنشطة
غادة معوّض
تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب
تصوير
عبدو بجّاني
تصميم وإخراج
تكنوپوب
طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

جورج مغامس

مَن نريدُه وما نريدُه منه

إذا كان لبنانُ وطنًا نهائيًّا للجميع، وإذا كان نهائيًّا أنّ لبنانَ يكونُ واحدًا أو لا يكون، فإنّ من النهائيِّ بالتالي أن نَزِنَ كلامَنا وسلوكَنا بميزانِ التوازن، ونَنظرَ في ما يوافقُ ويَصِحُّ أن يكونَ من طبيعةِ التسوياتِ الفاضلة. أمّا المبدئيّاتُ الطَرفيّة فتَرفُ من طراز «في انتظار غودو»... محطّةٌ بلا قطار، قطارٌ بلا سكّة!

اشتُهرت شعوبُ بحرِ الحضاراتِ القديمة بفكرها الوسَطيّ، أي المتوازنِ التَوفيقيّ التَسوويّ؛ ونحن منها.
فمثلَها إذًا، كلَّ مرّةٍ نَخرجُ فيها عن هذا المَدار، نَحترقُ احتراقَ النيازك!

والأحلامُ والطموحاتُ والرؤى؟!- يقولُ قائل.

وهل هذه لتتحقّقَ كلُّها بكاملها وفورًا؟!

أما هي إلاّ آفاقٌ وأهداف، فيها ونحوَها نَسعى بخطىً وئيدةٍ أو حثيثة، وفاقَ معطياتٍ موضوعيّةٍ ديناميّة، تتيحُ خططَ عملٍ متينةً ومرنة، هي هي السياسةُ التي تَحكمُ العلاقاتِ والمصالحَ من أدناها إلى أعلاها، بل إدارةُ الشأنِ العامّ أو الخدمةُ العامّة؟!

فلعلَّ معادلةَ «نسبيّة الامكانيّة» هي إذًا ما يُبنى عليها مُقتضاها!

أمّا معاندةُ الواقعِ والتوقّعِ ومغالبةُ الأقدار، من دون اجتراحِ وَسائطَ حيويّةٍ جامعةٍ نافذةٍ آمنة، فممّا يُودي إلى أيِّما نوعٍ من أنواع الموت.

فالخيالُ وَهَمٌ بلا جذورٍ ولو في الهواء، والبطولةُ خرافةٌ بلا بصَماتٍ ولو على الماء.

ومَن يَحسبُ نفسَه مسؤولاً في الناس، عليه أن يكونَ بصيرًا خبيرًا جديرًا قديرًا، فلا يَحشرَ نفسَه ويَحشرَهم على شَفيرٍ أو أمامَ جدار، ولا يكبّدَ نفسَه ويكبّدَهم الخسائرَ والمرارات، ولا يَحرمَ نفسَه ويَحرمَهم جوازَ العبورِ والإقامةِ بطمأنينةٍ وفاعليّةٍ وَسَطَ مكوِّناتِ الوطن وفي مِلءِ المستقبل.

المسؤولُ في ناسه، لا يغرّرُ بهم ولا يَغدرُ ولا يغامر؛ بل يَبني وينمّي ويَحمي ويقوّي ويقودُ مشاعرَ العزّةِ الوطنيّة والكرامةِ الانسانيّة ومقوّماتِها المبدئيّةَ والعمليّةَ في آنٍ، في ضوءِ الواقعِ والمرتجى، وبكثيرٍ من الايمانِ والترسّل.

هذا المسؤولُ الحالمُ /العاقلُ، الحازمُ/ العادل، القارئُ في المعطياتِ والإمكاناتِ والمعلوماتِ والتوقّعاتِ والتحالفاتِ والتحوّلات، العاملُ بأمانةٍ ومثابرة على تأليفِ القلوب وتأليبِ العقول وتوحيدِ الجهود في حركةٍ حضاريّةٍ نهضويّة حدودُها الابداعُ والاختراعُ والأصالةُ والانتماء...
هذا المسؤولُ هو مَن نريدُه رئيسًا لنا وعلينا.

ومَن نريدُه رئيسًا لنا وعلينا، نريدُ منه:

أن لا يَحملَ السلّمَ بالعَرض بين جماهير لبنان؛ بل مركوزًا إلى المنصّةِ التي يجبُ أن تكونَ عليها جمهوريّةُ لبنان.

أن لا يَحملَ السلّمَ بالعَرضِ بين مصالحِ دولِ المنطقةِ والعالم؛ بل مركوزًا إلى المنصّةِ التي يجبُ أن تكونَ لمصلحةِ دولةِ لبنان.

نريدُ الرئيسَ الذي يَرُدُّ الاعتبارَ لأرضِنا وقيمِنا وهويّتِنا ورسالتِنا التاريخيّة.. ولن يَقوى على ذلك ما لم يَتقوَّ بجميعِنا.

أن لا يعلنَ شيئًا ويُضمرَ آخر، ويَعدَ بشيءٍ ويُقدِمَ على آخر، ويدّعيَ ما ليس فيه ولا في مستطاعه؛ بل يَصدقُ ويلتزمُ ويصارح.

أن لا يوظّفَ وظيفتَه لمآربه ومآربِ خاصّتِه، ويسلّطَ سُلطتَه على مناوئيه ومنافسيه ومنتقديه في مقارباته وأداءاته؛ بل ينأى عن كلِّ شُبهةٍ وسيّئة، ويَعِفُّ عن أَثَرةٍ وظلامةٍ وافتئات.

أن لا يُعميَه مديحٌ زائف، ولا يَتعامى عن حقٍّ وحقيقة؛ بل يَعملُ إلى ما في انتظاراتِ الناس من أمنٍ وأمان، وخبزٍ وماءٍ وكهرباء، وعملٍ ودواءٍ واستشفاء، ومَقعدٍ في مدرسةٍ جادّةٍ وجامعةٍ معاصرة، ودروبٍ سَهلةٍ مُسَهِّلةٍ وشبكاتِ اتّصال.

أن لا يميّزَ بين طائفةٍ وطائفة، ومنطقةٍ ومنطقة، وجنسٍ وآخر، وعُمرٍ وآخر؛ بل يُعنى بالجميع ويعاملُهم كواحدٍ من أهل دينِه وبيتِه، ويَخافُ اللهَ فيهم وفي صوتِ الضمير.

أن لا يَستهينَ بقُدرةِ الشبابِ ودورهم في التجديدِ والتغيير؛ بل يحفّزُهم ويحرّضُهم ويشرّعُ لهم الأبوابَ في ما هو يوطّدُ حاضرَهم ويؤسّسُ لمستقبلِهم، ويحوّلُهم عمّن وعمّا يَحولون ويَحولُ دون أمانيهم وتطلّعاتِهم ويَحملُهم على النقمةِ العبثيّة أو التبعيّةِ المُهينة أو الهجرةِ يأسًا وكفرًا.

أن لا يَستعليَ ويَستحوذَ ويَستقوي ويتصلّب؛ بل يواضعُ ويوادعُ ويَستأزرُ بالمشورةِ الحسنةِ والكلمةِ السَواء.

أن لا يَتسرّعَ فيُخطئ، ولا يتماهلَ فيُهمِل؛ بل يَعملُ بفطنةٍ ومحبّةٍ وفضيلةٍ وثباتٍ وإبداعٍ كأنّه راحلٌ غدًا أو باقٍ أبدًا سَيّان.

أن لا يساومَ ويتنازلَ في ما هو جوهريٌّ للاستقلالِ والاستقرار؛ بل يتماسكُ ويُمسكُ ويتمسّكُ بأزمّةِ حقوقِ الوطن والمواطن في أساسيّاتِ كلِّ حريّةٍ وكرامةٍ وأَوَدِ حياةٍ سياديّةٍ مُستدامة.

أن لا يفرّطَ بدمِ شهيدٍ ومضمونِ شَهادة؛ بل يَشهدُ للسخاءِ في العطاء، وأنَّ البقاءَ الأبقى هو للوطنِ- الرسالة.

أن لا يكونَ إلاّ إبًا مَثلاً ومِثالاً حتّى منتهى الخدمةِ والفداء.

○ | مَن نريدُه رئيسًا لنا وعلينا، لا نريدُه إلاّ هذا الرئيسَ الذي يَرُدُّ الاعتبارَ لأرضِنا وقيمِنا وهويّتِنا ورسالتِنا التاريخيّة. وإنّه لن يَقوى على ذلك، ما لم يَتقوَّ بجميعِنا.

فهل جميعُنا نُجمعُ عليه وعلى ما نريدُه منه؟!

في قدّاس الافتتاح
الأب موسى يُشرك أهلَ الجامعة بهمومه وأحلامه
آملاً في التعاون

على العادة الجارية، افتُتحت السنةُ الجامعيّة بقدّاس. التفّ حول مذبحه أهلُ الجامعة، رافعين صلاةَ الشكر على تجديد اللقاء والدعاء بدوام العمل معًا لجلاء المعارف والمواقف على غير مستوىً وصعيد بما يخدمُ الانسانَ والأوطانَ في مسيرتهم ومصائرهم.

وفي القدّاس، كانت **كلمة** لرئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، جاء فيها:

«إنّ أبي ما يزال يعمل، وأنا أعمل أيضًا».

في مستهلّ حديثه عن علاقته بالآب السماويّ، يعلن يسوع عن أنّ الله الآب الذي صنع السماوات والأرض، والذي خلق الإنسان ما يزال يعمل ويدعو إلى العمل ويشرف على كلّ من يعمل، وأنّ يسوع نفسَه يعمل أيضًا، بحسب إرادة أبيه وعلى مثاله.

إنّها دعوة موجّهة إلى كلّ إنسان مخلوق على صورة الله ليصير على مثاله ويتشارك معه في عمله على مثال إبنه يسوع. إنّها دعوة من معطي الحياة ومحيي الأموات الذي يستحقّ كلّ الإكرام، إلى كلّ مؤمن لتكون له الحياةُ كاملةً.

هذه الدعوة إلى العمل هي دعوة إلى الحياة. فالعمل هو خلق جديد، وكلّ خلق جديد هو حياة ومكافحة للموت. من يعمل هو حيّ، ومن لا يعمل فهو ميت.

أيّها الأحبّاء
رغم الصعاب التي حفلت بها السنة الماضية، فقد استطاعت الجامعة أن تتجاوز العقبات وأن تتابع مسيرتها بإيمان صادق وثقة عالية. وذلك يعود إلى تضامنكم جميعًا معي، ومع إدارة الجامعة، بمختلف قطاعاتها، للوصول إلى ما حقّقناه من نجاحات تظهر قدرة اللبنانيين على الصمود في وجه التحدّيات الأمنيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.

واليوم، إذ نتطلّع إلى سنة جديدة، والأجواء لا تزال ملبّدة، والقلق يعصف بالنفوس، فإنّما نعتمد على إيماننا بالله، وعلى ثقتنا بمجتمعنا الطيّب، وعلى محبّتكم لهذه الجامعة.

إنّ **أرقام القبول والتسجيل** في الجامعة، وهي **في تزايد مستمرّ**، تؤكّد إيمان شعبنا بهذا الوطن، بحيث أنّ الأهل أصرّوا على إبقاء أولادهم، في المدارس والجامعات اللبنانيّة، وكأنّهم اعتادوا الخطر، وتجاوزوا الخوف والتوتّر.

ونحن بدورنا، حاولنا، خلال الصيف، أن نقيّم أعمالنا في السنة المنصرمة، وأن نضع برامجنا وروزنامة العمل لهذه السنة، بكلّ جديّة وثقة، مؤكّدين أنّ مسيرتنا التربويّة الجامعيّة، لا بدّ لها من الانطلاق وتحقيق أهدافها بخدمة هذا الشعب الطيّب وهؤلاء الطلاّب الأعزّاء الذين تُعتبر ثقتهم بنا خير شهادة وأجمل وسام يعلّق على صدورنا. من هنا، أؤكّد لكم ما يلي:

- رغم الأوضاع الاقتصاديّة السيّئة، فقد **حافظنا على الأقساط الجامعيّة**، من دون أيّة زيادة، آخذين بعين الاعتبار أوضاع الأهل الصعبة ومدى معاناتهم الماديّة. إلاّ أنّ ما يقلقنا هو الدَّين المتوجّب على الطلاّب، والذي، رغم ثقله علينا، لم نواجهه بإقصاء الطلاّب المحتاجين عن الجامعة.

- رغم الحالة النفسيّة القائمة، فقد تابعنا في السنة الماضية، مسيرتنا الأكاديميّة؛ والشواهد كثيرة على مدى الرقّي الذي نحقّقه في هذا المجال، بحيث أنّ طلاّبنا يبرزون في حقول الاختصاص والعمل، على أنّهم مميّزون ويتمتّعون بالكفاءة المناسبة. ولهذا، فإنّنا نتابع منهجيّتنا، ونؤكّد على دورنا في الحصول على الاعتماد Accreditation الذي **باشرنا إعداد ملفّاته** منذ السنة الماضية.

- رغم أجواء الانقسامات السياسيّة والاحتقان الذي تخلّفه في النفوس، **فإنّنا نتابع مؤتمراتنا وندواتنا وأبحاثنا**، مؤكّدين على دورنا في تعزيز روح المواطنيّة والحوار واحترام الآخر. وإنّنا نؤكّد لطلاّبنا أنّ حريّتهم مصانة وأفكارهم هي حقّ لهم. إلاّ أنّنا، وبالتعاون معهم، سنقف في وجه كلّ شغب، وكلّ تطرّف، وكلّ عنف، وكلّ نشاط لا يؤدّي إلى الهدف المطلوب.

إنّ إيماننا بدور الأساتذة والموظّفين، بدور العمداء والمديرين، بدور الطلاّب والخرّيجين، دفعنا هذه السنة إلى **إعداد كتيّبات** خاصّة، صدرت منذ أسابيع، وهي **تتناول الحقوق والواجبات** لكلّ العاملين في الجامعة، وتقدّم المعلومات الضروريّة، كي نتجنّب أيّ خطأ أو خطيئة، آملاً من الجميع العودة إلى هذه المراجع والاطّلاع جدّيًا على مضمونها، والعمل بموجبها.

لقد أضفنا هذه السنة إلى مجموعة كليّاتنا، **كليّة جديدة**، نأمل لها النجاح: هي **كليّة التمريض**. وإنّنا نؤكّد على حاجة سوق العمل الى ممرّضات وممرّضين، هنا وفي المنطقة العربيّة المجاورة.

قرّرنا هذه السنة، أن **نقدّم للطلاّب المتفوّقين**، مع مجموعة من المتبرّعين، **منحًا دراسيّة** تعفيهم من الإرهاق الماديّ. آمل من جميع المسؤولين تشجيع الطلاّب وتوجيههم نحو الحصول على هذه المنح.

لقد تمكّنا هذه السنة من إنجاز هذه القاعة الجميلة ومداخلها المميّزة. كما انتهينا جزئيًّا من بناء مركز منامة الطلاّب والطالبات الذي يستقبل بحدود ٥٠٠ طالب.

إنّنا **نتابع دراسة وضع الموظّفين والموظّفات**، وآمل الوصول إلى حلول مفيدة وعادلة في القريب العاجل، بحيث يوضع الموظّف المناسب في المكان المناسب، فلا يشعر بغبن أو بنقصٍ في المساواة.

أيّها الأحبّاء
إنّني، إذ أُشرككم بهمومي وأحلامي، فإنّني آمل منكم كلّ تعاون. فمن دونكم، لم نحصل على هذه السمعة التربويّة المميّزة. ومن دونكم، لم نتمكّن من بناء هذه الجامعة الجميلة. ومن دونكم، لم نكن على مستوى اجتماعيّ أخلاقيّ يجعلنا محطّ ثقة الأهل. كلّكم ساهمتم، وكلّ من موقعه، الأستاذ والموظّف والطالب والخرّيج والأهل. وسنتابع هذه الطريق.

أؤكّد لكم أنّني، وزملائي الرهبان، وبقيادة الرئيس العامّ الأباتي سمعان أبو عبده ومجلس المدبّرين، وبالتعاون مع مجلس الأمناء، سنتابع دراسة كلّ الأوضاع المتعلّقة بالجامعة، ونأمل أن نلبّي جميع الطلبات ونحقّق كلّ الأحلام.

الله يوفّقكم ويحفظكم من كلّ مكروه؛ وصلاتنا أن يجنّبنا الله، بشفاعة أمّنا العذراء، كلّ الحوادث المؤلمة، من اغتيالات وتفجيرات وصراعات، وأن يمنح المسؤولين حكمة الوفاق وروح الإلفة ونبض الديمقراطيّة الحقّة. وكلّ سنة وأنتم بخير.

▼ جانب من المشاركين في القدّاس

▼ الآباء المحتفلون

٩٠٠ وجه وقامة في التخريج ١٧، ١٣ تمّوز ٢٠٠٧

| الأباتي عبده يدعو بالبركة والمساعدة والحماية في وطنٍ لكلّ أبنائه.. وطنٍ للتعدديّة والتشاركيّة.

| الأب موسى يشدّد على الابداع والأخلاق والتأهيل والحياة الروحيّة والوطنيّة

| الحاكم سلامه يوصي بلبيراليّة قوامُها الحريّات الشخصيّة والحريّة الاقتصاديّة والتسامُح المُتبادَل وانتخابات تمثيليّة عامَّة وحكومات تخضع لمحاسبة شفَّافة في ظلِّ قانونٍ عادل وحقوقٍ متساوية للجميع.
ويقول للطلاّب: كونوا أنفسَكم. إتبعوا نداء قلوبكم وروحكم.

في الموسمِ الجديد، موسمِ التخريجِ الجديد، زهت جامعةُ سيّدة اللويزة بتسعمئة وجهٍ وقامة من شبيبتنا، تربّوا على عافيةِ الأيدي البيضاء، وعلى عرقِ الجباهِ الشامخة، والعيونِ الحالمةِ بغدٍ من حريّةٍ وكرامة... وتَشدّدوا بذخائرِ العلم!

ولقد كان ذلك غروبَ ١٣ تمّوز ٢٠٠٧، ساعةَ التسليمِ بين الشمسِ والقمر، ساعةَ عناقِ الأنوار...

في الساعة تلك، تمَّ العرس.

| وخيرُ مدخلٍ إلى العرسِ صلاةٌ.. رفعها الرئيس العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة الأباتي سمعان أبو عبده عن الكلّ للكلّ:

«لا تتشبّهوا بهذهِ الدُّنيا، بَلْ تحوَّلوا بتجَدُّدِ عقولِكم لِتتبيّنوا ما هي مشيئةُ الله» (روما ١٢/٢).

بارِكْ يا ربُّ هذا الحضورَ الفريدَ، وخصوصًا طلاّبَنا الأعِزّاءَ الذين يتخرّجونَ اليومَ، بعْدَ كَدٍّ وتعَبٍ وَجُهدٍ وعمل، وها قد حانَ موعِدُ القِطاف...

بارِكْهُم يا ربُّ قَبْلَ الانْطلاقِ، قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ كلٌّ منهم إلى عَمَلِهِ وعالَمِهِ.

كُنْ دومًا في قلوبهم، إحْفَظْهُم باسمِكَ، أَرْسِلْ روحَكَ عليهم ليكونوا أَشِدّاءَ، أَقْوِياءَ بِكَ في المِحَنِ والصِّعاب.

ها هم ينطلِقونَ اليومَ مُزَوَّدينَ بالشَّهاداتِ والعلومِ والكفاءَات، فتَوِّجْ مَعْرِفَتَهُم بأَنْ يَعْرِفوكَ ويُحِبّوكَ، وَأَعْطِهِمْ "أَنْ يَتَحَوَّلوا بتجدُّدِ عقولِهم" لبناءِ عالَمٍ أَفْضَلَ، وأَنْ يكونوا في هذا العالَمِ مُسْتَمِدّينَ مِنْكَ الأَمَلَ والنّجاحَ، عارفينَ أَنَّهم مخلوقونَ بِفِعْلِ حُبٍّ على صورَتِكَ ومثالِك، وأَنَّهُمْ مُمَيَّزونَ ولا يمكِنُ أَنْ يُسْتَعادَ خلْقُهُمْ من جَديد...

ساعِدْهُمْ يا ربُّ على امتلاكِ المَناعَةِ ضِدَّ المُغرياتِ السَّطحيَّةِ الفارغَةِ، واعضِدْهُم لئلاّ يكونوا سِلَعًا رخيصةً وأَدواتٍ في حسابِ فلانٍ أو فلانٍ من السّياسيّينَ أو الفِئويّينَ أو المُحازبينَ.

أَعْطِهِمْ، يا ربُّ، أَنْ يكونوا، كما خَلَقْتَهُمْ في البدايات، أحرارًا، أسيادَ أَنْفُسِهم غيرَ مُستَزْلِمينَ لأحَدٍ، أصحابَ فِكرٍ وإرادَةٍ وقرار، فيعرفوا أَنَّكَ أنتَ وحدَكَ الحقيقةُ المطلَقَةُ التي تستحِقُّ كُلَّ نِضالٍ وجِهاد...

كُنْ لهُمْ يا ربُّ، المُطْلَقَ في واقِعِهم، مالِئًا قلوبَهم المُتَعَطِّشَةَ للحُبِّ والحياة...

ساعِدْهُم على العيش في وطنٍ هو لكلِّ أبنائِه، وَطنٍ للتَّعَدُّدِيَّةِ والتشارُكيَّةِ، وطَنٍ للإنسانِ للسَّلامِ لِلْجمال...

عَلِّمْهُمْ يا ربُّ بحكمَتِكَ اللامُتناهيةِ أَنْ يَبْتَعِدوا عن التناحُرِ والفئويَّةِ والانقسام، وأَنْ يُدْرِكوا أَنَّ الحِوارَ والكلمةَ هما الطريقُ إلى حضارَةِ التّلاقي والسّلام.

تِلْكَ هِيَ أمانينا، نرفَعُها إليكَ يا ربُّ في مُسْتَهَلِّ هذا الاحتفالِ، بشفاعَةِ مريمَ العذراءِ سيِّدةِ هذا البيتِ وهذهِ الجامعة، ونسألُك أنْ تباركَ عائلاتِ الخِرّيجينَ، آباءَهم وأمَّهاتِهم الذين بذلوا وضَحّوا بالكثيرِ حتى يَبْلُغَ أولادُهُم هذه اللحظاتِ المُفْرِحَةَ التي تُنسي وتُعَوِّضُ كُلَّ هَمٍّ وتَعَبٍ.

بارِكْ هذهِ الجامعةَ وأُسْرَتَها، واشْمَلْ كُلَّ من عَمِلَ ونشَّأَ وَعَلَّمَ وثَقَّفَ ليكونَ من نُخَرِّجُهُمُ اليومَ رجالَ الغَدِ ونساءَه، مناراتِ عِلْمٍ ومعرفَةٍ وإيمانٍ، فيتبيَّنوا مشيئتكَ ويَعْرِفوا أَنَّكَ أنتَ وحدَكَ يا الله الخيرُ والحقيقةُ والجمالُ. آمين.

ثمّ | استهلّ المدير العامّ للعلاقات العامّة الأستاذ **سهيل مطر** ترحيبَه منشدًا:

إرفعْ جبينَك، قُلْ: في القلبِ يا وطنُ
وجيشَ لبنان حيّي، أيّها الزمنُ
ومن شَمالِ بلادي خُذْ دروسَ فدىً
وفي جنوب بلادي زهّرَ الكفنُ
لقد سكبنا بهذي الأرض أنفسَنا
يا طيبَ أنفاسِ مَن في الأرض قد دُفِنوا
مذ كُوّرت هذه الدنيا ونحن هنا
وفوق هاماتِنا التاريخُ والدمنُ
نقاومُ الذلَّ لا نحني جبينَ عُلىً
هذي دمانا، فلا بخلٌ ولا ثمنُ

وأنتم اليوم، يا طلّابَ أمّتِنا
تغادرون، فلا حزنٌ ولا شجنُ
تهاجرون؟ كفى، بيروتُ تبقى لنا
مدينةَ النبع، منها تستقي المدنُ
وجوهُكم حُفِرت، أسماؤكم نُقشتْ
عيونُكم ببهاءِ الحبّ تفتتنُ
دقّوا القلوب، اسمعوا أصداءَ لهفتِها
مَن يسكنِ القلبَ لم يُبدلْ له سكنُ

هذي مـدارجُـكـم تَـرقـى ذرىً وعُـلـىً
هذي ملاعـبُـكـم بـالـغـنـجِ تـنسكـنُ
كـتـبتُ أسمـاءكـم بـالضـوء مـفـخـرةً
هـل غـيرُ أسمـائكـم فـي المـجدِ تـنعلـنُ
يـا أصـدقـائـي، بـاسـمِ الأهلِ أعـلـنُـهـا:
كـونـوا الـوفـاءَ لـمن ضـحّـوا لـمن حسنوا
نـحـبُّـكـم حـلـمًا، نـهـواكـم أملاً
لـبـنـانُـنـا أنـتـمُ، لا الـعـنـفُ، لا الـفـتـنُ
هذي شـهـاداتُـكـم بـالـحـبِّ نـكـتـبُـهـا
يـا أرزُ وقّـعْ هـنـا: حُـيّـيت يـا وطـنُ

أهلاً بكم، ومرحبًا في جامعة سيّدة اللويزة ثمانماية طالب، ثمانماية عرس، ثمانماية قبلة.

مئة طالب وطالبة يحملون لون الجبل، بشوفه ودير القمر. وستّون آتون من الشمال، من فرع برسا، مكلّلون بالأرز والزيتون. وستماية، من هنا، من أرض اللويزة في زوق مصبح، وقل:

همُ جيل العلم والحريّة والغضب الواعي.

باسمهم، أرحّب بكم، وباسمهم أقول: غدًا يوم آخر، ولكنّنا لن نقول أبدًا: غدًا وطن آخر. سنبقى هنا. ومهما اسودّت الآفاق وظَلُمت الدنيا، لن ندع جواز السفر ينتصر على بطاقة الهويّة في معركة الانتماء والارتباط بهذه الأرض.

الوطن في خطر؟ هذا هو قدر الأوطان الصعبة والمبدعة والرسوليّة.

سعيد عقل يقول:

من خطر نمضي إلى خطر
ما همّ؟ نحن خُلقنا بيتُنا الخطرُ

والمجد، لا أن نهرب من الخطر، بل أن نتحدّى الخطر... نروّضه... ونبقى.

ويا أيّها الخرّيجون والخرّيجات

أنتم بُناة هذه الجامعة، فجامعتكم صنعت في لبنان، لم يصنعها فرد، مهما بلغ شأنه، بل صنعتها هذه المجموعة من الرهبان والأساتذة والموظّفين وهذه الكوكبة من الطلاّب والخرّيجين... حافظوا عليها، وكونوا لها ومعها.

كلمة أخيرة: لا يمكننا أن ننتصر على الحرب إلاّ بالحبّ.

لا يمكننا أن ننتصر على الموت إلاّ بالفرح.

لا يمكننا أن ننتصر على الجدران إلاّ بالجسور.

كانت سنة صعبة، وانتصرتم، كنتم أنتم الحبّ والفرح وجسور الحوار والتلاقي.

نحن فخورون بكم، ومغفور لكم الشغب والعناد والتمرّد والخطايا البيضاء. ولأنّكم تمشون، أحيانًا، عكس السير، تأكّدوا دائمًا أنّنا نحبّكم وسنبقى نحبّكم.

رئيس الجامعة، **الأب وليد موسى**، الذي سمّى الدورة «دورة الجيش اللبنانيّ»، توقّف عند خمس نقاط دارت على الابداع والقيم والتأهيل والتثقيف الروحيّ والوطنيّ:

أيّها الأصدقاء
أهلاً بكم، وأملي كبير أنّ الفرح الذي يشعّ في عيونكم وفي وجوه هؤلاء الخرّيجين والخرّيجات، سينعكس على الوطن، فتزول الظلمة وتشرق شمس السلام والاستقرار.

قال لي البعض: كيف تجرؤون على الدعوة إلى هذا الاحتفال، وفي هذه الظروف الصعبة؟ ألم يكن من الأفضل أن تلغوا حفل التخرّج؟

كان الجواب: إلغاء حفل التخرّج يُريحنا، ربّما، ولكنّه يعبّر عن استسلامنا للمخطّطات الشرّيرة التي تعصف بهذا الوطن. فالذين خرّبوا الأوضاع والمواسم السياحيّة والاستثمارات الاقتصاديّة، والذين ساهموا في تهجير الناس، ومنعوا المهاجرين من العودة، سيفرحون إن أغلقنا هذه الجامعات، وسيحقّقون غاياتهم إن علّقنا الدراسة في مؤسّساتنا التربويّة، وسيصلون إلى مبتغاهم إن أطفأنا شعلة الفرح في عيون أولادنا. حفل التخرّج، اليوم، هو ردّنا الإيجابيّ، وهو التحدّي لمن يحاول أن يزرع في عيونكم الدمعة واليأس، وأن يدفع بأولادكم إلى الهجرة والاغتراب. يريدون لبنان متّشحًا بالسواد، ونريده زهرة وشجرة وابتسامة وإكليل بياض وأعراس. وأنتم، يا طلّابنا، أنتم اليوم العرس، فمبارك لكم. وباسمكم أؤكّد إيماننا بشعار: شرف، تضحية، وفاء، وأعلن تسمية دورتكم: **دورة الجيش اللبنانيّ**.

أمّا بعد،
وقد انتهت سنة جامعيّة كانت الأصعب، في السنوات الأخيرة، فإنّنا سنعفيكم من كلّ حديث سياسيّ، ومن كلّ المزايدات الوطنيّة، فقد شبعتم حتى الاشمئزاز من هذه الكلمات المكرّرة والخشبيّة والتي تعوّدتم سماعها، والتي بدلاً من أن تؤدّي إلى نهضة الوطن، فهي تؤدّي إلى خرابه ودماره. ألا يوجد بينكم من يقول لهؤلاء: أرجوكم، امتنعوا عن الكلام، فقد خبرنا الصحيح من الخطأ، والصادق من الكذوب، والعميل من الوفيّ المخلص، وما عادت هذه المسرحيّات تعني لنا شيئًا. لهذا، حديثنا الليلة حديث تربويّ ينظر إلى المستقبل، بروح التفاؤل والنجاح.
فنحن في هذه الجامعة، وبعد مضيّ ثلاثين سنة تقريبًا على بدء عملنا الجامعيّ، وعشرين سنة على تأسيس جامعة سيّدة اللويزة، فإنّنا، ونظرًا إلى التطوّرات العالميّة الحديثة، نؤكّد لكم أنّ جامعتكم أصبحت من أوسع الجامعات وأكبرها مساحة وأبنية وتجهيزات حديثة... كما أنّها، بفرعيها، في برسا وفي دير القمر، تساهم في تعميم التعليم الجامعيّ وتخفيف نفقاته، إلى جانب أنّها تمكّنت خلال عمرها القصير، من تحقيق تطوّر كبير ومن تسجيل اسمها بين الجامعات الأكثر نموًّا ورقيًّا، وذلك بفضل أمّنا الرهبانيّة المريميّة الكريمة، وهؤلاء الأساتذة الأبرار والموظّفين الأوفياء. إلاّ أن ذلك لا يجعلنا نستسلم للخدر. دورنا اليوم، أن نجعل، من هذه الجامعة، جامعة متميّزة، بمستواها التربويّ والثقافيّ، وذلك لا يتحقّق إلاّ بخمسة شروط سنعمل عليها:

١. **الإبداع**: يمكن أن تتساوى المناهج، في جميع الجامعات، بعضها ببعض، وكذلك مستوى الأساتذة، وكذلك نوعيّة الطلاّب، إلاّ أنّ تركيزنا سيكون حول إبداع هؤلاء الطلاّب في اختصاصاتهم.
سنعلمهم نحن أن يعلّموا أنفسهم- وهذه هي الرسالة الأولى للتربية- وأن يحوّلوا ذواتهم إلى قدرات إنتاجيّة. ليست العلوم ما ينقصهم، بل كيفيّة جعل هذه العلوم قاعدة لثقافة شخصيّة وإنتاجات مميّزة. وعليه، ستكون، هنالك، هذه السنة منح دراسيّة خاصّة، تُعطى لهؤلاء

الطلاّب المميّزين، وثقوا، لن يكون المال يومًا عائقًا في وجه هؤلاء المجتهدين المبدعين، فإلى اللقاء معهم، في السنة المقبلة، تحت شعار: الإبداع.

٢. القيم والأخلاق: نعاني جميعًا من الاضطرابات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي تنعكس سلبًا على حياة طلاّبنا، وتدفعهم إلى البحث عن اللذّة والراحة في طرق لا تتّفق أحيانًا وتعاليمنا السماويّة والاجتماعيّة، وبذلك يميل الطلاّب إلى أجواء تتناقض مع تقاليدنا وأخلاقنا وتراث عائلاتنا (لامبالاة، سرعة سيّارات، مخدّرات، مشاكل جنسيّة، انعدام الحوار مع الأهل...) معكم، أيّها الأهل، سنعمل هذه السنة، على معالجة كلّ الآفات الأخلاقيّة التي تدفع أولادنا إلى الهجرتين: الهجرة النفسيّة والهجرة المكانيّة، أو تقودهم إلى الانغماس في عادات بشعة، والتلهّي بالسخافات والتفاهات الخارجيّة. نريد أجيالاً مثقّفة حرّة ومواطنين مخلصين وقادة يتمتّعون بالصدق والشجاعة وحريّة الرأي، لا نريد ببغاوات وأتباعًا وسلعًا تشترى بالمال. تعالوا نتحمّل مسؤوليّاتنا في هذا المجال، رغم ما يعترضنا من مناخات مريضة. وإنّني أدعوكم أيّها الأهل إلى إيداعنا ملاحظاتكم واقتراحاتكم بهذا الشأن، ونحن مستعدّون لكلّ حوار بنّاء.

٣. إعداد وتأهيل الأساتذة والموظّفين: حاولنا -وأنتم شهود- ونحاول، اجتذاب مجموعة كبيرة من الأساتذة الأكفياء والموظّفين المدرّبين، إلاّ أنّ ذلك لا يكفي، إن لم ترافقه دورات تأهيليّة تربويّة، تجعل من الأساتذة والموظّفين قيادات فاعلة في العمليّة التربويّة. الدكتوراه عامل مهمّ، ولكن الأهمّ كيفيّة استخدام الدكتوراه في العلاقة بين الأستاذ والطالب. الموظّف المختصّ مهمّ، ولكن الأهمّ كيفيّة تعامل هذا الموظّف مع الطلاّب، بطريقة لائقة محترمة وفعّالة، فلا يكون الموظّف، أحيانًا، آلة فارغة من قدرة التحرّك واستنباط الحلول وتسهيل المعاملات. التربية فنّ، وليست شهادة. الأستاذ فنّان وليس آلةً. الموظّف فنّان وليس جهازًا مبرمجًا. ولذلك، نحن نعمل على تجهيز نفوسنا، كأساتذة وموظّفين، بالقدرات الفعّالة التي تسمح لنا أن نكون في مستوى العصر. ونحن ننادي طلاّبنا إلى معاونتنا في هذا الحقل، وإلى إيداعنا ملاحظاتهم واقتراحاتهم (لا نرى الطلاّب إلاّ في قضايا سياسيّة: تظاهرات، إضرابات... أين هم في القضايا التي تعنيهم، وهي القضايا الأكاديميّة؟)

٤. الأجواء الروحيّة: تعاني مجتمعاتنا الشرقيّة موجة أصوليّة رهيبة، ناتجة عن الجهل والتعصّب وإلغاء الآخر. دورنا كبير في تجهيز طلاّبنا بثقافة دينيّة وروحيّة، تجعلهم قادرين على الحوار وقبول الآخر، والمفاضلة بين المبادئ والمواقف. نعاني كثيرًا من مجازر الجسد، ولكنّنا نعاني أكثر من مجازر الروح. دورنا أن نضيء على هذا الموضوع، وأن نستضيء بآراء المختصّين وتطلّعاتهم. لا شيء

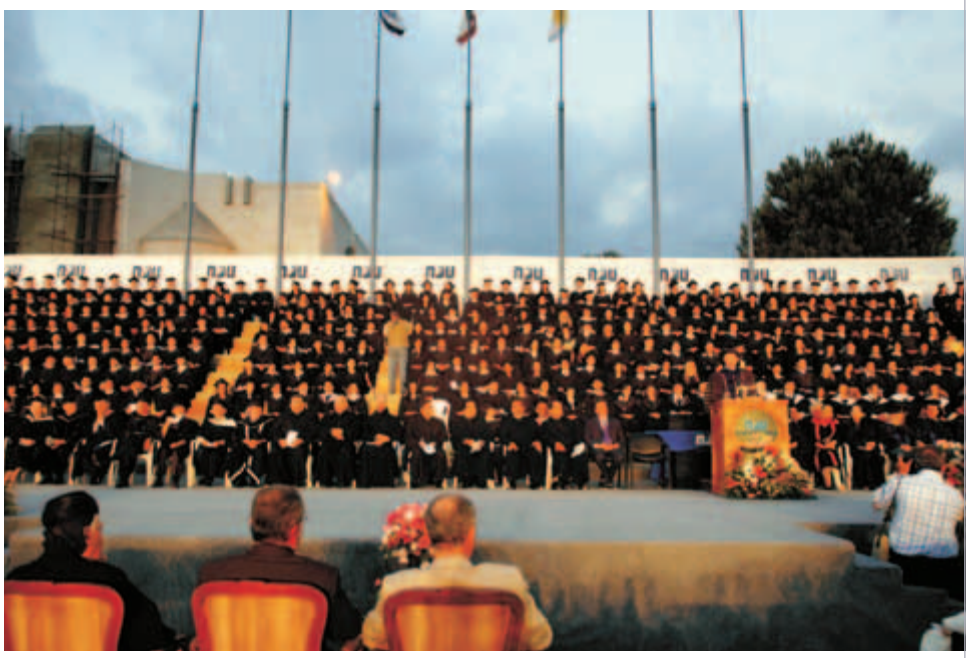

يقضي على الأصوليّة العمياء التي نعاني منها اليوم، إلاّ الثقافة المنفتحة، وهذه لا تتحقّق إلاّ بإنماء الايمان الحقيقيّ لا السطحيّ الفولكلوريّ، من جميع جوانبه، وبالإضاءة على جميع الأديان، بروح المحبّة والتفاهم (نأخذ عبارة واحدة ونبني عليها... فيما المطلوب نظرة شموليّة واسعة...).

٥. الأجواء الوطنيّة: باختصار، أقول: العمل الوطنيّ هدفنا، وسنعمل من أجل توجيه طلاّبنا وتسليحهم بثقافة وطنيّة شاملة، ولن نرتكب خطأ بمنع طلاّبنا من أيّ عمل وطنيّ شريف (نحن الجامعة الأكثر نشاطًا في الشأن العامّ وفي الثقافة المنفتحة على العالم). إلاّ أنّنا، وبالوضوح ذاته، سنمنع، بالتوافق مع هؤلاء الطلاّب، أيّ صراع سياسيّ في الجامعة، وأيّة خلايا صغيرة، وأيّة نشاطات حزبيّة أو مذهبيّة. نعم للوطن، لا للعمل السياسيّ المنحرف... وأرجو أن يكون ذلك واضحًا وصريحًا.

أيّها الأصدقاء
بحكم مسؤوليّاتنا الجامعيّة، سنتصرّف بمحبّة، وسنتّخذ من هذا الرجل الألمعيّ، الدكتور رياض سلامة، نموذجًا لعملنا؛ فهذا الرجل مؤمن بالوطن، كافر بالعمل السياسيّ وانحرافاته البشعة، ولهذا استطاع أن يحمي مصرف لبنان والنقد اللبنانيّ، فشكرًا له، وأهلاً به. وتمنّياتنا، يا سعادة الحاكم، أن تعطينا درسًا، مجّانًا أو مدفوعًا، لا فرق في هذه الجامعة، في كيفيّة صيانة لبنان، وإدارته، بحيث لا يسقط عند كلّ مأزق أو منعطف.

أمّا أنتم أيّها الأهل، فألف شكر، لقد ضحّيتم كثيرًا ووجدتم. مبارك لكم عرق الجبين وثمرة الجهاد!

وتحيّة تقدير لكم، قدس الأب العامّ سمعان بو عبدو، ومجلس المدبّرين، وإخوتي الرهبان العاملين معي في الجامعة، والمسؤولين الاداريين، والعمداء والأساتذة والموظّفين، ومجلس الأمناء ورابطة الأصدقاء.

أمّا أنتم، طلاّبنا الأعزّاء، أيّها الخرّيجون والخرّيجات، فستبقى هذه الجامعة أمًّا لكم تفتح ذراعيها لتستقبلكم. إنطلقوا إلى الأمام، لا تخافوا، ومبروكة لكم الشهادات والله يوفّقكم، برعاية مريم العذراء، شفيعة هذه الجامعة، ويحميكم من كلّ شرّ، ويحمي لبنان. عشتم وعاش لبنان.

أمّا خطيب الاحتفال، حاكم مصرف لبنان، **د. رياض سلامه**، فأوصى ممّا تعلّم من خبرته أنّ الليبراليّة تقوم على ستّة مبادئ أساسيّة: الحُريَّات الشخصيَّة، الحُريَّة الاقتصاديَّة، التسامُح المُتبادَل، انتخابات تمثيليّة عامَّة، حكومات تخضع لمُحاسبة شفَّافة في ظلِّ قانونٍ عال، وحقوق متساوية للجميع.

عِندما شرَّفتْني إدارةُ الجامعة بطلبِ التوجُّهِ بكلمةٍ إلى خرِّيجيها للعام ٢٠٠٧ وبعد ٢٠ عامًا على تأسيسها، وجدْتُ نفسي أمامَ مُعضِلة.

لقدْ واجهَتْني عِدَّةُ أسئِلةٍ وأنا أنظرُ إلى ورقتي البيضاء أحاولُ أن أخُط كلِماتي.

- فكيف لِشخصيّةٍ مسؤولةٍ أن تخاطبَ خرّيجي العام ٢٠٠٧، وهي الدفعة السابعة عشرة في تاريخ جامعتكم في خِضمِّ هذه الأوقات العصيبة التي يمرُّ بها وطنُنا؟
- وأيَّ كلام يقول؟
- هل له أن يعكسَ هذا الطّيفِ مِنَ النّشاؤمِ الذي يحيطُ بنا؟
- هل له، مِن أجل المُحافظة على المعنويّات، أن يرسُمَ صورةً ملوّنة مِثاليّة وشاعريّة، بينما في الحقيقة تفتقِدُ للواقعيَّة؟
- هل له أن يتجنّبَ كلَّ المواضيع التي تُثيرُ الجَدَلَ والخِلاف، وأن يتكلّم بالعُموميَّات فقط؟
- أو أن يتحدّثَ عن أحلامه وتطلّعاتِه، ولو انطبقت عليه تُهَمُ «المثاليِّ السّاذج؟»

وهنا توقّفتُ مُتسائلاً: هل الرؤيةُ هي بالضَّرورة من المثاليّات؟

- هل الرؤيةُ مُتناقِضةٌ في الواقع، مع العقلانيّة في عالمِنا الحاضر؟ عالمٌ مُتضاربُ الآراء، مُتعصِّبٌ، فاقدٌ للثقة، قاتلٌ، في حالة حرب دائمة.

وإذ أفكّرُ بالحكايةِ التقليديّةِ للكأس ذات النِّصفِ الفارغ والنِّصفِ الملآن، أتساءل:

- ماذا لو نظرنا جميعًا إلى الكأس ذاتها، كلٌّ من وُجهةِ نظرِه الخاصّة؟
- ماذا لو أبصَرْنا الجانبَ الفارغَ من هذه الكأس من دون أن نتجاهلَه، وفي الوقتِ عينِه نظرْنا إلى الجانبِ الملآن وحاولنا الاستفادةَ منه بأكبرِ قدْرٍ مُمكن؟

أشغَلُ منصب حاكم مصرف لبنان منذ أربعة عشرَ عامًا، ولا زلْتُ أحاولُ أن أنظُرَ يوميًّا إلى تلك الكأس بشكلٍ مختلف، حيث أراها إذا امتلأَت، من دون أن تَقِرَّ عيني، مُحاولاً أن أتمسَّكَ قدْرَ استِطاعتي بامتلائِها إلى الشفة، وأحاولُ بكلِّ ما أوتيتُ من قوّةٍ وعزْم أن أملأَ جانبَها الفارغ في الأيّامِ العِجاف.

لم يَخْلُ يومٌ من الأربع عشرة سنةً المُنصرمة مِنَ التحدِّيات الجِسام. فنحن نعيشُ في خِضَمِّ أزمةٍ سياسيّةٍ شبهِ دائمةٍ، وقد مرَّت علينا حروب، وأعْيَتْنا الاحْتِلالاتُ المُتعدِّدةُ الأشكال والوجوه، داهمتنا موجةٌ تاريخيّة لا نظيرَ لها من الاغتيالات السياسيّة. لقد تعرَّضَتْ بُنيتُنا التحتيَّة ومصانِعُنا لِشتّى أنواع التدمير من قِبل اسرائيل، وفي كلِّ يومٍ جديدٍ تُقدَّمُ دِماءُ الأبطالِ من جيشِنا الباسِل على مذبحِ الشهادة. ولكنّنا، وبالرّغمِ من كلِّ ذلك، صَمَدْنا هنا في هذا الوطن.

عملتُنا مُستقِرّة. وكذلك مُعدَّلاتُ التضَخُّم عندنا. وأسعارُ الفائِدَة ومُستوياتُها مُتناسِبةٌ بالمُقارنة معَ غيرنا من الأسواقِ العالميَّةِ الناشِئة التي تتمتَّعُ ببيئةٍ سياسيّةٍ أقلَّ اهْتِزازًا وتوتّرًا بما لا يقبل المقارنةَ مع بيئتِنا. وأخيرًا وليس آخرًا، استطعنا المُحافظةَ على قُدرة عملتِنا الشرائيّة ما مكّننا من الحفاظِ على مُستوى المعيشة لمواطنينا. وقد جرى كلُّ ذلك في ظلِّ إنفاقٍ عامّ قياسيّ أدّى إلى تراكم للدين العامّ وصولَ إلى ضُعْفِ حجمِ الاقتصادِ الوطنيّ، أي إلى ضُعفِ مجموع إنتاج كلّ لبنانيّ من السلع والخدمات! ورَغمَ ذلِك، فقد عكسَ المصرف المركزيّ عَبْرَ نشاطاتِه المُختلفة مِصْداقيّة كبرى جعلت المجتمعَين الدُّوليّ والمحليّ يتناسيان هذا الدين. إنّ قطاعَنا المصرفيّ يُشكّلُ أحَدَ أكثر القِطاعات المصرفيّة حيويَّةً ومِصداقيّةً في العالمِ أجْمَع، ويبلغُ حجمُه ثلاثة أضعاف حجمِ الاقتصادِ العامّ، كما أنّ ودائعَه بلغت مستوىً قياسيًّا وسْطَ كلّ هذا التخبُّطِ السّياسيّ والأمنيّ.

لقد حقّقنا كلَّ ذلك عَبْرَ النَّظر، يوميًّا، إلى النصفِ الفارغ من الكأس، كلٌّ واحدٍ منّا، من خِلال العمل الحثيث في مصانِعِنا ومحالِّنا التجاريّة ومكاتبِنا وسيّاراتِنا وبيوتِنا ومدارسِنا وجامعاتِنا، لقد حقّقنا كلَّ ذلك بعدم الإفساح للمجال أمام الإحباط، بجعل قنوطِنا وهواجسِنا وقودًا لأحلامِنا وجسرَ عبورٍ لآمالنا ومُستقبلنا، بدلاً من كسرِ عزيمتنا ودَحْرِ أهدافِنا.

جُلَّ ما نفتقِدُه اليوم هو رجال ونساءٌ يتمتّعونَ برؤيةٍ واضحةٍ في كلّ قطاعٍ من قِطاعات مُجتمعِنا وفي كلِّ بُقعةٍ من بقاعِ وطنِنا. ولكنَّهُم ها هنا. فكيف للّذي يَجِدُ في نفسِه العزْمَ والقُوّةَ لِيملأَ نِصْفَ الكأس الفارغة كلَّ يوم، ألاّ يستطيعُ إخراجَنا من المُستنقع إلى آفاقٍ رَحْبةٍ مُباركةٍ من النموِّ والازدهار والرِّفعة؟

نحنُ مأخوذونَ بصراعات الآخرين اليوميّة والعبثيّة على أرضِنا، كما ندفعُ في كلِّ يومٍ ثمنَ تسليم مقدَّراتِنا وطاقاتِنا ومواهبنا لآخرين نذروا إرادتَهُم لِقِوىً خارجيّة.

إنّه الوقتُ للوقوفِ والعملِ لِمَصْلحةِ وطنِنا، أي لمَصْلحتِنا مُجتمِعين.

علينا أن نفعل ذلك كلَّ يوم، وكلٌّ منّا من موقعه الخاصّ، عَبْرَ التحلّي بالمسؤوليّة بأكبرِ قدرٍ مُمكن من الالتزام والتفاني، من دونِ أنْ نسْمَحَ للخوفِ واليأس من التسلّل إلينا أو السّيطرة علينا. ففي وسَطِ الحربِ والدَّمارِ كنّا في مصرف لبنان نفكّرُ في إعادةِ الإعمار. وفي خِضَمِّ المخاوفِ التي واجهت القطاعَ المصرفيّ بسبب الأوضاع، شرعنا إلى دعمِ توسُّعِ القطاع خارجَ لبنان من دون المساس بصَلابةِ هيكله من الداخل.

لقد أطلق لبنان التحضيراتِ لمؤتمر باريس للدُّول والمؤسّسات الدُّوليّة المانِحة وسْط الحِصارِ المُحْكَم حيث واجهتِ البلادُ مخاطِرَ فُقْدانَ كلِّ مُسْتلزماتِها الحيويَّة من غذاءٍ ومحروقاتٍ وسِواهُما، ولكنّنا تمسَّكنا بإبقاءِ الشُّعلةِ مُضاءةً وكنّا نفكّرُ بكيفيّةِ النُّهوض من تحت الرَّماد لنُعيدَ البناء حالما تسْكُتُ المدافع.

علينا أن نستمِرَّ منبعًا للإنجازاتِ الحضاريّة ومِثالاً يُحْتَذى في الإبداع والتطوُّر وخلق الثرَوات والفُرَص على الرَّغم منَ فشلِ القِوى والعوامل التي تقوم عادةً بذلك.

إنّني أتطلَّعُ إلى كلِّ واحدٍ منكم، وكلّي أملٌ بأنّكم سَتحْذونَ هذا الحَذو. أنتم الآن على مشارف توديع الجنَّةِ الأكاديميّة والدُّخول في الحياةِ العمليّة، حياةِ المسؤوليّاتِ والتنافس والعملِ الجادّ. تذكّروا أن يكونَ بلدُكم في صُلْبِ مَسؤوليّاتِكم وأولويّاتِكم. إجْعلوهُ مُستقِرًّا. إجعلوه مُزدهرًا لكي تزدهروا أنتم وعائلاتكم وأولادكم. إبنوا وطنًا يكبُرُ فيه أبناؤكم في بيئةٍ حرّةٍ، آمنةٍ، عادلةٍ، مُتسامحةٍ، نظيفةٍ. أبنوا هذا الوطن لهم. أبنوه بسواعدِكم

وعقولِكم؛ ولكن فوق ذلك كلّه، أبنوه بقلوبكم وأرواحِكم.

حاولَ المصرفُ المركزيّ، وضمن إمكانيّاتِه القانونيّة والماديّة خِلالَ مدة الحرب أن يخفّفَ قَدْرَ المُستطاع منْ وطأةِ الحرب والذيولِ المأساويّةِ التي أصابت الوضعَ الاقتصاديّ، فاتّخذَ عِدَّة إجراءات من أجلِ تسهيل وتشجيع عمليّة إعادة الاعمار وإعادة إنطِلاق المؤسّسات اللبنانيّة، بأحجامها المختلفة.

لقد أصدر مصرفُ لبنان قراراتٍ هَدَفتْ إلى معالجة ديون العملاء الذين تضرّروا مباشرةً أو بشكلٍ غير مباشر، مع عدمِ إمكانيّةِ متابعة أعمالِهم بالتمديد لسنة تاريخ تكوين احتياطيّ عن قسمٍ من الدين غير المغطّى بالمؤونات. كما مكّنَ المصارفَ من تطبيق تدابيرَ خاصّة لهؤلاء المتضرّرين من إعادة تقسيط رصيدِ القروض كما هي مبيّنة في ٢٠٠٦/٧/٣١، وصولاً إلى شطبها لقاءَ تنازلِ الجهةِ المانحة عن هذا الدين بصورةٍ نهائيّة. فقد سمحنا بتخفيضِ ديونِهم بقيمة العقارات والمساهمات عن طريقِ الايفاء بأداءِ العوض إن وُجدَت، وسمحنا بإعادةِ تقسيط رصيدِ هذه الديون التي لا تغطّيها الضمانةُ لمدّةٍ لا تزيد عن عشر سنوات.

كما أنّنا، ودعمًا لاستمرار من أمكنهم ذلك، مدّدنا القروضَ المكفولةَ لسنةٍ إضافيّة وأجلّنا دفعَ المستحقّات الحاليّة لآخر سنة، وأقرّينا منحَ تسهيلات بالحساب الجاري بنسبة ١٠٠ ٪ بدلاً من ٧٠٪ من الرأسمال التشغيليّ.

وقد شملتْ مبادرتُنا التمديدَ وإعادةَ الجدولة لقروض مؤسّسة كفالات مع الاحتفاظِ بالتحفيز المرتبط بهذه القروض وإمكانيّة الإقراض المحليّ للعميل المدين لدى المصارف الدوليّة كالبنك الأوروبيّ للتثمير لكي لا يتخلّفَ عن تسديدِ قروضِه الخارجيّة.

كما أطلقنا هندسةً ماليّةً تسمح بتسديد ٦٠٪ من كلفة إعادة المؤسّسات المدمّرة إلى نشاطها المعتاد، واشترطنا على المصارفِ أن تقدّمَ طلباتِها للاستفادة من هذه الهندسة شاملةً كلّ العملاء المتضرّرين وبدفعةٍ واحدة كما أنّنا حفّزنا استعمالَ الموارِدِ المؤمنة من المؤسّسات الماليّة الدوليّة خلال مؤتمر باريس III بإعفاء المصارف من الاحتياطيّ الإلزاميّ مقابلَ أرصدة القروض المموّلة من الجهاتِ المذكورة ممّا يجعل فائدةَ القرض أقلَّ بـ ١٠٢٪.

إنّ هذه التدابير ساهمت في دعم القطاع الخاصّ من دون إضافةِ مخاطرَ على القطاع المصرفيّ أو إبعادِه عن تطبيقِ معاييرَ بازل II.

إنّ التطوّراتِ السياسيّة والأمنيّة بعد انتهاء حربِ تموّز وآثارها السلبيّة على المؤسّسات التجاريّة والسياحيّة، تتطلّبُ دعمَ الفوائدِ على الرساميل التشغيليّة؛ وهذا ما نبحثه مع الحكومة اللبنانيّة التي نحن بحاجةٍ إلى موافقتها لتحقيقِ ذلك.

أودّ أن أختمَ كلمتي هذه بمُشاركتِكم رؤيتي الخاصّة للمُستقبل باختصارٍ شديد. وكما تعلمون، فالخبرةُ هي تسميةٌ أنيقة نُطلِقُها على مجموع أخطائِنا. وعليه، فإنّني سأتكلّمُ إليكم من خبرتي المتواضِعة.

لقد علّمتني خِبْرتي أنّه لا يمكن لِمُجتمعٍ أن يزدهرَ من دون جُرعةٍ من الليبراليّة، وهي ليستْ بالضّرورة الليبراليّة الصّارمة كما تعلّمْتُموها في صفِّ العلومِ السيّاسيّة، والتي تتنافى مع العدالة الاجتماعيّة، ولكِنّها ليبراليّة ترتكِزُ إلى سِتّةِ مبادئ أساسيّة:

- الحُريّات الشخصيّة، الحُريّة الاقتصاديّة، التسامُح المُتبادَل، انتخابات تمثيليّة عامّة، حكومات تخضع لمُحاسبة شفّافة في ظلِّ قانونٍ عادل، وحقوق مُتساوية للجميع.

هذه المُرتكزات السِّتة يجِب أن تكونَ نِبْراسًا نستنيرُ بهِ في كلِّ

جهودِ الإصلاح في بلادنا. كلٌّ مِنها بحدِّ ذاتِه مُهمّ، ودعوة يتوقّفُ على كلٍّ مِنكم الاجابة عليها. لم يعُدْ أمامنا وقت لِنُضيِّعَه.

كلُّ مشروعٍ نفكّرُ فيه، كلُّ برنامج نرسُمُهُ، كلُّ موازنة نَضَعُها، وكلُّ قانونٍ نُشَرِّعُهُ، يجبُ أن يُحاكَ بنسيج هذه المبادئ. إنّها المفتاحُ والدَّليلُ للإصلاح الحقيقيّ.

ما نهدِفُ إليه في أيّ عمليّةٍ إصلاحيّة هو تأمينُ الاستقرارالاجتماعيّ، تقويةُ الاقتصاد لكي يوفّرَ فرصَ عملٍ ويساهمَ في المحافظة والنموّ على الثروة الوطنيّة.

يجبُ على لبنان أن يتمسّكَ باقتصاد السوق، وأن يحميَه باقرار قواعدالادارة الحكيمة وبالممارسات الشفّافة.

كانت نسبةُ النموّ المتراكم للأعوام ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ والمتوقّعة للعام ٢٠٠٧ ٢٠٪ في الدول العربيّة وكانت تقارب الصفرَ بالمئة في لبنان، أي إنّ بلدَنا يفتقر، وقيمةُ أصولِه على تراجعٍ في زمن اقتصاد المعرفة حيث الموارِدُ البشريّة هي الأساس للنموّ وللاثراء.

إنّ كلّ هذا يتطلّبُ منّا ومنكم، أجيال المستقبل، إعادة حساباتِنا والتحرّكَ للتصحيح.

قال أوسكار وايلد Oscar Wilde، الهجائيّ الشهير، أنّهُ لا يمكِنُ تعليمُ أيّ شيء يستحقُّ المعْرفة وأنّنا نعلّمُ الناس كيف يتذكّرونَ فقط، لكنَّنا لا نعلّمُهُم أبدًا كيف يتطوّرون. دَعوني أخالف بعضًا من هذا الرأي. فقد وَضَعَت هذه المؤسّسة التربويّة العريقة وسائِلَ تحليل رائِدة بين أيديكم، وعلّمتكُم حُسْنَ استعمالِها. إنّا الآن رهنٌ بِكُم لتُحْسِنوا اسْتِغْلالَها لكي تتطوَّروا. ورهنٌ بِكم أيضًا أن تكونوا ناقدين، عادلين، أمناء، خَلوقين، مُتسامِحين، مُنفتحين، صادقين ومُنتجين.

والأهمّ من كلّ ذلك، كونوا أنفُسَكُم.

إتبعوا ما تؤمنونَ به. إتبعوا نِداءَ قلوبِكُم وروحِكُم، فيه تستطيعونَ بناءَ المُستقبل الذي نحلمُ به لبلدنا.

أتمنّى لكم التوفيق والنجاح. باركَكم الله.

وأخيرًا، كانت كلمة لطليع الدورة، خرّيج كليّة الهندسة، **الياس علوان**، ممّا جاء فيها بالعربيّة، بعد أن شكر الجامعة بمختلف مستوياتها على ما أمّنته من عوامل تربية وتعليم تؤهّل لمواجهة المستقبل وتحدّياته، مؤكّدًا العزم على اضطلاع الشباب الخرّيجين بمسؤوليّاتهم في متابعة مسيرة البناء الذاتيّ والانتقال بالوطن إلى مصافّ العزّة والسؤدد، قوله:

على فكرة،
رح خبّرك عن بكرا...
عن قصر حدّ غيوم...
عن كمشة هموم...
يمكن دموع ويمكن رجوع...
ويمكن شي خبر مستعجل ما
صبر...
ويمكن في عيد وحبّ جديد...
ويمكن في فراق ورسايل عتاق..
وورود دبلاني،
عالوطن بكياني...
والأرض عم بتنوح،
بالدم سكراني...
ومن عمق الجروح،
في عيون عم تحلم،
بركي بكرا منفهم
شو صار...وشو كنّا زغار...
وسوا نرجع نبني،
بالعزّ...هالدار!!!

وهذا ثبتٌ بأسماء الخرّيجين: ...

FACULTY OF ARCHITECTURE, ART AND DESIGN

▼ MASTER OF ARTS
Academic Year 2006-2007

▼ DESIGN
PATRICIA GEORGES BARAKAT-EL ASMAR
JOSEPH ANTOINE HADDAD

▼ MASTER OF ARCH IN LANDSCAPE URBANISM
CHADY SEMAAN BTEICH

▼ BACHELOR OF ARTS
Academic Year 2006-2007

▼ BACHELOR OF ARCHITECTURE
** DANIELLE-ELIZABETH SOUHAIL CHATER
** HISHAM BOUTROS DALLEH NIZAR GHATTAS SAAB

▼ GRAPHIC DESIGN
SERGE GHAZI ABDEL NOUR
SARAH NAJIB ABOU KHALED
CHAHID CHARBEL AKOURY AL
JANA OMER AL TOUM
PEDRO PAUL AL-KHAWAJA
NATHALIE JAMIL BADRAN
HAZAR NIDAL BOUDIAB
ZEINA JOSEPH CHIDIAC
WILLIAM VICTOR CHOUKEIR
MONA ADNAN DABAGHI
* RAWAD SHAWKI DALAL
WISSAM ATEF DEBSS
ELIAS NAOUM EL-KOSSAIFY
DIMA ALI FARRAN
* SAMAR FOUAD HADDAD
* CLARIS CHAHID HANNA
* NICOLE NICOLAS JABRE
SERENA MICHEL KHAYRALLAH
CHRISTELLE MAROUN KHRAISH
ARPI SAMUEL KIZIRIAN
* SHIREEN RIAD KLAIB
MARCOS HAGOP MATOSSIAN
* SHEIKH ZAHI SHEIKH GEORGE MEZHER
** WAEL JOSEPH MORCOS
RAWAND ELIAS NASR
LILIANE EDWARD NASSOURA
RAFCA ALEXIS PHARES
ZIAD NADIM RIZKALLAH
MAYA BOUTROS SAAB
GHASSAN GEORGES SALAMEH
SANDRA RENE SARKIS
REGINA MARIO SEMAAN
GEORGES ANTOINE STEPHAN
BRUNA TANIOS TOHME
JESSICA NAJIB TRAD
GIHANE MICHEL YOUSSEF
CAREL EMILE ZAHLAN
** MAYA FARES ZANKOUL

▼ INTERIOR DESIGN
AZIZ JOSEPH ABOU KHALIL
MAYA FRANCOIS AKL
LAYAL ELIAS AL KHAWLY
MARIANA HANNA CHALLITA
SANDRA JIHAD DIA
MIREILLE MOUNIR FAKHRY
* LARA ANWAR HARB
MARIANE SAMI IRANI
MAYSSAA MASSYOUT JABRE
CYNTHIA BOULOS SETT(EL)
CARINE ELIAS YOUSSEF

▼ MUSIC-MUSIMEDIALOGY
* DIANA GHASSAN HADDAD

* Distinction ** High Distinction *** Highest Distinction • General Khalil Kanaan Award

FACULTY OF BUSINESS ADMINISTRATION & ECONOMICS

▼ MASTER OF BUSINESS ADMINISTRATION

Academic Year 2006-2007

MARIANNE GEORGES HAGE

▼ FINANCE

EDGARD HANNA BASSIL
DANY YASSER EID
MICHEL SAMIR HAYECK
NAKHLE MICHEL KADI
NEBRAS MOHAMAD WAHID KHIATA
SHADY IBRAHIM MATAR
NADINE SIMON MEHANNA
ELIAS NICOLAS MOUKAYED
MOUNIR MOUNIR NASRALLAH
JOSIANE JOSEPH RIZK
GILBERT STEPHAN RUSTOM
RABIH JEAN SFEIR

▼ HUMAN RESOURCES MANAGEMENT

ELIE YOUSSEF EL-MIR
DZOVIG AKSOR KASSARDJIAN
DILANA JOSEPH LEBBOS
NABIL BADIH SABER

▼ MANAGEMENT AND STRATEGY

GEORGE JACOB ASHKAR
JOHNNY CHALITA CHAANINE
ZIAD AFFIF DAABOUL
SALIM YOUSSEF EL-AILY
TONY ELIAS JANHO
JAD JEAN KAHWAJI

▼ MARKETING

RONY NICOLAS ABOU SAMRA

▼ MBA-MASTER OF SCIENCE IN INTERNATIONAL BUSINESS

WISSAM RAFIC ABI NASR
MAZEN JEAN AKIKI
FOUAD CHAWKI BITAR
JAD ANTONIOS BOU MERHEB HARB
ZAHI MILAD CHAKER
RANI BADRE EID
RUDY BAHIJ EL HABER
DANIEL ELIAS EL JIZ
LINA ROUKOZ GHOUSSOUB
BERNARD MAJID HATEM
ABEDEL-GHANY MOHAMAD KOUSSA
TONY MANSOUR MANSOUR
RANIA MICHEL NAJEM
RANIA M.TAYSEER YOUSSEF QUBAA
GABY-JABER NICOLAS SALEM
CHARBEL YOUSSEF SEMAAN
CYNTHIA TONY TOHME

▼ BACHELOR OF BUSINESS ADMINISTRATION

Academic Year 2006-2007

DIDIER SAMIR ABBOUD
SARINA RICHARD ABBOUD
CHARBEL GEORGES ABDALLA
* JIHANE ADEL ABI KHALIL
JULIEN JOSEPH ABI KHALIL
JANANE ANTOINE ABI-RJAILY
EDMOND MICHEL ABOU CHACRA
** RACHA SANAA ABOU CHACRA
JEANINE GEORGES ABOU-ABDALLAH
* GUILDA EMILE ABOU-HAMAD
MANAL NASSIR ABOUCHACRA
TALAR BOGHOS AGHYARIAN
HANI FOUAD AJAB
ELIAS KAMAL AKIKI
HANY CHAWKI AKIKI
JACQUES YOUSSEF AKIKI
HOUSSAM ABASS AL ALI
** NADINE WAJIH AL HASSANIEH
* KHOULOUD KAMIL AL TAWEEL
*** MAYA ANTOUN AL-ALAM
* RAWAD IMAD AL-HADDAD
** ROSAIRE WALID AL-HAKIM
RAMI NAJIB AL-HALABI
* TAMARA ANTOINE AMMAR
MAZEN BECHARA AOUN
LUCIE ASSADOUR AROYAN
PERLA GEORGES ATALLAH
GEORGES NABIL AYOUB
** NATHALIE ABDO AZAR
ELIE NASSIB AZZI
GUY TANIOS AZZI
GHADY GHASSAN BAKHOS
MARIO BAKHOS BAKHOS
MARIA MEHRAN BALEKJIAN
SARIA JOSEPH BAROUD
RALPH SEBOUH BASTORMAGI
LODY GEORGES BATAL
NOHRA PIERRE BEAINI
CORINE NAIM BEYLOUNY
*** DONA MARWAN BITAR
RANA YORGO BOGI
IMAD MINEM BOU DAHER
MAHER SAID BOU DIAB
ELIE GABY BOU MOSLEH
RAMY ELIAS BOU RJEILY
CHRISTELLE TONY CHALHOUB
MAGALIE ELIAS CHALHOUB
** JIHANE MICHEL CHAMOUN
NADIM ELIAS CHAMOUN
CHADY NICOLAS CHEHADE
CHANTAL TONI CHEHADE
** NATHALIE CHARLIE CHEMALI
CELINE ANTOINE CHIDIAC
*** NOUHA TONY DAABOUL
MARIA TANIOS DACCACHE
MIREILLE EMILE DAOUD
RIBAL MILAD DEEB
JIHANE MICHEL DIB
VIOLETTE MEHRZ DIB
CESSINE NABIL DIBBO
PIERRE JOSEPH DORLIAN
GHASSAN SAYED DOUEIHY
** MARIO ANTOINE EDDE
HANADY EMILE EID
SAID SAMIR EID EL BOUSTANY
KAREN NAJI EL BOUEZ
AMER MOUNZER EL HAGE YOUSSEF
MIRNA JOSEPH EL HAJJ
ALAIN GERGES EL HELOU
** DORIS ANTOINE EL KHOURY
MANAL FAOUZI EL MATNI
RAMY MERHEF EL MIR
NADINE TALAL EL ZEIN
GRACE ANTOINE EL-CHAYEB
WALEED ANTOINE EL-HELOU
KHALIL MICHEL EL-KHOURI
ANTOINE HANNA EL-KHOURY
CHARBEL EDMOND EL-KHOURY
JESSY EDMOND EL-KHOURY
ELIE NAIM EL-SAYAH
SERENA FADY EL-ZIEN
* CHRISTELLE MAROUN ESTEPHAN
WISSAM KAMAL FARRAN
GHALEB HANNA FRANGIEH
SIMON NABIL FREM
FARID SAMIR GEBARA
HADI WAJDI GEBRAN
CHRISTIANE GEORGE GEHA
CHIMENE ANTOINE GERGES
LARA EDGARD GHALEB
ALAN WADIH GHALI
FATEN AHMAD GHANEM
GHENA MAHMOUD GHANEM
RAMI HABIB GHARIOS
RANA ELIAS HABIB
AMINE JOHN HACHEM
JOSEPH NABIL HADDAD
JOY GHASSAN HAGE
NAYLA NAZIH HAJJAR
* BAHAA FOAD HAMADI
* CHRISTELLE HANNA HANNA
CLARA MANSOUR HANNA
*** LAYAL NAZIR HAWI
PATRICIA ISKANDAR ISKANDAR
GEORGE GERGES ISSA
MADLEN ANIS JAAFAR
ROGER ROGER JABBOUR
* SAMER NABIL JABER
FADI GEORGE JARROUJE
CARLA ASSAAD KANAAN
* SABINE GHASSAN KARAM
* JULIET RAJA KERBAJ
MICHEL JOSEPH KHADIJ
GHASSAN CHARBEL KHALIL
NATHALIE ALBERTO KHALIL
*** SANDRA FADI KHALIL
BACHIR ABDO KHATER
MARIE-LOUISE ABDO KHATER
* ALEXANDRA JOSEPH KHOURY
LEA MICHEL KHOURY
SANDRA ABDALLAH KHOURY
ZEINA KHALIL KHOURY
CHARBEL NABIL KIWAN
NAGHAM HAFEZ KLEIB
NADINE MOUNIR LAMEH
*** HALA BADIH MAALOUF
MARK HENRY MAKSO
* JAD ASSAAD MALEK
GISCARD CHARBEL MAROUN
DAVID GEORGES MASSAAD
NABIL MANSOUR MASSOUD
WAEL SAMER MASSOUD
** LARA LEBA MERHEB
RAGHED JOSEPH MERHEB
NATHALIO ANTOINE MERHI
MAYA DIB MITRI
PAOLA PIERRE MOKBEL
ANGELA ANTOINE MORENO
ANTOUN GHAZY MOUAWAD
JOYCE SAYED MOUAWAD
SERGE MICHEL MOUAWAD
MARC ABDO MOUBARAK
MAROUN HANNA MOUSSA
ELIE MOUSSALLEM MOUSSALLEM
EVELYNE SOUHEIL NAMMOUR
NAJI GEORGE NAMMOUR
HILDA ADIB NASR
*** LINDA ZOUHAIR NASR
ROMY GABY NASR
* TONI NASR NASR
CENDRELLA NAOUM NEHME
MICHEL NICOLAS NICOLAS
** DIANA TAREK NOURALLAH
LILIANE HASSIB RABAH
* CAROLE ELIE RAHME
MICHEL IZZAT RASHED
** RABIH NADIM RAYDAN
RANDY KALIM RIZK
JOE JOSEPH SAAB
** CYNTHIA GEORGES SAADE
JENNIFER JOSEPH SAADE
** MARWA FOUAD SALAH EDDINE
CARLOS JOSEPH SALAMEH
ZIAD ELIAS SALAMEH
TANIA GEORGE SALAMOUN
GUILAINE RAYMOND SALIBA
MIA FRANCOIS SAMAHA
JESSICA LABIB SAMMOUR
LARA SAMIR SEBAALY
RANA SAAD SEBAALY
* MIA RAYMOND SEIF EL DAHAN
FADI ADIB SEMAAN
RIAD GHASSAN SEMAAN
DANIEL ROBERT SEMERJIAN
RITA TOUFIC SFEIR
RAMI SHIBLY SHAYYA
RITA CHAWKAT SOLOMON
SOLANGE JOSEPH SROUR
SANDRINE CESAR TADROSS
ASSAAD FAWAZ TARABAY
** EDMOND ELIE TAYOUN
CHADY NABIL TEENY
TALINE VAROUJAN TELFEYAN
GRACE ABDALLAH TRABOULSI
* MARIA HARETH WAKIM
NASSIF ADEL WAKIM
SAAD YOUSSEF YAMMINE
* JINANE JOSEPH ZAIDAN
ELIE ANTOINE ZEIDAN
EDWARD ELIAS ZEIDAN-LAHOUD
SARAH WALID ZEINEDDINE
ELIE KHALIL ZOGHBY
*** ALAIN EDOUARD ZREIK
ELIAS BOUTROS ZREIK

FACULTY OF ENGINEERING

▼ BACHELOR OF ENGINEERING

Academic Year 2006-2007

▼ CIVIL ENGINEERING

MOUHAMAD WASSIM MOUHAMAD
RADWAN ABDUL-HAY
* CHARBEL ELIAS CHAAYA
* JEAN RIAD HAJJE
MARWAN YAACOUB KORAB
TOUFIC ELIAS SAADE
** ASSAAD SAMIR SAHYOUN

▼ COMPUTER & COMMUNICATION ENGINEERING

CHADI ELIE ABBOUD
DALIA ADNAN ABDEL SAMAD
HIBA ANWAR ABDEL SAMAD
* COSETTE GEORGES ABI ZEID
WISSAM ELIE ABOU RJEILY
FADY CAMILLE ABOU TAYEH
CAMILLE ANTOINE ADWAN
* ELIE HANNA AKIKI
GEORGES FOUAD AKL
ALAA HISHAM AL ASHKAR
** RAVIA SALEM AL KOUSSA
***♦ ELIAS ANTOUN ALWAN
SABINE GEORGES ANTAR
** RALPH-FARID JOSEPH AOUN
TONY GEORGE AOUN
BASSAM ELIAS ASMAR
FADI TONI ASSAF
MARCO EMILE BADAWY EL
NAEL FOUAD BEAYNI
*** NADINE NASSIF BOU DARGHAM
BAHAA RAFIC BOU GHANEM
ALAA FOUAD BOU HAMDAN
RABIH TANOS BOU RJEILY
** PAUL-MARC ELIAS BOU-GHARIOS
FRANCOIS FRANZ BRESSE
HISHAM KHATTAR BTADDINI
** MAYA MOHAMAD CHEIKH
FADI IBRAHIM DAGHER
ROBERT ANTOINE DAW
CHADI MICHEL DIB
*** FREDERICK ATEF EID
PATRICK GEORGES EID
MARK WALID EL ACHKAR
FAYAD SAMIR EL KHOURY
SLEIMAN MAROUN EL KHOURY
NAJIB JEAN EL-AKIKI
** SLEIMAN SALIM EL-MURR
** WISSAM FARES FAYAD
KARIM GEORGE GEAHCHAN
RAYYAN ANIS GHANNAM
** FABIEN BOUTROS HABBOUCHE
JEAN EDMOND HADDAD
SHEHADE HANNA HADDAD
ELIE TANIOS HAJAL
ANTOINE MAROUN HARB
WISSAM SAID HARFOUCHE
MOSTAFA YOUSSEFF HATTAB
RABEEH FAYAD HIJAZ
MAJIDA SAID HMAYDAN NASR
** RAMI WAJDI JABER
JACK ABDO JBEILY(AL)
CHARBEL ZAKHYA KAI
* SARAH WAFIC KAMALEDDINE
** ELINE CHARBEL KARAM
DAVID ANTOUN KATTAN
SOUHEIL JOSEPH KEYROUZ
* MILAD CARLOS KHAIRALLAH
* ZIAD JOSEPH KHAIRALLAH
MAALOUF
GRETA CESAR KHALIL
JACQUES PIERRE KREIDY
ALAA HASSIB MAHMOUD
CARL RAOUL MATAR
HISHAM ELIA MATNI
CYRIL ALAIN MATTAR
RAMY NAJI MIR
** HADI HABIB MITRI
SAMIH YOUSSEF MOUKADDEM
MICHEL GHOSN MOURANY
BASSEM FAISAL NADER
OUSSAMA KHALIL NAHAS
JAD SAMIR NAIM
ZIAD NABIL NASR
TALAL DARGAM NAWFAL ABOU DARGHAM
RALPH JEAN NEHMAN
ELIE ANTOINE NJEIM
ELIAS AMINE NOUFAILY
JAD MILED NOUJEIM
TAREK GHAZI RADWAN
FARID SAMIR RAHME
KAMIL GEORGES SAAD
* GHADI GEORGES SALAMOUNI
WISSAM GEORGE SALIBA
GEORGES JOSEPH SAMAHA
* EVY TONY SAYEGH
* ELIAS PIERRE SFEIR
*** SAMIR ZAKARIA SHAKER
DANY ANTONIOS TAWK
RCHEID RCHEID TOHME
KAREN ROY YOUNES
YOUSSEF SAMI YOUNES
GEORGES SALAH ZARD
MARK JOSEPH ZARIFEH
MICHEL MILAD ZEIDAN

▼ ELECTRICAL ENGINEERING

ANTOINE GEORGES ABOU JAOUDE
ELIE RAYMOND AOUN
MAROUN GEORGES BARADHI
WISSAM HANNOUN CHAHINE
NANCY WAHIB CHAIBAN
ROLAND WILLIAM CHALHOUB
** MARIA MAROUN CHIDIAC
ELIE JEAN DAWALIBY
ELIE KHALIL EL ACHKAR
JOHN NAJIB EL-HAJJ
OUSSAMA ADNAN EL-TAWIL
JOE TANIOS FAHED
NAJI YOUSSEF FARAH
CHARBEL ABDO HABIB
CYRIL ANTOINE HADDAD
HADI MOHAMAD KHEIR HAJJAR
ZIAD ROBERT NAKHLE

▼ MECHANICAL ENGINEERING

PIERRE CHAWKI ABI SLEIMAN
*** MICHEL HENRY AKIKI
RAMZI ATEF AKL
RAMZI SAID AZAR
SANNINE TANIOS BEAINO
JIHAD MOUNIR BOU CHROUCH
*** NANCY MIKHAEL DAHER
CHARBEL SAMIR EL AARAJ
JACQUES SAMIR FAHD
JOSEPH MICHEL GHOBEIRA
** YOUSSEF ISKANDAR GHOUSSOUB
HADY ELIAS HAYDAMOUS
* KEVORK GEORGE KAZANJIAN
** ROY CHARBEL KHALIL
GEORGES TOUFIC NAOUFAL
NICOLAS FARID NASRALLAH
JOE ANTOINE RACHED
JALAL SELIM SAMAHA
ALAIN YOUSSEF SFEIR
* ELIAS JOSEPH SFEIR
SIMON PIERRE SLAN
** IMAD ANTONIOS TAOK
** NADIM YAACOUB ZGHEIB

▼ BACHELOR OF HOTEL MANAGEMENT & TOURISM

RALPH FARES ABI NADER
FAYEZ NABIL ABOU ASSALY
HANIA JOSEPH ABOU KHATER
CHRISTIAN GEORGE AOUN
SHADY SAMY AYOUB
RIAD ELIAS BAROUD
ELIE HALIM BEAM
* LAYAL MICHEL BOUSTANI
ROLAND TANIOS BTEICH
RALPH ALEXANDER DAOU
SABINE JEAN DAOU
JEANINE GEORGES EL MAALOUF
** RANA CHARBEL EL-HACHEM
DANIA TALAL EL-ZEIN
RICHARD GERGI HADDAD
GEORGES GHASSAN ISSA
PATSY ELIAS JARROUJE
KAREN VICTOR MADI
NANCY GEORGE MAZLOUM
HADI TANIOS MEDAWAR (EL)
** GHINA CHAOUKI MOUSSA
NICOLE NICOLAS MRAD
FADY ELIAS NASSAR
SAEED SALEEM SALAH ELDINE
ELIAS ANTOINE SALIBA
** GEORGE ANTOUN SANDROS
ROMY EMILE SAYAH
SARAH SAMIR SAYEGH
MARIA PIERRE SOUAID
RONY ABDALLAH SOURY

FACULTY OF HUMANITIES

▼ MASTER OF ARTS

Academic Year 2006-2007

▼ EDUCATION

JOSEPH MICHEL TANNOUS

▼ ENGLISH

BASSEM ELIAS KAMEL
ELIANE TANIOS SALAMEH
RAGHIDA NEHMMATALA SARROUF

▼ MEDIA STUDIES

FRIDA JOSEPH ABOU-KHALIL
RAFAA HIKMAT BARBAR
LAMITA ZIAD EL-AHL
EVITA ROBERT HADDAD
RAYA NIZAR NASRALLAH
ZEINA GABRIEL SARROUF
RITA IBRAHIM SAYAH
CAROLE ANTOUN ZABBAT

▼ TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

DENISE FAYEZ ABOU ZEID
RANIA SAFI BADAWI
SUSAN JAMIL SAAD

▼ BACHELOR OF ARTS

Academic Year 2006-2007

▼ ADVERTISING AND MARKETING

PHILIPPE GILBERT ABED
NANCY SAMI ABI SAMRA
L'EMIR JOSEPH L'EMIR NOUHAD ABILLAMAH
ASSAAD RADWAN ABOU ABDO
NESRINE HANNA ABOU JAOUDE
NADA RAMEZ ABOU NADER
CARINE RACHID AKL
JESSICA ELIAS AL MARJ
ELIE ELIAS ANDREA
** SARAH ANTOINE BEJJANY
MAZEN RIFAAT BOU SABA
KAREN GHASSAN DABAGHI
RITA ELIAS DAHDAH
SAMER NASSIB EID
HIBA ELIAS EL AARAJ
LAMA FRANCOIS EL-AM
** YVONNE CHARBEL EL-HACHEM
JENNIFER HALIM EL-HAYEK
* MARIA JAMIL EL-KHOURY
ELISSA SAADE EL-SAKHY
ZAHIA ELIAS FARAH
SABINE ROBERT GEMAYEL
CHRISTINE ELIAS GHANEM
* LARA YAACOUB GHAZIRI
NANCY TAAN HABCHI
PAOLA ISSAM IBRAHIM
GRACE IBRAHIM JABBOUR
NAYLA FARID KAHWAJI
OHAN HAMPO KENDOYAN
WAFAA FOUZI KHADDAGE
LINDA SALIM KHALIFEH
RIVA EDMOND KHATTAR
SERGE SOUREN KHECHWAJIAN
ONIDA BECHARA KHOURY
LILIANE WALID MAHMOUD
JEAN MICHEL MENASSA
JEAN PAUL MAROUN MOUBARAK
ROY NAMMOUR NAMMOUR
REEM ISSAM NISSI
EDDY ANTOINE OUEINI
ELIE JOSEPH RAMIA
JULIE NAKHLE SAADEH
CARLA GHASSAN SALAMEH
** RACHEL BOUTROS/PETER SALIBA
DALY-JO JOSEPH SAROUFIM
LAMA ELIAS SROUR
NATHALIE YOUSSEF TANNOUS
REBECCA DANIEL TAYAR
CHRISTELLE GABRIEL TOUTOUNJI
GHIWA GERGI WAZEN
IMAD CAMIL YABROUDI
* RAND GERGES YAMMINE
CELINE ZEINOUN ZEINOUN
JOSEPH SOUHEIL ZOGHBI
RAMZI RAJA ZOGHBI

▼ COMMUNICATION ARTS

HOUEIDA HASSAN BCHERRAWI
MARIA SALIBA BTEISH
LYNN GEORGES EL-FEGHALY
RONY RAYMOND EL-KHOURY
** ELIE TONY EL-SEMAAN
CAROLE KAMIL HANNOUN
GHASSAN BADR HOUEISS
BERNADETTE ANTOINE JOUMAA
PAULETTE KAMAL KAI
MARIA NAIM MAHROUK
* HALA RABIH NAFFAH
* TANYA KAMAL NASR
DIANA ANTOINE SALIBA
JOAN CHARBEL SHALLITA NAKAD
** NADER HANI TABRI
* NADEEN CHARBEL TARABAY

▼ EDUCATION

MALAK ADEL ANNOUS
JAMALE MICHEL BITAR
** MAYA ELIAS KHATER
WAFA AFIF SABA

▼ ENGLISH

*** JOELLE ELIE EID
NATHALIE WALID FARAH
* ABIR SOUHEIL TEMRAZ

▼ PHYSICAL EDUCATION & SPORT

** STEPHANIE CLAUDE MAILHAC
PERLA WALID NASSAR
* NISRINE MARWAN WAZEN

▼ PSYCHOLOGY

* MAYA ELIAS ELIAS
SARA JOSEPH HABBOUCHE
NADINE EMILE HABIB
*** NAYLA OUSSAMA HABR
* SERENA ANTOINE IRANI
** RANIA ALBERT RAFFOUL

▼ TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

JESSY ANTOINE ABOU HABIB
DOLLY MAROUN EL CHBEIR

FACULTY OF NATURAL AND APPLIED SCIENCES

▼ MASTER OF SCIENCE

Academic Year 2006-2007

▼ COMPUTER SCIENCE

JOSEPH MAROUN ABOU NADER
PIERRE ANTOINE AKIKI
JEAN GEORGES ANTAR
BASSAM MILED AOUN
GAHZI NAJIB ARABI
MARIE CHRISTINE RAYMOND BECHARA
ASSAAD ELIAS CHALHOUB
ELIAS ANTOINE CHEDID
ELIAS GEORGES EL KHOURY
MARWAN SEMAAN EL KHOURY
RONY ASSAAD EL-HANNA
MARIA FOUAD GHOSN CHELALA
ROGER NABIL KAHWAGI
AMINE NAJIB MOUSSA
SOUHA SALIM SAAB
ROSE ANTONIOS TAWK

▼ MATHEMATICS

SOLANGE GERGI AOUDE

BACHELOR OF SCIENCE

Academic Year 2006-2007

BIOLOGY

* VICTORIA CHARLES AL-FRANGI
FARAH SHAFIC BOU NASSIF
*** GEORGE RENE ELIAS
EDDY EDWARD GERYESS
CHARBEL GIRGI KABALAN
MELISSA CHAWKI KAHI
JULES JACK KRAYEH ZIADEH
** EDITH JOSEPH MOUSAWER-KORDAHI
** MIRVAT ZEID SLEEM

▼ BUSINESS COMPUTING

SAED WALID ABOU CHACRA
NIZAR ALI ABOU DIAB
YOUSSEF NAJM ABOU HAYDAR
WALID YOUSSEF ABOU JAOUDEH
REWA NABIL ABOU KARROUM
ALEXANDRA-KLAVDIA BEDROS ANSERIAN
MARWAN MICHEL ASSAF
REMY CHAWKI AYACHE
MAHER KARAM AZZI
RABIH ADEL BADDOUR
** GERARD DIRAN BEZERDJIAN
ELIE KHALIL BOU EID
** ZEINA SAID BOU KARROUM
MARC CHARLIE CHEMALI
JIHAD JEAN DAHER
DARINE NOUHAD DALGHAN
GEORGI JIHAD DIA
* ELIE ANTOINE EID
GEORGES JEAN EID
JOE MANSOUR EID
MIRNA CHAHID EL-HAJJ
CHADI BUTROS GERYESS
EMAD WAJIH GHADBAN
AMINE YOUSSEF HALAWI
* ASAAD MOUNIR IMAD
SOUHAIL JOSEPH JABBOUR
PATRICK GEORGE KALDAWY
AKRAM NABIH KANSO
CHARBEL NAJA KHOURY
MAYA ELIAS KREIDY
** RITA LEBA MERHEB
MICHAEL FAHED MIKHAEL
MAZEN HASSIB RABAH
* FAYEZ BAKHOS RADY
EDWARD ISSAM SAADE
ABBAS MOHAMMED SHREIF
ZAHI ANTOINE SUCCAR
BACHIR NAZIH WAKED
BOUTROS GEORGES YAMMINE
DESIREE ANTOINE ZAYEK

▼ COMPUTER SCIENCE

CHARIF JOSE EMILE ABBOUD
CHARBEL CAMIL ABOU HANNA
PAUL EDMOND ABOU KHALED
ELIE FAYAD ACHKAR
*** ELIE ANTOINE AJALTOUNI
HICHAM JIHAD AL MALLAH
JOSE ELIE AOUDE
ELIE ANTOINE AOUN
*** ROMY ADEL ASSOUAD
ELIE MICHEL ATIK
* HADI ALI ATTAR AL
SAMER JEAN BECHARA
RODOLPH KHALIL BOU FERA'A
HERMES SHARIF BOUKHZAM
CYRIL PIERRE CHLELA
* ASHLEY-PHEBE VICTOR CHOUKEIR

* SAMI ATEF EL GHOUSSAINY
ELIE MIKAEL EL MAALOUF
MARIO ELIAS ELLAZ
SAMER SAMIR FAISSAL
JOSEPH ANTOINE FARES
RAWAD SHAWKI FAYAD
MANAL KAMAL GHANEM
DAVID HANI HABCHY
ELIE RAYMOND HABRE
TOHME ELIAS HAGE
MATTHEW MICHEL HAMMAM
CHARBEL TOUFIC HANNA
ELIAS NAJIB HAYKAL
SHADI RABIE ISMAIL
CHARBEL ELIAS KAFROUNI
FADI JOSEPH KHALIL
RUSSEL ZAYNOUN KOUSSA DIT BACHA
** MELISSA NICOLAS KOVAS
GEORGE MITRI LTEIF
JOHNNY JEAN MAKHLOUF
AMINE WAJIH MATTA
FADIA ELIE MATTA

MARIANNE GERGES MEOUCHY
** FIRAS GEORGES MGHAMES
TEDDY SIMON MJALLY
SOULAYMA ANTOINE MOUAWAD
RALPH NICOLAS NASRALLAH
FADI SAID SAFI
* SARA GHASSAN SAREDINE
*** ZIAD HANNA TAWK
ZIAD SALEM WEHBE

▼ ENVIRONMENTAL SCIENCE
* KAREN GEORGE EL DAHER
* THILDA CHEBEL HAJJE

▼ GEOGRAPHICAL INFORMATION SYSTEMS
RAWAD ABDALLAH AKKAD
ALINE RIZKALLAH AYLO

▼ MATHEMATICS
*** LAYAL RIAD ABOU CHACRA
SALLY GHAZI AL GHADBAN
** MADONA KAMAL CHARTOUNI
** OLA KHALED DAOU
* ELIE SAMI HAJJAR EL
*** SARA HASAN RASHID

▼ MEDICAL LABORATORY TECHNOLOGY
*** MAYA KARAM ABOU KHOUZAM
** MICHEL BOULOS AL KHOURY
* BASSEM RAOUF ANDARY
SYLVA MIKHAEL BOU RJEILY
MARC ROBERT DAOU
* FATEN FAHD GHANEM
AMAL SLEIMAN HAMADEH
* RABIH SAMIR HAMADEH
* DALIA KHALED MALLAK
*** ROLA JIHAD TIMANI

▼ NUTRITION & DIETETICS
JOANNA BOUTROS ABBAS
SARA NABIL ABOU ABDO
OLA RAOUF ABOU CHAKRA
* RHEA KAMAL ABOU KHALIL
LARA MELHEM AKIKI
RIMA CHAWKI AKIKI
CARLA JOSEPH ARACTI-DAOU
MANAL YOUSSEF ARIDA
DANIELLE NASSIF ASMAR
NICOLE YAACOUB AYOUB
** PAMELA GHASSAN CHAHINE
MOHAMAD NIAZI CHALAK
CHRISTELLE ANTOINE CHAPTINI
RACHELLE JOSEPH DIRANI
COLETTE RAIF EL-KHOURY
* NAYLA HABIB EL-SKAFF
*** KRYSTEL NABIL HAYDAMOUS
** ELMA ELIE JABBOUR
REINE EMILE JABRE
* MYRIAM ZIAD KHADIJ
SAMAR ANTOINE KHOURY
ROLA FARID MAHMOUD
MARIE GEORGES MANSOUR
* CELINE ALAIN MATTAR
CHRISTELLE ZOUHEIR MRAD
ROULA CHARBEL NAKAD
SAMAR MAURICE OBEID
JANA GEORGES RAGHEB
ROSINE ASSAAD SAAD
*** JOYCE JOSEPH ZALLOUA MAAWAD
JESSICA GEORGE ZAMORA

FACULTY OF POLITICAL SCIENCE PUBLIC ADMINISTRATION & DIPLOMACY

▼ MASTER OF ARTS
Academic Year 2006-2007

▼ INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY
NAJI NADIM DAGHER
JEANNDARC TOUFIC FARHAT
ELIE JOSEPH FERNEINY
NEHMAN SARKIS FRANGIEH
BETTY ELIAS HINDI --- Went on Podium ---

▼ PUBLIC ADMINISTRATION
CHANTAL SAID MILKY

▼ BACHELOR OF ARTS
Academic Year 2006-2007

▼ INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY
LINDA-MARIA ASSAAD BOULOS-MACARI
ADNAN MICHEL EL HELOU
* MAY ANTOINE FAHD
** LAYAL ELIAS HAGE
* CAROLE FADI KARAM
* MAYA NABIL KHOUBBIEH
GRACE GEORGE MHANNA
CYNTHIA DANY SAAB
CHARBEL CHALLITA SALAMEH
AMRO AHMAD ABDULLAH SHMASSY
MAYA CHEHAB TOUBIA
* MONY SARKIS TRAD

▼ POLITICAL SCIENCE
JOSEPH RACHID AKL

▼ PUBLIC ADMINISTRATION
RHEA JOSEPH AKIKI
NAOUM TOUFIC BARAKAT
DIANE YOUSSEF DACCACHE
PATRICIA CHARLES HAMAWI
RAFI ZERON-ZOHRAB MERDINIAN
EMILE GEORGES LEOPOLD YANNI

مؤتمر مريميّ

بشارة العذراء عهد الحياة بالروح

الأب بولس وهبه

برعاية صاحب الغبطة والنيافة الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، وفي إطار اليوبيل المئويّ الثالث لدير سيّدة اللويزة، المقرّ العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، عقد المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة في جامعة سيّدة اللويزة، المؤتمر المريميّ الأوّل بالتعاون مع الأكاديميّة الحبريّة العالميّة، جمعيّة الشرق الأوسط، تحت عنوان: "بشارة العذراء عهد الحياة بالروح".

الأب وليد موسى، رئيس الجامعة، وضع المؤتمر ضمن هدفين: الهدف الوطنيّ والهدف التثقيفيّ/الروحانيّ؛ فيما لخّص مدير المركز عبدو القاعي مقاربة المؤتمر لبشارة الملاك لمريم بأنّها «عهد في كلمة تعبّر عن إرادة الله في أن يدخل الحياة عن طريق شرط الطبيعة البشريّة». من هنا أتى عهد الله الجديد من خلال مريم، فإذا بالمؤتمر مناسبة لفتح الحوار حول مشروع الحبّ الإنسانيّ الذي هو مشروع التفاني الإلهيّ.

المؤتمر، انعقد بديهيًّا على يد رهبنة وجامعة تحملان اسم العذراء؛ فهو باكورة لأبحاث يؤمل أن تتوالى عن «شخصيّة مريم ولإطلاق فكر مريميّ لاهوتيّ» كما قال الآباتي سمعان أبو عبدو. والمُفرح في ولوج عمق مريم هو التقاء المسيحيّة والإسلام على تكريمها، حيث وضع الإنجيليّ لوقا على لسان العذراء نبوءتها أنّ «ستطوّبني جميع الأجيال» وصرّح القرآن أنّ الله «اصطفاها على نساء العالمين»، فجاءت الترانيم المارونيّة والأرثوذوكسيّة والإنشاذ القرآنيّ في سورة مريم صلاة حبّ وشفاعة، تجلّت في ختام المؤتمر بكلمات نجوى من شيخ سنّي وآخر شيعيّ ومن أستاذ جامعيّ على مذهب الموحّدين.

والملفت للنظر، وهو ما رآه الكثيرون ممّن شاركوا في المؤتمر، التقاء السفير البابويّ وكلّ من المتكلّمين الثلاثة الآنف ذكرهم على وجوب اعتماد التذكار السنويّ لبشارة العذراء في شهر آذار عيدًا وطنيًّا جامعًا، ما ظلّل المؤتمر بمسحة من قدسيّة أتت لفتة حبّ من مريم التي ما فتئت تدعو إلى الوحدة والمحبّة منذ أن تقبّلت الغرس الإلهيّ في حشاها.

وفيما غاص الباحثون والمتأمّلون في ما جاء عن مريم في الكتاب المقدّس، وخاصّة في الأناجيل وفي القرآن، ركّز بعضهم على الأبعاد اللاهوتيّة والروحيّة لمدلول البشارة، كالمطران جورج أبو جوده الذي سبر الكتاب في مدلولات سرّ مريم، ود. أنطوان قربان الذي غاص في تجلّي مريم باستعمال العلوم الطبيعيّة والطبّ كمرقاة لاكتناه هذا السرّ، والسيّد هاني فحص الذي سبح في مشوار نجوى تفلّت من عقال الأدب والتعبير الهيّن ليطال أعتاب حضن العذراء.

إضافةً إلى الامتاع الذي سطع من كلمات محبّي مريم، أتت شهادات المطران جوزف عبسي والأب ناجي خليل من الضفّة الكاثوليكيّة، لتلاقي المطران جورج خضر من الضفّة الأورثوذكسيّة، الذي سبحوا في اتّجاه والدة الإله المبحرة إلى الضفّتين معًا والجامعة الأضداد إلى حال واحد، ما تجلّى في كلمة د. جوني عوّاد الباحث الإنجيليّ، الذي صدح معترفًا أنّ العذراء والدة الإله وأنّ تكريمها واجب، وأشعر الحاضرين بالتالي أنّ فعل أمّ المسيح في مؤتمرها تجاوز العنوان ليدخل في ثنايا النفوس، فأنطقَ كلّ من كان في قاعة عصام فارس في الجامعة كلمات شخصت من المتكلّمين وضجّت حماسًا في نفوس الجالسين.

كنت أشعر، وأنا في عداد الحاضرين، أنّ العذراء كانت حاضرة بزخم. وعندما جلست لأترأّس الجلسة المخصّصة للعذراء مريم عند المسلمين، لم أحسّ أنّي أجالس من هم على غير دين مريم، الذي هو دين الحبّ والسلام والدفء، وهو ما كانت عبّرت عنه الآنسة جوسلين خويري حين دلّت على أنّ العذراء مغروسة في العالم أجمع في كلّ تنوّعاته وتجلّيات الله فيه، لتقول إنّ «البشارة هي استقرار وجوديّ وكيانيّ لمنطق الله في قلب الإنسان وعالمه» وأنّها «شريعة جديدة تنقض نظامه وأنانيّته القاتلة».

العالم يحتاج إلى مريم، التي تذكّرنا دائمًا أنْ «مهما قال لكم فافعلوه» (يوحنّا ٢:٥).

طاولة حول

الطاقة وحروب الشرق الأوسط

عبدو القاعي

مقدّمة

المواضيع البحثيّة والنقاشيّة التي يطرحها المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة في إطار خطّة العمل التي وضعها للسنوات ٢٠٠٧-٢٠١٠، يتصدّرها موضوع الطاقة، في علاقتها مع الواقع النزاعيّ الحاصل حاليًّا بين مشرق الأرض ومغربها.

وعليه، وبمناسبة مرور ١١٠ سنوات على اكتشاف الطاقة النوويّة، و١٠٥ سنوات على منح مكتشفَيها ماري وبيار كوري جائزة نوبل، نظّم المركز حلقة دراسيّة أولى للسنة الجامعيّة ٢٠٠٧-٢٠٠٨، يوم الجمعة ٢٠٠٧/١١/٢، تحت عنوان: "الطاقة وحروب الشرق الأوسط". تمّ التركيز فيها على تحضير المشاريع أو المحاور البحثيّة التي يمكن طرحها حول إشكاليّة الطاقة في الزمن الحاليّ، على صعيدي الشرق الأوسط والعالم بشكلٍ عامّ، وحول مشكلة الطاقة النوويّة، على هذين الصعيدين، في علاقتها مع الطاقة النفطيّة والطاقات الأخرى النادرة بشكلٍ خاصّ.

حضر هذه الحلقة كلّ من: عبدو القاعي، أ. سهيل مطر، الأب بولس وهبه، د. نعيم سالم، أ. أنطوان صفير، د. جورج لبكي، د. أمل ديبو، د. أسعد عيد، د. شاهين غيث، د. أنطوان قربان، د. وجيه قانصو، د. منى فيّاض، د. سمير خوري، د. ملحم خلف، د. فيفيان نعيمه.

أمّا الإطار الاستكشافيّ العامّ الذي كان المركز قد رسمه تسهيلاً لوضع هذه المشاريع البحثيّة، فهو يحدّد الطاقة بشكلٍ عامّ والطاقة النوويّة بشكلٍ خاصّ من ضمن روابط جدليّة في غاية التعقيد وفي غاية التأزّم في الأيّام الحاضرة، حيث تظهر الطاقة النوويّة في علاقتها مع الطاقة النفطيّة والطاقات الأخرى النادرة وكأنّها تترجّح بين وعد توليد الأزمنة ومخاطر إنهائها.

مواضيع النقاش

أشار السيّد عبدو القاعي في بدء الحلقة إلى أنّه إذا كان المركز يحدّد إشكاليّة الطاقة بشكلٍ عامّ، والطاقة النوويّة بشكلٍ خاصّ على هذا النحو اليوم، مستندًا في ذلك إلى أشكال تمظهر هذه الإشكاليّة شيئًا فشيئًا في منطقة الشرق الأوسط، فذلك لعلمه أنّ هذا التطوّر الإشكاليّ في منطق الطاقة هو من أهمّ المحرّكات للنزاعات القائمة بين الشرق والغرب؛ هذه النزاعات التي أدّت حتّى الآن إلى مزيد من التفكّكات المجتمعيّة لصالح التكوينات الطائفيّة داخل الأوطان العربيّة، والتي قد تؤدّي إلى حروب مدمّرة على مسارح الشرق الأوسط والعالم ككلّ.

بناءً عليه، تقدّم القاعي بعدد من النقاط البحثيّة التي تصلح أن تكون مادّة للنقاش في مجالات استشراف محاور البحث وحول الإشكاليّة المطروحة، يمكن تلخيصها كالآتي:

- الطاقة: وعود ومخاطر على مشارف قرنين: القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين.
- إشكاليّة الطاقة في الزمن الحاضر، وانعكاساتها على مستويي الحياة والمادّة.
- الطاقة النوويّة، من المنطق الآليّ إلى المنطق التكنولوجيّ: أيّة تحوّلات، أيّة التباسات وأيّة مخاطر؟
- الطاقة النوويّة في علاقتها مع الطاقة النفطيّة والطاقات الأخرى... في ظلّ العصبيّات الدينيّة المتواجهة في العالم المعاصر: أيّة مخاطر وما العمل؟
- عقدة اسرائيل وأثرها على تشكّل الالتباس بين الطاقة والدين، لجهة الارتباكات الحاصلة على تشكّل الأوطان والمجتمعات في الشرق الأوسط والعالم.
- مخاطر الالتباس بين الطاقة والدين، لجهة حصول حروب دينيّة مدمّرة في الشرق الأوسط والعالم.

إثر هذا العرض الوجيز، دار النقاش حول الموضوع المطروح ونقاط البحث المعروضة، فقُدّم عدد من الاقتراحات يمكن تلخيصها بالآتي:

١. الطاقة هي في أهمّ المواضيع الشائكة التي تتطلّب منّا بحثًا ونقاشًا جامعيين، وتستأهل إنشاء فريق عمل متخصّص في جامعة سيّدة اللويزة، من ضمن انفتاحات الجامعة على المجتمع وعلى الأمور

التي تشكّل خطرًا بالنسبة لاستدامة الحالة الحقوقيّة، إذ تعتبر هذه الحالة إحدى ركائزه الأساسيّة (أ. سهيل مطر).

٢. الطاقة هي في الواقع الحلقة المفقودة في علاقة الإنسان مع ذاته، كما مع الأرض والعالم والكون، بينما هي في الأساس القوّة المحرّكة للوجود التي تحمل في طيّاتها مكوّنات هذا الوجود وفحواه. السؤال المطروح هنا يدور حول ضرورات التمرّس بآليّات مكاشفة واعية ومضبوطة لعلاقتنا بالطاقة الموجودة فينا وفي الطبيعة ككلّ، وفي الكون، لكي لا تؤثّر هذه العلاقة على مقدّرات الحياة التالية:

- قدرة تكوّن وتجدّد الطاقة Irreversibility
- قدرة الحفاظ على كمّيات الطاقة وأشكال وجودها Elasticity
- قدرة التحوّل في أشكال الطاقة من دون التأثير على إمكانات تجدّدها Plasticity

من هنا تكمن الأهميّة التفكيريّة: الفلسفيّة والدينيّة والإنسانيّة الشاملة بشأن علاقاتنا بالطاقة، لكي لا تؤثّر معتقداتنا الدينيّة والدنيويّة على مكوّناتها الزاخرة فينا وفي الكون، فنغلّب إمكاناتها التفجيريّة على إمكاناتها التزخيريّة والإحيائيّة (د. وجيه قانصو).

٣. البحث في شؤون الطاقة وُلد في الجامعات، جامعات الغرب: الأوروبيّ والأميركيّ، بينما تبقى هذه الجامعات عندنا عقيمةفي هذا المجال. نحن الشرقيّين نغرق في الأفكار التأمّليّة، ولا نعمّق البحث والعمل في مجالات الانتاج والتطوير؛ فعلينا أن نولي هذه المجالات البحثيّة مساحات واسعة في السنوات المقبلة إنطلاقًا من لبنان ومن هذه الجامعة بالذات (د. شاهين غيث).

٤. مسألة الطاقة تنبّهنا إلى أهميّة البحوث ذات الاختصاصات المتعدّدة، كما وإلى أهميّة المؤسّسات التي ترعى هكذا بحوث. نحن بحاجة إلى أطروحات بحثيّة عميقة، وإلى شبكات إلكترونيّة متخصّصة تتناول نتائج هذه الأطروحات وتساعد على استشراف المستقبل، لكي نضفي طابع الجديّة على نقاشاتنا وأعمالنا الحواريّة كما وعلى مؤتمراتنا واقتراحاتنا التطبيقيّة (د. أنطوان قربان)

٥. الطاقة هي في ما تشير إليه دعوة أجدادنا: «السماء تنزّلك والأرض تطلّعك». علينا أن نبحث في مجالات قدراتنا على تثمير ما تنزّله السماء وما تطلّعه الأرض، وليس على استهلاكه وافنائه كما نحن فاعلون اليوم. هذا التثمير يتطلّب تطوير طاقاتنا الإنسانيّة الإيجابيّة: الفكريّة والروحيّة (الأبحاث، الكتب، الأفكار الجديدة، الندوات، والإعلام)، لكي نتمكّن من الحفاظ على طاقات الأرض والسماء: الشمس، المياه، وسائر موارد الطبيعة، فالطاقات الأخرى غير المهدّمة والتي يمكن للإنسان أن ينمّيها (د. سمير خوري).

٦. الطاقة مسألة من أهمّ المسائل المعاصرة، ولها أبعاد أربعة تتقارب في أهميّتها، بخاصّة في ما يعود لقدرة كلّ منها أن يصبح عنصرًا قابلاً لتفجير الحياة على الأرض في هذا الزمن المعولم الذي ينحو باتّجاه الأدلجة الفكريّة والروحيّة والإنسانيّة الشاملة. وهذه الأبعاد هي:

- **البعد الحياتي الحيويّ**، فالطاقة هي في ديناميّة الحياة وفي حركيّة الموت. باللجوء إليها إيجابًا تُبنى المجتمعات، وباستعمالها سلبًا تُهدَّم.
- **البعد الاقتصاديّ**، فالطاقة هي محرّك الحياة الاقتصاديّة. بتوفّرها تنتظم المجتمعات، وبندرتها تتفكّك، فتبرز من جديد نزعات حروب تنازع البقاء.
- **البعد الخلقيّ الإنسانيّ**، فالطاقة هي في ما نعطي، وهي في ما نأخذ. هي في التوليد والتذخير والتراكم والتثمير والتوزيع من أجل خير الجميع، إنطلاقًا من خلقيّة وعد الحياة الدائم؛ وهي في تقوية الذات تجاه الآخرين، أي في التسلّط والاستقواء ودعم العدوانيّة والمواجهة مع الآخرين والاستقطاب والاستثمار الأنانيّ والفردانيّة، والأنانيّة، إلخ...
- **البعد البيئيّ الكونيّ**، فالطاقة هي في ما يتوفّر من عناصر الحياة الماديّة، وفي ما نوفّر نحن لنثمّرها؛ وهي في ما نستهلكه من هذه العناصر من دون التفكير في إمكانيّة استدامتها أو استعادتها بطرق أخرى.

السؤال المطروح علينا هنا هو في الاستجابة لصرخات الحياة المتصاعدة حاليًّا أمام هجمات الموت، صرخات الحياة المهدَّدة بمواقفنا وسلوكيّاتنا تجاه الطاقات الزاخرة فينا وفي الكون، إذ أنّنا نبدّدها في مجالات الاستهلاك من ناحية، ونستعملها بلا هوادة في مجالات الهدم أكثر من مجالات البناء من ناحية أخرى.

والسؤال الأكبر هو في استرجاع المدى الروحيّ لأديانّا، لنقلها من موضعها السوسيولوجيّ الذي يجعل منها أداة صراع، إلى موقعها الإيمانيّ الذي يعيدها إلى رحاب الرجاء للمنتمين إليها ولإخوانهم من الأديان الأخرى. (د. أمل ديبو وعبدو القاعي).

٧. البحث في مجالات الطاقة يوقظنا إلى ارتباط بعديها الفرديّ والكونيّ. فإشكاليّتها تجمع بين الأصغر والأكبر، وبين المحليّ والعالميّ، فالكونيّ. ومعالجتها تتطلّب جهودًا بحثيّة وتفكيريّة ونقاشيّة وعمليّة وتطبيقيّة تتناول نظام العلاقات بشموليّته. من هنا أهميّة خلق خليّة بحث في بيروت، حيث يتأجّج الصراع العالميّ على الطاقة بعد أن حصلت الاستقطابات لامتلاكها بأشكالها البنائيّة: التزخيريّة والانتاجيّة من ناحية، وبأبعادها التهديميّة: الدفاعيّة والأنانيّة من ناحية أخرى، وفقًا للتكتّلات السوسيولوجيّة الثقافيّة والدينيّة المهيمنة في العالم (د. نعيم سالم).

٨. نحن بحاجة إلى بلورة رؤانا الإنسانيّة بشأن الطاقة، وإلى تجميع قدراتنا الفكرّة والإيمانيّة من أجل ذلك. فالطاقة هي قوانا التي يمكن أن نستعملها سلبًا أو إيجابًا، للهدم أو للبناء. من هنا أهميّة توضيح الرؤى الدينيّة والفكريّة والإنسانيّة الشاملة التي تجمع المستوى المحلّي بالمستوى العالميّ، من أجل أن نتحاشى تدمير ذاتنا بيدنا، ولكي نوفّر الشروط الملائمة لاستدامة الحياة على الأرض في المستقبل (د. أسعد عيد والأب بولس وهبه).

٩. الطاقة تجمع بين إنسان العصر الحجريّ والإنسان المعاصر. الأوّل تفنّن في استعمال طاقاته والطاقات المتوفّرة في محيطه ليطوّر حياته. والثاني تفانى في مجالات الخلق والإبداع مستندًا في ذلك على طاقاته الإيجابيّة والسلبيّة، وعلى الطاقات الزاخرة في بيئته الكونيّة. الفرق بين إنسان العصر الحجريّ والإنسان المعاصر، هو في أنّ الأوّل كان متواضعًا جدًّا في استهلاكه لطاقاته وطاقات الأرض، بينما الثاني هو متهوّر جدًّا في استثمار طاقاته وطاقات الأرض والكون إلى حدّ زعزعتها واستنفادها.

نحن اليوم نعيش خطر تنازع البقاء، متسلّحين بعقائدنا من أجل مواجهة ندرة الطاقات المنحسرة فينا وفي الكون. فعلينا تطوير أبحاثنا على ذاتنا وعلى سلوكنا ومعتقداتنا وطرائق إنتاجنا، من أجل إعادة تجديد الطاقات الإيجابيّة فينا وفي الكون. فكيف يمكن تفعيل الطاقة الإنسانيّة الإيجابيّة فينا، إنطلاقًا من لبنان؟ هذا هو السؤال المطروح علينا. (د. منى فيّاض وعبدو القاعي).

١٠. تعاملنا مع الطاقة جعل العالم يتحوّل إلى قرية كونيّة يتحكّم بها الأقوياء، ويبحث فيها الناس عن الطمأنينة، وهم يستنفدون طاقاتهم النفسيّة والجسديّة لمواكبة سرعة حركة الاستهلاك التي تستنفد موارد الأرض والإنسان. فخسارة الطاقة اليوم توصلنا إلى ارتباكات جسيمة بين مشرق الأرض ومغربها.

المسألة الصينيّة، على صعيد المثال، كما هي مطروحة اليوم، تنتمي إلى إشكاليّة استنفاد الطاقة. وهذه الإشكاليّة أصبح من الضروريّ معالجتها اليوم. والأرض اللبنانيّة هي خير مكان لتعزيز الأبحاث والحوارات حولها، وبخاصّة في مجالات ارتباطاتها مع عقائد الناس المنتشرين على أرض المعمورة، والذين توجد عيّنات منهم في الرحاب اللبنانيّة (د. ملحم خلف)؛ وذلك لكي لا يخضع المواطن لسنّة الوجهاء الذين يديرون في ما بينهم الأسواق والعقائد بشكلٍ شموليّ (د. أنطوان قربان).

١١. المطلوب تحسيس الرأي العامّ بدقائق إشكاليّة الطاقة التي تجمع بين الناس في ما يتخطّى عقائدهم وانتماءاتهم وتكتّلاتهم الجماعيّة الفئويّة. التفكير في مجالات طاقة يجب أن يساعدنا على إعادة بناء المجتمعات على قاعدة الحقوق الإنسانيّة الواحدة الملتزمة بتثمير القوى الإيجابيّة في الفرد وفي المحيط، وعلى مبادئ التوزيع والمشاركة من أجل الخير العامّ، من المستوى المحلّي إلى المستوى الكونيّ الشامل. وهكذا، فإنّ عمليّة تفكيريّة على أرض لبنان بالذات، تجمع بين الفكر المحليّ والفكرين العربيّ والعالميّ، قد تساعدنا على تلافي تناحراتنا الإيديولوجيّة، للدخول في عضويّة ترابطنا الإنسانيّ، من أجل درء الخطر الذي يهدّدنا جميعًا، وهو الخطر النوويّ للسيطرة على العالم (أنطوان صفير وعبدو القاعي).

١٢. يجب التركيز والتأكيد والتشديد على البعد الاقتصاديّ في إشكاليّة الطاقة، إذ أنّ هذا البعد هو بعد محوريّ تتحرّك حوله الأبعاد الأخرى (د. جورج لبكي).

خلاصة الخلاصة

في ضوء الأفكار الجدليّة التي طرحت أعلاه، تمّ اقتراح محاور ثلاثة للبحث في مجالات الطاقة يمكن تلخيصها بالآتي:

١. **محور فلسفة الطاقة**، كوعود ومخاطر على مستويي الحياة والمادّة، كما وعلى مستوى التحوّلات التي جرت عليها منذ زمن النهج التقليديّ للحياة إلى زمن نهج الحداثة، ومن ثمّ إلى زمن نهج التكنولوجيا.

٢. **محور ديناميّة الطاقة**، أي حركيّة العلاقة بالطاقة، بين الانتاج والاستهلاك وبين البناء والهدم، حيث يبرز خطر تغلّب عنصري الاستهلاك والهدم على عنصري الانتاج والبناء.

٣. **محور التحكّم بالطاقة**، كمصدر قوّة واستدامة للحياة، حيث تبرز أكثر فأكثر اليوم إشكاليّة الإمساك بالطاقة، وحيث تتعدّد وتتشابك متاهات المواربات الأخلاقيّة والسياسيّة والعقائديّة والدينيّة لمشرعة هذا الامساك.

فيتمّ النظر هكذا في نظام العلاقات القائمة اليوم بين الطاقة النوويّة والطاقات الأخرى، وبخاصّة الطاقة النفطيّة وطاقة المياه والطاقات المنتجة الأخرى، حيث تمرّ مشرعة التحكّم بهذه العلاقات بالتصلّبات الدينيّة بين مشرق الأرض ومغربها، ومن ضمنها عقدة إسرائيل.

ويتمّ البحث في آليّات الحوار والنقاش والعمل من أجل إعادة صياغة هذا النظام بشكل حقوقيّ وقانونيّ يحافظ على المساواة في حقّ الحياة وتحقيق الذات الفرديّة والمجتمعيّة على المستويين المحليّ والعالميّ الشامل (د. وجيه قانصو وعبدو القاعي).

في نهاية هذه الجلسة تكّون فريق عمل يضمّ السيّدات والسادة: أمل ديبو، وجيه قانصو، سمير خوري وعبدو القاعي، من أجل توضيح الأفكار والتحضير لحلقة دراسيّة ثانية يُصار فيها إلى إقرار محاور البحث ووضع المشاريع والنشاطات البحثيّة والحواريّة بصددها.

الرابطة اللبنانيّة الصينيّة للصداقة والتعاون والاستثمارات المتبادلة بين لبنان والصين

أوّلاً: في الوقائع

عقدت الرابطة اللبنانيّة الصينيّة للصداقة والتعاون، بالاشتراك والتنسيق مع جامعة سيّدة اللويزة، مؤتمرها السنويّ الثالث بعنوان «الاستثمارات المتبادلة بين لبنان وجمهوريّة الصين الشعبيّة»، يوم الجمعة ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٧، في الجامعة – زوق مصبح.

السفير الصينيّ أمل في أن يساهم المؤتمر في فتح آفاقٍ جديدة للتعاون الاقتصاديّ بين البلدين، بعدما تعثّرت محاولةٌ أولى في هذا المجال.

رئيس الرابطة د. مسعود ضاهر نوّه بتعزيز الروابط الثقافيّة وتبادل الخبرات بحيث نشهد تطوّرًا مهمًّا في العلاقات التجاريّة.

مسؤولة العلاقات الخارجيّة لآسيا وأفريقيا في رابطة الصداقة الصينيّة مع شعوب العالم، جيا لينغ، أشارت إلى أنّ رابطة لبنان-الصين هي «أكثر الروابط والجمعيّات العربيّة نشاطًا وحيويّة».

الوزير جو سركيس أوضح أنّ وزارة السياحة وضعت برنامجًا عمليًّا لاستقطاب السيّاح الصينيّين وتسهيل سفرهم إلى لبنان، مبديًا استعداد هذه الوزارة لدعم التوصيات التي تصدر عن المؤتمر.

الوزير فوزي صلّوخ ذكّر بوجود مروحة واسعة من الاتّفاقات تجعل الاستثمارات المتبادلة بين البلدين مؤطّرة في بيئة اتفاقيّة ملائمة نعمل دائمًا على تطويرها وتعزيزها. وبالتالي، ينبغي أن تكون العلاقات استراتيجيّة.

الأستاذ جواد عدرة عرض مجموعة من الوقائع والأرقام حول التجارة الصينيّة.

الدكتور بيتر باي ناقش واقع الصين ضمن التجارة العالميّة.

النائب بيار دكّاش تحدّث عن النهضة الاقتصاديّة الصينيّة.

الدكتور روك مهنّا تناول دور الدولة في الإنماء الاقتصاديّ.

الدكتور شاهين غيث حاضر عن التقدّم الاقتصاديّ في الصين وانعكاساته.

الدكتور علي فاعور عرض لجغرافيّة المنطقة الاقتصاديّة الصينيّة.

الدكتور يانغ يان هونغ عرض التسهيلات التجاريّة الممكنة بين الصين ولبنان.

الأستاذ طلال المقدسي اقترح إنشاء «ميناء جافّ» في سهل البقاع يسهّل تصدير البضائع

الصينيّة من لبنان إلى الدول العربيّة ويؤمّن فرص العمل للبنانيّين في المناطق المهمّشة، مع إقامة مصانع وشركات لتصنيع الأدوات الإلكترونيّة المستقطبة لليد العاملة اللبنانيّة المهاجرة، فضلاً عن بناء سدّ مائيّ يسخّر الموارد المائيّة في لبنان للمواطنين، ولإنتاج الطاقة الكهربائيّة. وأضاف: أمّا لبنان، فيمكن أن يقدّم الخبرات في مجالات الهندسة الإلكترونيّة والميكانيكيّة وغيرها من مجالات التسويق والإبداع.

الدكتور بطرس لبكي أضاء على الميزان التجاريّ بين لبنان والصين.

الدكتور إيلي يشوعي حاضر في التفاعل الاقتصاديّ بين البلدين.

وفي نهاية المؤتمر، قدّم مدير مركز الأبحاث المجتمعيّة في الجامعة، عبدو القاعي، خلاصةً تضمّنت اقتراحات وتوصيات مستمدّة من المداخلات:

ثانيًا: في الخلاصات والتوصيات

○ | «عندما تستيقظ الصين سيرتجف العالم» **أندره مالرو**، منتصف القرن العشرين.

نحن اليوم في مستهلّ القرن الحادي والعشرين،والصين قد استيقظت وراحت توقظ من ما زالوا نيامًا من شعوب المسكونة والمتنقّلين في ربوع الأرض.

إنّه الموعد الذي لا يؤجّل، والاستحقاق الذي لا يرحم.فإمّا أن نعي العالم الجديد الذي استيقظ مع يقظة الصين، وإمّا أن نرتجف كلُّنا على أرض كوكبنا الصغير لكثرة ارتباكنا، ونحن نحاول أن نحافظ على مكاسب الماضي والنظم التي ترعاها.

العالم اليوم يرتجف فعلاً لضيق آفاق استدامة الطاقات والموارد الضروريّة لإدامة الحياة على الأرض، من ضمن نظام الانتاج والاستهلاك الذي استيقظت الصين بموجبه. كلّ المداخلات التي قُدِّمت اليوم تلحظ أهميّة ارتفاع دور الصين في استهلاك الموارد والاستثمار على صعيد الانتاج والتوزيع والتجارة في العالم وفي لبنان.

الصين اليوم، يُشكِّل سكّانها خمس سكّان العالم، بينما حركة تجارتها تنافس دول العالم تصديرًا واستيرادًا. فهي اليوم الأولى في التجارة، والثانية أو الثالثة في الصناعة، والمنافسة الكبرى في مجالات الخدمات.

□ | هل سنتعلّم جميعًا، ونحن اللبنانيّين بصورة خاصّة، كيف نعيد النظر في كيفيّة تأمين استدامة الحياة للجميع، وسبل توفير الحقوق الإنسانيّة للجميع، مع دخول الصين عالم اليقظة الفائقة؟

□ | هل سنتعلّم ذلك والعالم يئنّ اليوم من عدم قدرته على النوم، وقد كثر الضجيج وعبق الدخان، وضاقت المنافس من تلوّث الهواء، كما جفّت الحُلوق من توقها إلى المياه؟

□ | هل سنتعلّم أن نغلّب حبّ الحياة على إرادة الكسب، ولم يعد من موارد الطبيعة وطاقاتها الجوفيّة والفضائيّة والمساحيّة إلاّ اليسير، وإلى درجة أنّه أصبح من المستحيل التطلّع إلى سنة ٢٠٥٠ من أجل استيضاح آماد الحياة على الأرض المتسارعة في عولمتها، لكثافة الضباب والسواد اللذين يشوبان الرؤية؟

نحن اليوم في مأزقٍ كبير.

فإمّا أن نعمل بجهدٍ للتعرّف أكثر على ذاتنا الإنسانيّة الفرديّة والجماعيّة على مستوى كونيّ، بما يجعلنا نتخطّى انقساماتنا الانتمائيّة والثقافيّة والدينيّة والإتنيّة والجغرافيّة، ويؤهّلنا لإدارة موارد الأرض وإعادة صياغة سبل الانتاج والتوزيع والاستهلاك، من خلال المشاركة الحقوقيّة على مستوى عالميّ، بإعادة تثمير الطاقات الموجودة، وبالاستناد أكثر على

الطاقات المتجدّدة دومًا، كما وبإعادة بناء الاقتصاد على قواعد التثمير والاستدامة وليس على قاعدة الاستهلاك والاهلاك والاستنفاد؛

وإمّا أن تثير يقظة الصين فينا نوعًا من الأرق الدائم، ما يؤدّي بنا إلى النزاعات والحروب، بين مستيقظي البارحة، أي أبناء ابراهيم، وعلى رأسهم اليهود والكنائس الإنجيليّة، الباحثين عن التمتّع برغباتهم، ومستيقظي اليوم، أي أبناء بوذا وبرهما وكونفوشيوس، الصابرين على الرغبة، من أجل تعزيز نزعة البقاء فيهم.

نحن اليوم أمام تحدٍّ طرحه الفلاسفة اليونان، الذين دافعوا منذ ٢٥٠٠ سنة عن مدينة الإنسان وعن سبل الحفاظ عليها. هذا التحدّي يقضي بتعميق الوعي الإنسانيّ، وبخاصّة عندما يستيقظ الإنسان لوضعه.

وهكذا، طالب سقراط بأن نتعرّف على ذاتنا أكثر لنعيش معًا بسعادة، فكانت الفلسفة الإنسانويّة التي أعادت بناء المجتمعات في عصر النهضة وفي عصر الأنوار.

وطالب أفلاطون بأن نعيش معًا وفقًا لفكرة الخير لنكون صالحين، فكانت مفارقة قيام الدكتاتوريّات التي غلّبت الإيديولوجيا على الواقع، و هي اليوم عائده وليس لنا لمواجهتها سبيل.

وطالب أرسطو بأن نعيش معًا بسعادة لكي نتعرّف على الخير، فكانت الديموقراطيّة ولكنّها لم تدم لأنّنا آثرنا احتكار الخير على العيش معًا بسعادة.

فهل سنتعلّم اليوم، مع يقظة الصين، أن نستيقظ على الديموقراطيّة الحقّة، حيث حقّ الحياة والسعادة يؤمّن للجميع فرصة الانتماء إلى العالم الإنسانويّ، وحيث يُعمل فرديًّا وجماعيًّا للحدّ من سطوة العالم المعولم وفقًا لصورة القرية الاقطاعيّة الشاملة؟

أوليس هذا ما كان يطالب به كونفوشيوس، الذي أطلق فكر المدينة في الصين على قاعدة الخلقيّة الإنسانيّة، في الوقت الذي كان فيه الفلاسفة اليونانيّون يحاولون إعلاء شأن الفكر المُدنيّ الخلقيّ، أي منذ ٢٥٠٠، لو كان حاضرًا معنا اليوم؟

بناءً عليه، يُمكن استخلاص الاقتراحات والتوصيات التالية والتي وردت في مداخلة الدكتور إيلي يشوعي في ما يعود لبناء العلاقات الاقتصاديّة اللبنانيّة-الصينيّة:

- يستطيع لبنان أوّلاً الإفادة من الصين في مجال تطوير اليد العاملة اللبنانيّة والمهارات البشريّة اللبنانيّة، مع التوصّل إلى تحديد ثقافة جديدة للعمل وللانتاج في لبنان.
- يمكن للبنان ثانيًا أن يسعى لاشراك الصينيّين في المصانع اللبنانيّة للإفادة من انتاجيّتهم العالية وخبراتهم الصناعيّة، عن طريق تمليكهم حصصًا في الشركات اللبنانيّة.
- يمكن للبنان ثالثًا أن يسعى للدخول في شراكة رأسماليّة وبشريّة مع الصين لانتاج سلع وخدمات جديدة في لبنان تسوّق داخليًّا وفي المنطقة العربيّة.
- يمكن للبنان رابعًا أن يوقّع اتّفاقًا تجاريًّا مع الصين يقضي بتبادل سلع مصنّعة في لبنان في مقابل سلع زراعيّة منتجة في الصين.
- ويمكنه أخيرًا أن يقيم استثمارات لبنانيّة في المناطق الاقتصاديّة الخاصّة في الصين: Special Economic Zones التي تُفيد في كثير من التسهيلات الإداريّة والضريبيّة.

أدباء من الشمال
في جامعة سيّدة اللويزة - الشمال

نظّمت جامعة سيّدة اللويزة فرع الشمال وبمناسبة الذكرى العشرين لتأسيسها ندوة عن أدباء من الشمال جرى فيها تكريم كوكبة منهم أحياءً وراحلين.

حملت الجلسة الأولى عنوان: «**القلم في الذاكرة**». رئسها د. جميل الدويهي وتحدّث فيها د. لطيف زيتوني عن الكاتبة الراحلة منى جبّور، ود. زهيدة درويش عن الشّاعر الراحل جورج يمّين، ود. سعدي الضنّاوي عن شاعر الفيحاء الراحل سابا زريق. أمّا الجلسة الثانية فكانت بعنوان «**شهادات حيّة في الأدب**». رئسها الأستاذ سهيل مطر، وتكلّم فيها الأستاذ فيليب أبي فاضل عن د. ياسين الأيّوبي، ود. سوزان عكّاري عن الشاعر أنطوان القوّال، ود. خريستو نجم عن د. مي سعادة، ود. جان توما عن الأستاذ رشيد درباس. والجلسة الأخيرة كانت بعنوان «**فكر وتاريخ**». رئسها د. عبد الإله ميقاتي، وتكلّم فيها الاعلاميّ خليل الخوري عن الشّاعر الرّاحل يوسف يونس، والصحافيّ فؤاد دعبول عن الشّاعر الرّاحل حسيب غالب، ود. نزيه كبّارة عن المؤرّخ الراحل عبدالله نوفل.

ثمّ جرى توزيعُ دروعٍ تذكاريّة...

.. ومن الندوة نقتطف:

حول منى جبّور

د. لطيف زيتوني |

أذكر جيّدًا أنّ الطقس كان غائمًا في القبيّات ذلك اليوم، وأنّ حبّات من المطر الخفيف ما لبثت أن تساقطت على المشيّعين وهم في الطريق إلى المقبرة. وأذكر أنّ الأخت الصغرى رفعت صوتها منادية أختها المحمولة في النعش: «أنظري يا أختي، حتّى الدنيا تبكي عليك». كانت الدنيا تبكي عليها فعلاً. كانت منى جبّور في الحادية والعشرين يوم رحلت، ومع ذلك تركت لنا روايتين هما «فتاة تافهة» المنشورة عام ١٩٦٢ و«المسوح والغربان البيضاء» التي نشرت بعد وفاتها عام ١٩٦٤، كما تركت عددًا من الأقاصيص والمقالات النقديّة التي لم تجمع بعد.

❖ ❖ ❖

١. منذ السطور الأولى حدّدت ندى، بطلة «فتاة تافهة»، جذور المشكلة التي تشكّل موضوع الرواية: المعلّم ينبح: «بلا جدال، المرأة مخلوق ضعيف الشخصيّة والإرادة، المرأة مخلوق يكمّله الرجل، ومن واجبها أن تخضع له». ومنذ السطور الأولى حدّدت أيضًا موقفها: «كذّاب، كذّاب هذا الوقح. سأجادل،... أربأ بنفسي أن أواجه أقزامًا كاذبة وأبقى صامتة» (ص ٥).

ولم تصمت ندى بل تكلّمت كثيرًا. قالت ما عندها. ولكنّ الرواية لا تعتمد أسلوب السجال الذي يسعى إلى الإقناع، بل أسلوب الحدث المعاش الذي يضع القارئ أمام حالة فرديّة، ولو لم تكن عاديّة. فشخصيّة ندى في «فتاة تافهة» وشخصيّة كوثر في

«المسوح والغربان البيضاء» شخصيّتان متفرّدتان. ولكنّ هذا التفرّد ليس نتيجة ابتعادهما عن الواقع بل عن صورة الواقع التي اعتادت الروايات العربيّة، وخصوصًا النسائيّة منها، تقديمه للقارئ. ومثلما ظنّ الفرنسيّون أنّ شخصيّة سيسيل في رواية فرانسواز ساغانBonjour tristesse غريبة عن مجتمعهم، ظنّ القرّاء عندنا أنّ ندى وكوثر- ومثلهما لينا في «أنا أحيا» لليلى بعلبكي، وريم في «أيّام معه» لكوليت خوري- غريبات عن مجتمعنا. ذلك أنّ منى جبّور ورفيقاتها لم يصوّرن بطلات تقليديّات، بل جمعن ملامح شخصيّاتهن من بنات جيلهنّ، جيل بداية الستينات الذي كان يمور بالتمرّد والرغبة في التغيير.

ففي ذلك الزمان، زمان أواخر الخمسينات وخلال الستيّنات من القرن المنصرم، حصلت هجرة داخليّة واسعة سعيًا وراء العلم والوظيفة، فتطوّر العمران المدينيّ، وانفتحت أسوار الأحياء، وتفجّرت المعازل الطائفيّة والطبقيّة، واختلط أبناء المناطق في المدارس والوظائف والأسواق. وفي ذلك الزمان أيضًا تسرّبت إلى لبنان نسائم الثقافة الغربيّة، ولكنّها كانت نسائم فلسفة ما بعد الحرب، فلسفة كامو وسارتر وسيمون دو بوفوار وكافكا، وهؤلاء لا بطولة في أدبهم بل قلق وخوف وشكّ ويأس وإحساس بلا جدوى الوجود. ولفحت هذه النسائم كتّابنا مباشرة أو مداورة، فتركت آثارها فيهم وفي قرّائهم، ومن أبرز هذه الآثار روح القلق والتمرّد. فقام فؤاد كنعان يعلن غثيانه، وأصدر مجموعة قصصيّة بعنوان «قرف» (١٩٤٧) وصف فيها عقد النقص والكبت والحرمان التي يعيشها الشباب. ثمّ أصدر جورج شامي مجموعته «النمل الأسود» (١٩٥٥) قدّم فيها بشرًا متشرّدين خائبين منهكين مثيرين للقرف. هكذا تكون أفق ذاك الجيل الذي ما لبث أن شعر بانفصام عن مجتمعه فتمرّد عليه، وحمل على تقاليده بكثير من القسوة، ثمّ أطلق في وجهه شعارات التحرّر والاستقلال الشخصيّ والحقوق الفرديّة. أمّا الأمر الذي فاجأ الجميع، وأثار قلق المحافظين، فكان بروز جيل من الفتيات المراهقات الجريئات المتمليات من الثقافة الجديدة والمتحمّسات للحريّة.

وكانت منى جبّور من هذه الكوكبة.

□ | ٣. كتبت منى جبّور حكاية بطلتها ندى بضمير المتكلّم الذي يوهم بوحدة الصوت بين البطلة والمؤلّفة. ولكنّها لم تأبه لهذا الالتباس. فقد كان صوتها وصوت بطلتها واحدًا وإن كانت حياتهما مختلفة. كانت الكاتبات قبل زمن منى جبّور يكتبن الرواية من منظور القيم الاجتماعيّة السائدة. كانت المرأة في رواياتهنّ فاضلة أو زانية، حرّة أو جارية. مع رواية منى جبّور وأترابها صارت البطلة متمرّدة بالفكر وبالجسد، وصارت تحكي حكايتها بنفسها، بالضمير العائد إليها، صارت راوية وبطلة معًا، فحار القرّاء في تصنيفها. ثمّ صنّفوها حسب فهمهم للفنّ الروائيّ في ذاك الزمن. لم تكتب منى جبّور وليلى وبعلبكي وكوليت خوري وأترابهنّ سيرة ذاتيّة، ولا شبه سيرة، كما توهّم الكثيرون، بل كتبن غضبهنّ. وغضبهنّ هو تمرّد بنات جيلهنّ بعد حربين عالميّتين أثبتتا فشل الرجل في إدارة شؤون العالم وعجزه عن تحمّل مسؤوليّة البشريّة والسير بها إلى السلام والتقدّم .

□ | ٤. وقد عبّرت بطلة «فتاة تافهة» عن هذه الخيبة من خلال ثورتها على الأب، واستخدمت في وصفه أقصى ما يمكن للثقافة التقليديّة أن تتحمّله. فندى تصف أباها بأنّه «فوضويّ وضائع»، وتصف عقله بالمدوّد الذي «تخنقه حريّة الآخرين». (ص ٤٦)، وتعلن عن رغبة ملحّة في نفسها «لكمّ هذا الفم النتن وتحطيم هذه الرأس المدوّرة» (ص ٨٥). وهي لا تكتفي بالوصف بل تستخدم لتحقيره الصور الحميمة التي يتحامى المجتمع الشرقيّ في العادة تصويرها، خصوصًا على لسان مراهقة في الثامنة عشرة من العمر. فهي تكشف كيف يتصرّف والدها في الفراش إذا كان غاضبًا. ففيما رغبة الزوجة تناديه، «يدير ظهره لأمّي وينام فتلتصق هي به، تلحف صدرها بظهره، تحشر رجليها بين قدميه، تنثر الشَعر التعب على كتفيه، وهو نائم كالثور الخائر تعبًا دون أن يلبّي نداء الجسد المحروم» (ص ٤٩-٥٠). ولكنّه يحرم زوجته ولا يحرم نفسه، لأنّه يطفئ جوعه في أحضان فيرا الغاوية الشقراء (ص ٥١).

ليس الأب في روايتي منى جبّور هو الوالد الحقيقيّ للكاتبة بالطبع، ولا هو الوالد المتخيّل للبطلة، بل هو الوالد المعنويّ، أي السلطة الذكوريّة، التي يسمّيها الغربpatriarcat ويترجمها النقّاد العرب خطأ بالبطريركيّة أو البطركيّة. فالمقصود بها هو مركز ربّ الأسرة أو شيخ القبيلة في المجتمع القديم من حيث دلالته على السلطة الاجتماعيّة المطلقة. ولقد تواترت هذه السلطة الذكوريّة عبر الزمن، وترسّخت في العقول من خلال أدبيّات الديانات التوحيديّة على الأخصّ، ثمّ أخذت تتسلّط وتهمّش وتستغلّ وتقمع كلّ من عداها وخصوصًا المرأة التي يفرض المنطق أن تكون شريكًا في السلطة لا تابعًا. وقد أدّى استمرار النظام الأبويّ عبر القرون إلى تكريس صفة المرأة كتابع للرجل، سواء أكان والدًا أو زوجًا أو أخًا. فالوالد عند منى جبّور هو إذن نظام من التمييز الجنسيّ يحصر دور المرأة في الإنجاب، ويمثّله الرجل في المطلق.

□ | ٥. أمام هذا الواقع ماذا يمكن للمرأة أن تختار واحدًا من ثلاثة خيارات:

الأوّل، أن تنصرف إلى زينتها وتلازم مرآتها. وللمرآة معنى عند المرأة لا يعرفه الرجال. فالمرأة تستخدم المرآة لتعكس لها وجهها فتتعرّف على نفسها وتشعر بوجودها وتصبح ذاتًا سويّة. ولكنّها سرعان ما تنتبه إلى أنّ سلاحها الوحيد في صراعها مع الرجل هو الإغواء، وأنّ هذا السلاح يفرض عليها أن تخفي شخصيّتها وراء المساحيق، وأن تظهر

بالوجه الذي يؤثّر في الخصم. لهذا تعود مجدّدًا إلى المرآة فتنظر إلى نفسها بعيني الرجل وتتحوّل إلى آخر في عيني نفسها. وهذا هو معنى عبارة سيمون دو بوفوار الشهيرة:

En robe de soir, la femme est déguisée en femme pour le plaisir des mâles.

الثاني، أنّ تحوّل المرأة نفسها إلى شيء. فتظهر بصورة الكائن الضعيف، الغاضب، المتطلّب، الكثير الشكوى، العاجز عن الإرادة والقرار. ومن خلال هذا التشييء تظهر المرأة نفسها بصورة الطفل كي تجذب الرجل إلى الاهتمام بها وتعهدها بعنايته. وهذا ما تعبّر عنه الكثير من الكلمات والعبارات التي تتردّد في الروايات والقصائد (خصوصًا القصائد المغنّاة) ومنها هذه الأغنية: «Je me sens dans tes bras si petite...»

الثالث، أن تستغني عن الرجل، وتتخلّى عن الزينة، وتخنق أنوثتها، وتحتقر الرجال، والنساء الطائعات، وتقلّل من شأن الحبّ والأمومة، وقد تنزلق أحيانًا إلى لون من العلاقة الجنسيّة الحرّة.

□ | ٦. هذه الخيارات الثلاثة في التعامل مع الرجل يمكن أن نطلق على كلّ منها اسمًا: الأوّل هو المصانعة، والثاني الاستسلام، والثالث المواجهة. فما الذي اختارته ندى بطلة «فتاة تافهة؟» لقد اختارت المواجهة.

وفي إطار هذه المواجهة تندرج جملة من المواقف المترابطة: العلاقة بالرجل والجنس والزواج والأمومة والأطفال والثقافة الذكوريّة السائدة.

□ | ٧. منذ البداية حدّدت ندى موقعها، وهو الدفاع عن حقّ المرأة في أن تكون حرّة. ولكن كيف تكون حرّة إذا كان المجتمع يعلّم المرأة العبوديّة، ويعلّم الرجل أنّه سيّد عليها؟ وتستخدم الرواية صورة المعلّم، كحامل للمعرفة وناشر للعلم، لتفضح طبيعة المعرفة التي يجري تلقينها ودور المدرسة في نشر الأفكار التقليديّة:

المعلّم لا يزال يجنّ بلسانه: «المدنيّة شوّهت وجه العالم فتمرّدت النساء على التقاليد. لم يبقَ الرجل يشعر بلذّة الزواج ما دامت المرأة تشاركه العمل... المرأة خُلقت للنسل والبيت. بشعّ وجه الحياة عندما بدأنا نرى النساء في الشوارع والمكاتب والمعامل». (ص ٦). وبقدْر ما كان المعلّم يصف التشويه الذي ألحقته المدنيّة بالعالم كان وجهه يتشوّه في خيال ندى ويتشكّل بصورة «خنزير. دود. جراثيم..» (ص ٦) فيملؤ نفسها بالقرف والسخط ويثير فيها روح التحدّي: «سأتحداه هذا الخنزير» (ص ٦).

■ ومن مظاهر التحدّي إعلان كرهها للرجال «أكره والدي والمسوخ التي عرفتها في محيطه» (ص ٣٤). وهي تعلن كرهها لوالدها لا لشيء سوى أنّه رجل. كتبت إليه: «بابا، أنا أكرهك. أكرهك حتّى الموت لأنّك رجل وتأبى إلاّ أن تشعرني بضعف المرأة» (ص ٢٨).

■ ومن مظاهر التحدّي تشويه صورة الرجل في نفسها. فهي تقارن الرجل بالحذاء، فترى أشكالاً وألوانًا للرجال كأشكال الأحذية وألوانها: «السائق الرخو حذاء أحمر. صاحب المحل حذاء ضيّق. العتّال حذاء رخيص. والدي كعب عال يخنق بأرستقراطيّته لكنّه يرفع ..» (ص ١٢٥).

■ ومن مظاهر التحدّي ترك المدرسة احتجاجًا ورفضًا. فما النفع من مدرسة تعلّم فتياتها أنّ الأنوثة نقص وضعف وعبء. وتعلّم فتياتها أنّ السكوت فضيلة وأنّ التبعيّة طبيعة وأنّ العبوديّة قدر.

■ ومن مظاهر التحدّي رفض العلاقة الجنسيّة بالرجل فتحتفظ ندى بكنوز جسدها لنفسها «دون تحابب وانتفاخ وبذر نسل» (ص ٥٢). ورفض ندى للجنس، للدم، هو رفض للتمييز بين المرأة والرجل في ضريبة الحياة. فما دام الرجل لا يدفع من دمه فليس على المرأة أن تدفع وحدها. وقد أدّى هذا الرفض بندى إلى رفض الجسد نفسه. وترجمتْ هذا الرفض عندما فكّت حزامها ونبشت شعرها وحلّت حمّالة صدرها ورفعت جوربيها إلى أعلى ساقها كي لا يعود جسدها مغريًا، أي لا يعود أنثويًّا: «أريد أن أشوّه مظهري، فمن المستحيل أن أقوم بمهمّة النسل وأكون صنم جمال وبئر لذّة» (ص ٦). هذه النظرة العدائيّة إلى الجسد الأنثويّ تكرّر التعبير عنها في «فتاة تافهة»، إلى حدّ إظهار الكراهية له: «إنّي أكره هذا الجسد، أشعر نحوه باحتقار هائل وبغضب جارف» (ص ١٥٧). وتحوّلت هذه الكراهية إلى قرف من الجنس. فندى لا ترى في العلاقة الجسديّة سوى فراش وامرأة ودم. ولاحقتها هذه الصورة إلى حدّ الرغبة في تدمير الجسد: «بي رغبة ملحّة تجنّ في داخلي لأهجم على شيء ما وأخنقه وأنتقم من المرأة فيَّ، من ثدييَّ، من عضوي الأنثويّ» (ص ١٢٧). هل تتبادل ندى الدور مع الرجل فتعيش عقدة الخصاء. أليست عقدة الخصاء هي خوف الرجل من عضو المرأة، من الفم المفتوح الذي يتربّص بعضوه لابتلاعه وقطعه وتملّكه لسدّ النقص في الجسد الأنثويّ الناقص؟ لا، ليس الأمر كذلك. «عقدة» ندى هي خوف المرأة من الذكر الذي أخضعها اجتماعيًّا ونفسيًّا وعقليًّا منذ الصغر، وها هو ينتظر نموّ جسدها لإخضاع الجانب الباقي من شخصيّتها أي أنوثتها، فتكتمل بذلك حلقة الخضوع والتبعيّة.

■ ومن مظاهر التحدّي رفض الزواج، لأنّه يفرض عليها ما تكرهه. وتسخر ندى في سرّها من والدها لأنّه «يعتقد أنّي سأتعطّر لأجل ضبع كريه مثله حتّى يشاركني الفراش ويملأ فراغ ليلي بالشخير وبرائحة فمه المنتن». (ص ٤٧).

■ ومن مظاهر التحدّي رفض الأمومة والأطفال. وندى تكرّر رفضها للأطفال. وتقسو في التعبير حين تربط بين الطفل والعلاقة بالرجل «إنّي أكره الرجال وأكره الأطفال». وهي تردّد هذه العبارة في آخر كلّ فصل من فصول الرواية حتّى تصبح فيها مثل اللازمة في الموشّح. فما حاجة المرأة إلى النسل إن كانت ستلد فتاة مثلها، أقنومًا، كائنًا ناقصًا يحتاج إلى الرجل ليعيش؟ أليس الأفضل لها أن تسعى إلى تحرير نفسها والاستقلال بشؤونها كي تلد فتيات حرائر لا يعشن كالطفيليّات؟

□ | ٨. رفضت ندى الجنس والزواج والأمومة والأطفال، لأنّها كلّها من نتائج علاقة المرأة بالرجل، ولأنّها أرادت أن تتحدّى المجتمع الذي يعلّم المرأة العبوديّة، ويعلّم الرجل أنّه السيّد عليها. ولكنّ تحدّيها لا يجدي ما لم تستكمل تحرّرها وتحقّق كيانها. لهذا اتخذت قرارها وأبلغته إلى أمّها في رسالة قالت لها فيها: «أنا ماضية أبحث في الشوارع عن قوّتي الضائعة.. ماضية أبحث عن كياني، عن استقلالي، والحريّة التي حُرِمْتُ». (ص ٢٨). والكيان في مصطلح ندى نقيض الأقنوم. الكيان وجود حرّ لا يحتاج إلى غيره، ويعيش بقوّة ذاته. وندى تعرف أنّها حرّة في داخلها، ولكنّها تريد أن تكون كيانًا حرًّا يعترف به الناس. وأوّل الطريق إلى الكيان أن تتحرّر من الوهم الذي تربّت عليه: «يشوّقني أن أتحرّر من الوهم: وهمي بأنّني أقنوم، ووهمي بكرهي للمرأة، فأنا امرأة، وأنا كيان مستقلّ ما دمت لن أتعرّى ولن أحبّ في سرير ولن أنتفخ ولن أبذر نسلاً، ما دمت لن أحبّ الأطفال». (ص ٢٧).

ومن مراقبة الواقع توضّحت لها مقوّمات الأقنوم ومقومات الكيان: «الخوف مع الجوع مع الشهوة يكوّن امرأة أقنومًا ... هل أنا خائفة؟ هل أنا جشعة (جائعة ؟) هل في عيني شهوة؟ لا، فأنا كيان.» (ص ٧١)

ولقد حرّرت نفسها من الشهوة حين تحرّرت من جسد الرجل. فها هي تعلن أنّها لن تتعرّى ولن تحبّ في سرير ولن تنتفخ ولن تبذر نسلاً، ولن تحبّ الأطفال.

وحرّرت نفسها من الخوف حين اقتنعت أنّ الرجل لا يحمي دائمًا بل يدمي أحيانًا ويخنق. إنّه كالحذاء. فهناك الحذاء اللين الذي يريح، والحذاء الرخيص الجاف الذي يدمي، والحذاء الضيّق الذي يخنق، والحذاء الخفيف الذي يتركها تتحرّر بفوضى (ص ١٢٥).

وبقي عليها أن تتحرّر من الجوع. ولا سبيل إلى ذلك سوى العمل، ولا سبيل إلى العمل سوى الحصول على شهادة البكالوريا.

□ | ٩. شهادة البكالوريا هي إذن طريقها إلى الحريّة. وبالرغم من كرهها للمدرسة والمدرّسين انكبّت على الدرس. المدرسة تعلّم المرأة الخضوع، تلقّنها أنّها أقنوم. ولكنّ البكالوريا توصلها إلى بيروت، وبيروت توصلها إلى الحريّة. «بعد البكالوريا أستطيع أن أصبح إنسانًا.. بعد البكالوريا أصبح كيانًا» (ص ٤٢). وعندما تسألها الخادمة لماذا تتعِب نفسها هكذا في الدرس تجيبها: «لأقطع الخيط الذي يشدّني إلى مصيرك» (ص ٤٩). وتقارن ندى بينها وبين أمّها، القابعة في البيت وفي القهر من تسلّط زوجها عليها. فتقول «الدرس خلاص. يكفيني أنّي سأنفرد في بيت يكون لي، وفي أثاث يكون لي، وفي سيّارة تكون لي». (ص ٤٩).

وربّما كانت الحماسة للبكالوريا هي أقوى المشاعر التي حرّكت ندى في الرواية. كان البيت والأهل والمدرسة والتقاليد جدران سجنها الأربعة. وكانت تتوق إلى الخروج من هذا السجن. ولكن، بعد البكالوريا، وبعد الانتقال إلى بيروت، بدأت حماستها تضعف. فبيروت، من بعيد، عنوان تحرّر ندى من ظروفها وحدودها وقيودها، من كلّ ما هو مفروض عليها. بيروت هي المكان الذي يمكنها أن تمارس فيه قناعاتها، وأن تجسّد فيه أفكارها وأحلامها، وأن تصنع من نفسها كيانًا. ولكنّ بيروت، من قريب، هي مدينة تواجه المنتقل إليها بهموم الحاجة إلى المال والرفيق، وتشعره بخطر المغامرة.

□ | ١٠. رفض ندى للرجل، والتزامها خيار الاستقلال والحريّة، أدّيا إلى شعورها بالوحدة. أحسّت بأنّها وحيدة في الكون. صار يقلقها كلّ شيء وكلّ إنسان. وكانت بيروت الحريّة ترفع أحلام ندى إلى السماء، وبيروت الماديّة تهبط بهذه الأحلام إلى الأرض. فأوقعها هذا الترجّح في التعب، وولّد لديها الشكّ في صحّة خيارها. فبدأت تتساءل عمّا إذا كانت مغامرتها تستحقّ فعلاً كلّ ما تتحمّله من أجلها، وعمّا إذا كان الأفضل لها لو بقيت لدى أهلها.

ولكنّ ندى المتحدّية العنيدة لم تستسلم بل تابعت المسير، كأنّ حريّتها قد كتبت عليها كما كتب الاستسلام على الضعفاء. ولكنّها في ممارستها لاستقلالها شعرت بأنّ بعض مواقفها لم يكن صحيحًا.

لقد رفضت الجنس وتخيّلته دمًا، ولكنّها فيما كانت تستمع إلى بوح رفيقتها عمّا جرى لها مع عشيقها لم تتمالك نفسها، فسارعت إلى غرفتها تتلوّى وتعصر مخدّتها، لأنّ نداء الجسد كان أقوى منها. بعد ذلك حين حاولت تكرار القول إنّها تكره جسدها، تراجعت إذ شعرت أنّها بدأت تحبّ هذا الجسد ولو أنّها ما زالت ترفض الرجل، بدليل قولها إنّها لن تعرّض جسدها «بعد الآن ليضاجع خيال ذَكر» (ص ١٥٧). ولكنّ نداء الجسد استمرّ. وسوف يزداد تعذيبه لها إلى أن تتغيّر صورة الجنس في نفسها.

كذلك لم تتوقّف ندى عن الادّعاء بأنّها تكره الأطفال، لكنّها ما كادت تنام قرب طفل وتشعر بدفئه واستسلامه حتّى شعرت بأنّها لا تستطيع الانفصال عنه. تفاعل ندى مع الطفل الذي وجدت نفسها مسؤولة عنه لساعات أثار في نفسها أسئلة وأجوبة. وأمام المرآة وجدت

نفسها ووجدت الأجوبة المناسبة «جسدي يفتّش عن هدف، جسدي بحاجة لأن يحيا. لماذا تنطّ عيناي إلى المرآة وتتساءلان: هل أنا امرأة؟ بين اللا والنعم ضعت. فتّشت في جسدي عن المرأة فاصطدمت يدي بثديي، اصطدمت بوجهي الناعم، اصطدمت... هذا الجسد يجب أن يقوم بمهمّة ما، أن يعيش لهدف ما، أن يكون إمّا جسد امرأة وإمّا جسد رجل!» (ص ١٥٩).

■ | ١١. التطوّر في النظرة إلى الجسد والأمومة والأطفال رافقه تطوّر في مفهوم الكيان. لم يعد الكيان مفهومًا متعاليًا على الجنس، صورة يتشابه فيها الجنسان. فإذا كانت رغبة المرأة في أن تكون كيانًا تخفي رغبة في المساواة بالرجل. فإنّ المساواة لا تعني التماثل، ولا تعني تجاهل التمايز الجسديّ.

اكتشاف ندى لجسدها كان متوقّعًا، لأنّ للجسد دورًا في حياة المرأة وتفكيرها. والمرأة تحسن قراءة الجسد أفضل بكثير من الرجل، لأنّها تشعر به، بينما الرجل يراه بعينيه وخياله. وفيما يختزل الرجل جسده ببعض أعضائه (كالعضلات، أو سواها)، تهتمّ المرأة بتفاصيل جسدها. لهذا نجد الجسد الأنثويّ في كتابات المرأة حاضرًا دائمًا ولكن مشظّى في الغالب، بينما جسد الرجل قليل الحضور وموحّد.

ولعلّ هذا هو السبب في حضور المرآة في روايات منى جبّور، كما في الروايات النسائيّة على الإجمال. فندى في «فتاة تافهة»، كما كوثر في «المسوح والغربان البيضاء»، وبالرّغم من موقفهما من الرجل ومن الجنس، تلجآن إلى المرآة كلّما احتاجتا إلى خلوة مع الذات. فالمرآة هي الرفيقة المخلصة التي لا غنى عنها. فهي التي صارحت كوثر بأنّها بشعة فصدّقتها، وهي التي عادت وصارحتها بأنّها لم تعد بشعة فصدّقتها أيضًا (المسوح والغربان البيضاء، ص ٣٦٣). ولكنّ ندى في أواخر رواية «فتاة تافهة»، صارت تصدّق أيضًا إحساسها. لقد أصغت طويلاً إلى عقلها، وها هي الآن تفتح أذنيها لنداء قلبها وصوت مشاعرها.

■ | ١٢. هل أخطأت ندى في بحثها عن الكيان أم في بنائها مفهوم الكيان على المغامرة؟ سؤال أتركه لقرّاء الرواية. ولكنّ الأمر الذي لا ريب فيه أنّ ندى تعلّمت من رحلتها أنّ الرجل الذي يعترف لها بكيانها لا يعود عدوًّا ولا خصمًا، وقد يكون حاجة. وقد اختبرت هذه الحاجة ذات ليلة حين كانت مسؤولة وحدها عن طفل. يومذاك جافاها النوم من خوفها، وزاد القلق من مسؤوليّتها. «لو كان بقربي رجل لما خفت، لو كان في البيت نبيل لما قلقت» (ص ٢٠٩). وأمام الطفل النائم قربها تساءلت: هل أكره الأطفال؟ وكأنّها خافت أن تخسر كيانها إن هي أحبّته، فصرخت «يجب أن أكره الأطفال» (ص ٢١٠). ولكنّ هذه الـ يجب دلّت على أنّها لا تكره بمشاعرها بل بعقلها.

■ | ١٣. هل تخلّت ندى عن ثورتها وتراجعت عن أهدافها. لا، قطعًا. فبعدما صارت كيانًا تحقّقت غايتها، وهدأت ثورتها، ولم تعد تكره الرجال، بل صارت ترغب في الرجل وتسعى إليه لطرد الغربة من نفسها.

لهذا تنتهي الرواية بالبطلة وهي سائرة تبحث عن رجل وجنس وأمومة وطفل، تريد أن تكون امرأة وأمًّا، ولكن من دون أن تفقد كيانها:

«إنّني أفتّش عن رجل يطرد غربتي ويترك لي حريّة تحطيم كدسة صحون في مطبخ يكون لي، في بيت يكون لي.
ورحت أسير ، وأسير ، وأسير ، أبحث عن حرارة لثديي.
ولا أزال أسير دون أن أدري إلى أين أمضي».

جورج يمّين

صائد الرؤى في غابة المعنى

○ | د. زهيدة درويش جبّور

للمبدع وحده أن ينسج الغياب حضورًا في حدائق الأوراق وأن ينتصر بالكلمات على الموت ليولد مرةً تلو أخرى كلّما سافر فكر في حروف أو أبحرت مخيّلة بين دفّتي كتابٍ خطّه قلمه، «أصبعه السادسة»، كما يحلو القول لجورج يمين، هو الذي لم تكن الكتابة مهنته بل مداه الحيويّ، ولم يكن الشعر له مجرّد لغة بل الحياة نفسها. وسواء كتب النثر أو صاغ الكلام في تفاعيل القصيدة يبقى جورج أوّلاً وقبل كلّ شيء شاعرًا أعني بذلك إنسانًا يمتلك إحساسًا مختلفًا بالأشياء، يحدس بأسرارها الخفيّة، يراها بعينين مغسولتين من صدأ العادة فتتجلّى له ببراءتها الأولى لتصير مصدرًا للدهشة والغرابة. كان جورج مسكونًا بسؤال الشعر وعلاقته باللغة، يسائل القصيدة عن نفسها، يكتبها إملاءاتٍ للتجربة، غير أنّ لديه قناعةً راسخةً بأنّ الكتابة تبقى عاجزةً أمام بهاء الرؤيا وعمق التجربة. فأجمل الكلام بالنسبة له هو الذي لم يُقل، وأجمل الشعر ما لم يُكتب أو ما لا يكتب:

«إنّ ما من خلق يضاهي الشعر قبل أن يُكتب. وإنّ ما من موتٍ أكثر موتًا من نقله إلى المطبعة، لكي يُسجن على ورق كتاب أو جريدة أو مجلّة، أو أيّ نوع من أوراق النعي المتعدّدة الأشكال» (ص ٣٢). تختصر هذه العبارات مأزق الكتابة وتكشف عن التحدّي الكبير الذي يواجهه المبدع: أن يلتقط المعنى الهارب وأن يحافظ في الوقت عينه على زئبقيّته، أن يسكب التماعة الرؤى في قوالب اللغة وأن يتركها طليقة تسرج العتمة نحو العجائبيّ الفريد. ثمّة فخّ آخر منصوب للقصيدة يشير إليه كاتبها بلغة المجاز: أن تقع «تحت زجاجة العين»، أي أن تتحوّل إلى جثّة هامدة يُعمِل فيها مبضعَه ناقدٌ يقاربها من الخارج فيقتل فيها الحركة ويطفئ الشرر. وجورج يمين يتّفق في هذا مع كثر غيره من

الشعراء الذين لا يتردّدون في إعلان موقفهم السلبيّ من النقد، وأزعم أنّهم محقّون في ذلك، إلاّ إذا حاول الناقد أن يقارب القصيدة من الداخل أي أن ينطقها ويصغي لها ليدخل في مناخ التجربة التي ألهمتها، بعبارة أخرى أن لا ينظر إليها «بعين زجاجيّة» بل أن يترك لعينيه حريّة أن تصيرا مرآةً للضوء الذي يشعّ منها. وهذا ما سأسعى إليه في هذه المقاربة حيث سأترك لجورج الكلام وأستدعي صوته من وراء الغياب صوتَه الحاضر أبدًا في سطور أرادها خطوطَ ضياء في عتمة الأيّام.

يحتلّ سؤال الشعر، وكذلك مسألة الكتابة، حيّزًا مهمًّا في كتاب «نقطة في الفراغ»، وهو مجموعة نصوص بعضها قصائد من شعر التفعيلة وبعضها أقرب إلى قصيدة النثر، تشكّل وحدة التجربة الوجدانيّة خيطًا جامعًا بينها: شعور بالخيبة والانكسار وإحساس بالغربة والضياع وأزمة الهويّة في وطن أنكر وجهَه حين اجتاحته الحرب وزرعت فيه الحقد والموت والخراب. فلا يبقى إلاّ ملاذُ الكتابة، لكنّها ليست سوى انتصار موقّتٍ على المأساة، مجرّدِ محاولة فاشلة للتغلّب على الفراغ والعدم المسيطر:

«قلت سأكتب. ثمّ تساءلت ماذا أكتب؟ ثمّ دخلت في الوقت الضائع بين الكتابة وعدمها. ثمّ نهضت. مشيت. تبعتني الورقة البيضاء، أمسكتني من يدي، تبعتها إلى حيث كانت. وكتبت، قرأت حالي، وجدتُني لم أقل شيئًا، أضفت بياضًا إلى بياض، أضفت ظلال يدي، ولمّا رفعتها أمّحيت، أنا يدي وحبرها ظلالها، أنا الظلّ، والكتابة خدعة». كلّ إشكاليّة الشعر تحضر في بضع عبارات: إنّه الحدس بالحضور الخفيّ الذي يعصى على الكلمات، دخول في رحم الصمت لاستيلاد المعنى الذي ما أن يصير لغة حتّى يشي بعبثيّته، فإذا بالخطوط السود على بياض الصفحات مجرّد سراب لكأنّها كتبت بالماء لا بالحبر. عندئذٍ يواجه الشاعر عجزَه ويعود إلى وحشة الصمت المنتصر.

«ما الكتابة؟ عادة سريّة يمارسها شهوانيّون يخافون الاختناق. ما الكتابة؟ تدرُّج الحبر كحليًّا، أزرق، أبيض، صمتًا. ما الكتابة؟ انفصال عن المتّحد إلى الفتنة الموقّتة»(ص ٧٦).

هكذا نستطيع القول إنّ جورج يمّين لم يكتب الشعر مجرّد تعبير عن الأحاسيس والمشاعر التي تجتاح أناه الفرديّة، بل مارسه لغة للسؤال وخطّه علامة استفهام كبيرة في كتاب الوجود حيث تختفي الحقيقة تحت القناع، ولا يُرى من النور إلاّ الظلال ويبقى معنى الأشياء أسيرَ الألفاظ، فيكون الكلام مجرّد ثرثرة فيما الصمت هو اللغة. لذلك فإنّ ولادة القصيدة لا يحدّدها فعل إراديّ، بل دخول في الحالة، إن استطعت القول مستعيرةً لغة التصوّف. إنّها اللحظة التي ينخطف فيها الشاعر إلى عالم مسحور تتراءى له فيه الصوَر وتهبط إليه كلماتٌ غيرُ الكلمات؛ كلماتٌ متحرّرة من سجن القواميس لها أجنحة فراشات وعصافير، تفتح آفاق الخيال غنيّة بالاحتمال، كلماتٌ يسلس لها القياد، ينكتب بها ولا يكتبها، تجتاح كيانه تملأ الهواء الذي يتنفسه، تتزاوج، تتكاثر دون إذن منه، تدخله في مناخ التحوّلات، وتشعره بالامتلاء لتملي عليه القصيدة:

«يبدأ والأشياء في مطارحها وقليلة، ثمّ رفّة عين، وتغيِّر الأشياء أوضاعها، تمُطُّ أشكالها كالقطط وتتكاثر، يحاول ترتيبها فإذا به نسي تمامًا كيف وأين كانت، يحوم فوق رأسه الكلام كطيور كثيرة لا يعرفها، من أين كلّ هذه الطيور؟ (...) الكلام معشِّش في الهواء، يفقِّس في الضوء في التنفس، في الصمت المهيّأ للكلام المبلوع». يقاوم الشاعر، يرفض أن يكتب، يخاف أن يكتب لأنّه على يقين من استحالة الشعر كما يفهمه هو: لغة للكشف عن اللامحدود واللامتناهي العصي طبعًا على الامتلاك. ولأنّ مفهومه للشعر يرقى به إلى ضرب من ضروب المعرفة كان جورج يهاب اللحظة الإبداعيّة ويتردّد في الاستجابة لها، حتّى إذا فعل كان ولوجه إلى عالم القصيدة كدخول الناسك إلى المعبد للصلاة، ولا غرو أن يكون «خيط الصلا» عنوانًا لقصائده المكتوبة بالعاميَّة والتي تضاهي بجماليّتها أخواتِها المكتوبة بالفصحى والتي يتحوّل بعضها إلى طقس صلاة تصير الكلمات فيه تعويذاتٍ والحروف مفاتيح لأبواب عالم مفتون:

«هل أحد رآني أتنامى شجر نخيل، وسمع النخيل يهتف: أنا مآذن الشجر فتنهض البيوت من ركعتها وتقف بناياتٍ وبروجًا؟ هل شاهدني أدفر المدن الساحليّة إلى البحر فتسير على وجه الماء كالعنكبوت ولا أعجوبة؟ وهل ضبطني أحد محتالاً في أعياد الأنبياء أنافق بتقديم طقوسي، لردّ غضبهم عنّي وعن «الصورة» التي دكّت أسوارهم، ولذا حرّموها عليّ...» (ص ١٠٨-١٠٩). إنّه التكريس لمملكة الشعر، مملكة ليست من هذا العالم، مليكها رامٍ أعمى- عبارة أستعيرها من صلاح ستيتيه- يصيد المعاني في «غابات الفحم مترامية إلى النقطة الأخيرة من خابية البحر» (ص ١٣) وينسج من الرؤى صورًا يعيد بها خلق العالم، تقرّب المتباعد وتزاوج بين الصوت واللون وتقيم اللحمة بين المجرّد والمحسوس فتأتي بالخارق والمدهش:

«لم أقل شيئًا، بيد أنّ التلال قفزت من نومها الفِضيِّ، نفضت الليل ونفرت كغزالة ملسوعة... والشجرة التي حبستها في آلة التصوير خلعت اللحظة وتدفقت في الصحو الخريفيّ... فكيف لا تخطفني الدهشة؟ لماذا أنت خائفة، وصوتك البرتقاليّ مثل ساقية في الظلّ؟»

جميلة هذه اللوحة لمشهد طبيعيّ عند الصباح، يزيد من بهائها حضور الحبيبة شريكةً في متعة التأمّل، وسميرةً يؤاخي صوتها خرير الماء ويتلوّن بأشعّة الشمس متلألئة على شجر البرتقال. إنّها لحظة فردوسيّة يستعيد الشاعر فيها الإحساس ببكارة الأشياء ويتحرّر فيها

المألوف من رتابته، فتأتي الصورة مزيجًا من البساطة والعفويّة والقدرة على المفاجأة. ولعلّ من سمات الخيال الشعريّ عند جورج يمّين استيلاد الدهشة من البساطة نفسها فتأتي الصورة عنده بعيدة عن التصنّع لأنّه لا يسعى إليها بل يتلقّاها هديّةً من الطفل الذي لم يزل يحمله في أعماقه رغم الزمن العاقر في وطنٍ شاخ، نخرت الحرب جسده وقطعت أوصاله وشرّدت أهله. يطلق الشاعر صرخته ضدّ الحرب، معلنًا تمرّده على لغة العشائر والطوائف وزعماء القبائل، مجاهرًا بكفره بالشعارات الجوفاء والإيديولوجيّات القاتلة تتاجر بها زمرة من مدّعي النضال من أجل الوطن والقضيّة. لذلك تنكره العشيرة ويلفظه المكان فيعيش آلام النفي والغربة في الوطن الذي ضاقت أرجاؤه فصار سجنًا. نقرأ في حواريّة:

- «ولماذا لا تختار سكّة على خرائط النضال والقضايا؟
- لأنّ كلّ الديانات التي اعتنقتها واعتنقتني، على هذه الأرض المحتشدة بالشقوق والآلهة، علّمتني أنّ الملاك والشيطان الرجيم، جدران لزنزانة واحدة، اسمها «وطني».
- أنت مهزوم
- طوبى لمن جاوَر الهزيمة، أو صارها، فصمته يخترق لوحة «الأوطان» الذابلة، وظلّه ثوب سرّي لأرض تحلم بفارس».

ولا تزال الأرض الموقوفة تنتظر... ولم يبق لجيل الفرح الزجاجيّ والأحلام المكسورة سوى السخرية، وجه آخر للفجيعة. يضحك جورج حتّى لا يبكي ويسخر من المأساة كي لا يصاب بالجنون:

«رجل قاعد على حجر مكسور، ظهره إلى حافّة الهواء، ظلّه مبعثر، سبحة مقطوعة، رأسه مثقل بالنعاس، يتسلّى بحروف اسمه الأربعة، يقَومعها، يفرطها، يكرّجها، يصِفُّها كيفما اتّفق، يقرأ بصوت بطيء خافت ثمّ «يفقع» من الضحك» (ص ٤٧).

الضحك تعويذة ضدّ الضياع حين تتصدّع الذات وتدخل في أزمة الهويّة، لأنّ الأرض من حولها خراب ولأنّ الأفكار ركام والمُثل أكاذيب:

عبثًا تبحث عن لون عينيك/ والضوء رماد/ عن شكل أصابعك/ في ركام الحطب/ وعبثًا تستنطق المرايا/ والظلال المحيطة بالمكان/ فلن ترى من وجهك سوى التجاعيد،/ ولن تلتقط من صوتك/ إلا ما لم تقله بعد».

لعلّ الحزن هو السمة الأبرز لتجربة جورج يمّين الوجدانيّة، ومردّه إلى شعور مرهف وإحساس إنسانيّ عالٍ يحمله إلى التماهي مع المستضعفين والمقهورين والبسطاء ويجعله يكابد إلى أوجاعه الخاصّة أوجاع الوطن المنحور بأسره. فهو يعيش الحرب مأساةً داخليّة كأنّ الرصاص الذي ينخر جسد الوطن الصغير إنّما ينهمر على أيّامه فيقطع عنه الهواء، ويكمّ صوته، ويصيبه بالاختناق:

«إنّ وطنًا بكامله يركمون جثّته على بلاطة صدري، ويحفرون عيون أطفاله نهرًا محطّمًا في عظامي المتشابكة كالأسلاك...» (ص ١٨). يكابد الحزن بشجاعة الرواقيين يتألّم دون أن يئنّ، وينوء تحت حمله من غير أن يشتكي: «لست سروة كي لا أتعب من أحزاني (...) ولا أبيع شتاءات كي أشتري ربيعًا وقصبًا لأغنّي» (ص ٤٥). هل هو كبرياء ابن الجبل الذي اختبر صلابة الصخر وكانت بينه وبين الحجر لغة هو الذي يكتب: «الحجر بداياتي، حبري البكر... في رائحته عطر غامض، في جورته تتكوّم سماء... في البدء لم تكن الكلمة كان الحجر، سمعته ينشد سفر التكوين، دخلت في جلده فرأيت وجه أمّي يطوف» (ص ٥٣). إنّه إعلان انتماء لأمومة الحجر- الصخر- الجبل. لكنّ هذا الإهدنيّ البارّ كان عاشقًا لطرابلس هذه «الحلوة النائمة بين شراشف البحر وخد الحجر العتيق الحنان» كما تقول القصيدة حيث نقرأ أيضًا هذه السطور الموحية: «فيها يكرج قلبي من ضوء إلى ضوء، والشمس تهطل عليّ مطرًا عاشقًا، فتشهق الأرض وتصير أصوات الباعة قوس قزح» (ص ٩٧).

كان جورج صادقًا في تجربته. لم يكتب

الشعر ادّعاءً، بل استجابةً لنداء داخليّ يلحّ عليه. كتبه ليحيا ويموت ثمّ يولد من جديد في كلّ قصيدة. كتبه لينوجد به، فأعطاه الشعر حيوات كثيرة ومنحته القصيدة القدرة على أن يكون الواحد- المتعدّد تتشظّى أناه ليتماسك حضوره، وتتعدّد ظلاله ليزداد وجهه تألّقًا، يغترب عن ذاته مسافرًا إلى الآخر فإذا به يزداد فرادةً:

هل تذكر وجهك كيف كان، وجهك عندما لمحته في وجه غيرك. هل «تفيق» على ملامحك عندما لا تشبه ملامحك، ولا أحد يعرفك سوى أمّك التي تشمّك لتراك (...) إبسط وجوهك لترى كم أنت شبيه بكلّ هؤلاء، وكم أنت وحيد بين هؤلاء «الكلّ»... (ص ٥٩). هكذا يفتح الشاعر ذراعيه ليعانق شموليّة الذات الإنسانيّة مرتقيًا بالتجربة من الخاصّ إلى العامّ، وينتصر بالكلمة على هشاشة الوقت الذي يبدّده دون أن يطفئ الصوت النابض أبدًا في جسد القصيدة موقدًا نار الحضور مضيئًا شعلة التمرّد التي لا يجب أن تنطفئ:

«أغنّي ليرجع إلى ذاكرتنا
غناءُ ثورات كلّ الأزمنة
التي برغم شتاءات التاريخ
الطويلة...
عرفت كيف تسطِّر فينا
الصرخة الملتهبة ذاتها».

العمل الرعويُّ الجامعيّ في سيّدة اللويزة

ثمارٌ جديدة.. وبَركة
الأب فادي بو شبل مرشدًا عامًّا

بدأ العمل الرعويّ الجامعيّ برنامجه لهذه السنة، باندفاعٍ وفرح، بعد تعيين لجنة جديدة، تعنى بالتنشيط والتحفيز، وتتألّف من المنسّقة باميلا الشمالي ونائب المنسّقة إيلي متّى وأمين الصندوق جورج عون ومسؤول الإعلام مازن نعوم ومسؤول النشاطات سامر صفير ومسؤول الترفيه طوني عقيقي ، ومسؤولة الروحيّات نتالي بقاليان و أمينة السرّ سينتيا قدّوم، فضلاً عن إيلي حلو في مسؤوليّته عن الجوقة.

يلتقي المشاركون يومي الإثنين والخميس حول الإنجيل المقدّس أو موضوعٍ ما.

وقد اعتمدت اللجنة ليوم الإثنين، دعوة أشخاص من الجامعة أو من خارجها لتناول مواضيع تهمّ تساؤلات الشباب وأحوالَهم وظروفَهم الحياتيّة. فانعكس ذلك إقبالاً وحضورًا جميلاً. أمّا يوم الخميس فحافظت فيه على المشاركة بكلمة الله من خلال شرح نصّ إنجيليّ.

والنشاط الذي كان له الصدى المُحبَّب، كان في ١٥-٢٠٠٧/١١/١٦، عندما عرّف كلّ نادٍ عن نفسه بما يمتاز به، فيما قدّم العمل الرعويّ «خبز حياة وخمر جديد» تشجيعًا للمشاركين والطلاّب الجدد على الانتساب إلى هذه الجماعة الروحيّة.

◘ | يوم العمل الرعويّ الجامعيّ

استضافت جامعتنا هذه السنة صبايا وشباب العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ، يوم ٢٠٠٧/١١/٢٢.

شاركت الجامعات الكاثوليكيّة، بالإضافة إلى الجامعة اللبنانيّة بفروعها، في إحياء هذا اليوم. وكان الهدف منه التعريف بالعمل الرعويّ الجامعيّ لطلاّب الجامعات الجدد والطلاّب الثانويّين، واتّخاذه مساحةَ تلاقٍ، ومناسبةً لإطلاق موضوع السنة: «**من الخلاف إلى الاختلاف**».

تناولت المحطّات صلوات تسبيحيّة، وحلقات حوار، وما قدّمته جماعة **أديان** حول النظرة الإسلاميّة إلى المسيحيّة والنظرة المسيحيّة

إلى الإسلام وكيفيّة الاستفادة من الغنى الموجود عند الآخر المختلف. وقد قُدّمت لوحات استعراضيّة، ورقصات تعبيريّة، ومشاهد مسرحيّة، من مختلف الجامعات.

احتفل بالقدّاس الأب جوزيف نصّار اليسوعيّ، يعاونه عدد من الآباء المرشدين بمشاركة حوالى ١٣٠ شخصًا.

واختُتم اللقاء بكلمة من **المرشد العامّ الجديد الأب فادي بو شبل المريميّ**، وهذا نَصُّها:

«الحبُّ لا يوفى إلاّ بالحبّ»

هذا ما قالته القدّيسة الصديقة والشابّة تريزيا الطفل يسوع. وهذا ما شعرتُ به يوم ٢٠٠٧/١١/١٤ عندما أبلغني الأب العامّ الأباتي سمعان أبو عبده بأنّ مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان انتخبني مرشدًا عامًّا للعمل الرعويّ الجامعيّ في لبنان، هذا المركز الذي فيه أستطيع أن أقدّم خدمة للكنيسة أمّي في الوسط الجامعيّ.

الشكر أوّلاً أرفعه لمن أحبّني غاية الحبّ حتّى أنّه «ضحّى بنفسه من أجلي» (غلا ٢/٢٠)، لتكون لي «**الحياة أوفر**» (يو ١٠/١٠) باسمه، وإلى أبيه القدّوس الذي يعتني بكلّ منّا أشدّ عناية، ويهبنا روحه القدّوس لنتبع المسيح ونشهد له أمام إخوتنا البشر.

والشكر أيضًا لأُمّي الكنيسة المقدّسة التي منحتني ثقتها، من خلال مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، لأكون خادمًا لشبيبتها في الوسط الجامعيّ.

والشكر للرهبانيّة المريميّة التي لي شرف الانتماء إليها، من أجل كلّ التسهيلات التي تمنحني إيّاها، لأقدّم خدمة أفضل.

وكيف أنسى أن أشكر الأب جوزيف نصّار الذي اختبرت مدى أبوّته ومحبّته للشبيبة، طوال ستّ سنوات ومعه كلّ المرشدات والمرشدين زملائي في العمل الرعويّ الجامعيّ وفي خدمة الكنيسة.

وهل أنسى أولئك الأشخاص الذين صلّوا وعملوا من أجل وصولي إلى شرف هذه الخدمة العظيمة؟ طبعًا لن أذكر أسماء، إنّما أودّ فقط أن أرفعهم جميعًا إلى الربّ إلهي بشفاعة العذراء، ليكونوا مباركين ومقدّسين بحياتهم وخدمتهم.

أمّا أنتم الشبيبة الجامعيّة فلديّ الكثير لأقوله لكم. ولكن، وقبل كلّ شيء، أريد أن أجدّد لكم تعهّدي واستعدادي الكليّ لخدمتكم، وللسير معكم نحو ربِّنا الذي «**أحبَّنا حبًّا أبديًّا**» (إر ٣/٣١)، ودعانا إلى نوره العجيب.

أيها الجامعيّون الأحبّاء، إنّ الربّ الذي نؤمن به،هو أيضًا يؤمن بنا، ويريدنا أن نكون له شهودًا حقيقيين، لكي يصل من خلالنا إلى إخوتنا الذين نلتقي بهم في جامعاتنا ومجتمعنا.

والشهادة للربّ تتطلّب منّا، قبل أيّ شيءٍ، سخاء في المحبّة. وكلّنا نعلم كم أنّ الشباب حماسٌ وصدقٌ وعطاء. لذلك، ها أنذا أمدُّ لكم يدي لأسير معكم إلى حيث يقودنا الروح، لأنَّ «**الذين يقتادون بروح الله هم أبناء الله**» (رو ١٤/٨)، حسبما قال القدّيس بولس.

معكم ومع الأمانة الجديدة، أعلم جيّدًا أنّنا سنتخطّى كلّ الصعاب، ونواجه كلّ التحدّيات، ونعمل على إيصال كلمة الحياة ونور الربّ إلى الذين يعيشون في ظلال الموت.

لذلك، أيّها الأعزّاء، إنْ كنّا نؤمن أنّ يسوع «**جاء إلى العالم ليُنير كلّ إنسان**» (يو ٩/١)، فهل نختار الظلمة وأعمالها؟!

وإن كنّا نعترف أنّ يسوع هو «**الطريق**» (يو ٥/١٤)، فلماذا نختار سبل الموت؟!

وإن كنّا نعلن أنّ يسوع هو «**القيامة والحياة**» (يو ٢٥/١١)، فكيف لا نعمل بكدٍّ وجدّ في حقله المبارك، الذي هو الكنيسة المقدّسة المنتشرة في الأرض كلّها؟!

أيّها الأصدقاء الشباب، إنّ محبّة المسيح مغامرة شيّقة، والعمل لأجله سعادة لا توصف، واللقاء به تجدّد وحياة. لذلك أدعوكم إلى سماع صوته واتّباع خطواته، لتصلوا إليه «**فتكون لكم الحياة وتكون لكم أوفر**» (يو ١٠-١٠).

وَلْترافقكم يدُ مريم الأمّ البتول وشفاعتُها، لكي تؤمنوا وترجوا وتحبّوا على مثالها.

الدكتور العميد جان فارس

الراحلُ في فجرٍ من شموس آب إلى عين الرحمة..

وعين حِرشِه

وُلد في عين حرشه، من أعمال راشيّا الوادي في البقاع الغربيّ عام ١٩٥٤، وحاز على إجازة ثمّ ماجستير في الرياضيّات من الجامعة اللبنانيّة في بيروت عامَي ١٩٧٨و١٩٧٩، ثمّ على منحةٍ لدكتوراه في الرياضيّات من جامعة ويسكونس- ماديسون الأميركيّة عام ١٩٨٧ حيث كان يعلّم أيضًا. وأصبح منذ العام ١٩٩٢، بعد الجامعة اللبنانيّة وكليّة بيروت الجامعيّة، أستاذًا في جامعة سيّدة اللويزة، فعميدًا لكليّة العلوم الطبيعيّة والتطبيقيّة بين ٢٠٠١ و٢٠٠٦. وفي ٢٠ آب ٢٠٠٧ كانت وفاته الأليمة.

العميد أ.د. جان فارس له مساهماتٌ مشهورةٌ في التدريس والتأليف والتطوير البرامجيّ، استحقّ عنها غيرَ تنويه، فأُدرج اسمُه عام ٢٠٠٣-٢٠٠٤ في كتاب Who is who في لبنان.

وأسرةُ المجلّة، كما أسرةُ الجامعة بأكملها، لن تنسى ما كان له من فضلٍ علميّ وأثرٍ شخصيّ، وقد تميّز بابتسامةٍ تشفُّ عن خلقيّة راقية وسلوكيّةٍ رصينة. وإنّها إذ تسأل له الرحمةَ الالهيّة، تسألُ لعائلته، ولاسيّما للزميلة العزيزة نادين وللصغيرين الحبيبين مارك وبرونو، العزاءَ الالهيّ.

أمّا الرحمةُ والعزاء، فقد صعّدت الجامعةُ الصلاة في سبيلهما، في القدّاس الذي أقامته ظهرَ الأربعاء ٢٠٠٧/١٠/١٧، وتلاه الاعلانُ عن قرار رئيس الجامعة وضعَ رخامةِ وفاءٍ عند زيتونةٍ في ظلّ مبنى الأوديتوريوم، وتسميةَ القاعة (S105) في كليّته باسمه.

وفي القدّاس وجّه **الأب الرئيس وليد موسى** كلمةً، جاء فيها:

أيّها الأحبّاء
رغم أنّ صلاتنا المعتادة: «أبانا، لا تدخلنا في التجارب...»، فقد كانت لنا، في هذا الصيف، تجربة مرّة غير منتظرة: إنّها تجربة الموت، وكم هي موجعة وجارحة وصعبة. لقد سقط لنا فارس، بصورة فجائيّة، فكانت الصدمة وكان الألم الكبير، وغاب الصديق العميد السابق الدكتور جان فارس. إلاّ أنّنا لم نفقد الايمان؛ وإيماننا وحده طريق الخلاص والانتصار على التجارب.

القاعة ▼

أصدقكم القول: غيابه المفاجىء كان فاجعًا لنا، كما لعائلته. بكيناه من القلب، وشعرنا بعمق الخسارة؛ فجان لم يكن مجرّد عابر في هذه الجامعة، ولا مجرّد أستاذ أو عميد. لقد كان أحدَ أعمدة الجامعة، وأحد وجوهها المنيرة. لم يكن رجل الضوضاء، بل كان رجل العمل والصمت. لم يكن رجل التطرّف والقساوة، بل كان رجل الاعتدال والانفتاح والمحبّة. سلك مع الجميع سلوك الصديق والزميل والأخ، ولم يترك، في قلوب الآخرين، سوى التقدير والاعجاب.

نحن، بخسارته، نشعر أنّ بعض النور العلميّ شحّ في هذه الجامعة، ونحسّ أنّنا فقدنا رجلاً واعدًا، يحمل، في عقله وأوراقه، الكثير من الرؤى والأفكار والأبحاث والدراسات. رجل الأرقام كان. ولكنّ الأرقام لم تشغله عن واجباته الانسانيّة وحضوره الوجدانيّ، فكان لصمته أحيانًا وقع أكبر تأثيرًا من كلمات بليغة وخطب مطوّلة.

كنّا، في آب الماضي، نعيش مأساة الشمال في نهر البارد، ونبكي شهداءنا الأبطال، ونعتزّ بهم يدافعون عن لبنان وكرامته، فإذا بنا نودّع شهيدًا من نوع آخر: إنّه جان، شهيد العلم والبحث والجديّة والالتزام.

فشكرًا لك، يا أخي جان، أقولها باسم كلّ الجامعة، كلّ زملائك وطلاّبك، كلّ العاملين في هذه المؤسّسة. لن يغيب اسمك، وستظلّ صورتك محفورة في العيون والقلوب. ومع زوجتك العزيزة، نادين، سنتابع الطريق. وعزاؤنا أيضًا أنّنا سنتابعها مع ولديك: مارك وبرونو. وكم آمل أن أراهما في هذه الجامعة، يحملان طيبة والدهما، وأخلاق أمّهما، وتراث الأجداد الطيّبين.

أنتَ أعطيتَ من قلبك. فتحيّة لك، مع أصدق العواطف نقدّمها إلى والدتك المفجوعة، وإلى إخوتك وعيالهم الكريمة، وإلى كليّة العلوم الطبيعيّة والتطبيقيّة، في جامعتنا الحبيبة. ومعًا سنبقى نصلّي ونقول: يا ربّ، ارحمنا، ارحم جان، ارحم من أحبّك ومشى على دربك المستقيم، من الآن وإلى دهر الداهرين. آمين.

| وفي نهاية القدّاس، مع البركة الأخيرة، كانت كلمة لمدير عامّ العلاقات العامّة **الأستاذ سهيل مطر**:

أيّها الأصدقاء
إنه منام، إنّه حلم – الحلم أجمل من الواقع– تعالوا نحلم:

ها هو يطلّ علينا، بقامته الهادئة، بصمته المعروف، بخجله الرقيق. إنّه جان، يصل إلى الباب الخارجيّ للقاعة، يلتفت، يمرّ بشجرة فارس الحلو، يبتسم بحزن، ثمّ يدخل، يحدّق في الوجوه، يتقدّم، ثمّ يلتفت إليّ، ويقول: شكرًا، هل تسمح لي بالكلام، أنا الذي لم أتعوّد الكلام على المنابر؟ وأنسحب أنا إلى الظلّ، يبقى هو، تدور عيناه في جميع الزوايا، تحطّان للحظات على وجوه دامعة، يغمضهما، ثمّ أسمعه يقول:

أبتِ الرئيس
أيّها الزملاء والأحبّاء

إنّه قدري، لم أستطع أن أقاومه. كان بودّي أن أبقى معكم، أن أتابع الطريق، ولكنّ قرصان الموت اختطفني على حين غفلة، فاعذروني. لم أستطع أن أودّع أحدًا منكم. لم أتمكّن من العودة إلى المكتب، وغرفة الصفّ، لألملم أوراقي وكتبي، لأكحّل عينيّ بمرأى من أحبّ... كان القدر الأعمى أقوى منّي، فرحلت باكرًا. ولكنّني من عليائي، أراكم، أرافقكم، أصلّي من أجلكم.

أبتِ الرئيس، لم أستأذنك بالغياب، فاذكرني بمحبّتك.

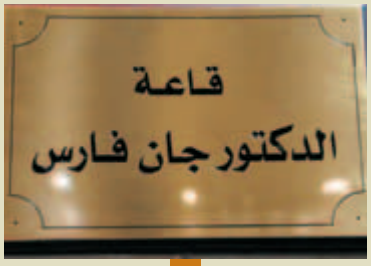

تحيّة

د. جان فارس

حضرة العميد والزملاء والموظّفين والطلاّب في كليّة العلوم، تعرفون كم أحببتكم، لا تقسوا عليّ، ولا تعاتبوا... وصيّتي لكم أن تحافظوا على انتمائكم لهذه الكليّة، أن ترفعوا من قدرها، أن تتابعوا مسيرة الجهاد والجديّة فيها. وتذكّروا دائمًا أنّ لي في بعض حجارتها أنفاسًا حارّة، فكونوا أوفياء لها، رحمة بي وبها.

أمّا أنتم، الآباء والزملاء والموظّفين، في كلّ الجامعة، فاغفروا لي خطأ الاستعجال، أستودعكم عصارة عمري القصير، أحبّوا هذه الجامعة، كما أنا أحببتها، صونوا حجارتها وأزهارها والقيم، إرفعوا من قدرها، وعلّوا صوتها، فأجمل من الحجارة، هو أنتم، وبكم تفرح نفسي وأطمئنّ.

وأمّا أنت، يا نادين، يا حبيبتي ورفيقة الطريق، كوني، كما أعرفك، قويّة، قادرة، مجاهدة، وفيّة صادقة. لملمي دموعك، حافظي على صباك. إن ظلمتك أنا، بغيابي، فلا تظلمي نفسك. أنا معك دائمًا، ملاكك الحارس، فارفعي رأسك بي، وتابعي الطريق، تابعيها مع مارك وبرونو، لا تجعليهما يكبران بحزن، أنا أحبّهما وسأبقى، وصلاتي لك ولهما.

ويا إخوتي، كم هو صعب أن تتعوّدوا الوداع، كأنّكم مرصودون، للحزن، لا، أنا سأكون الخاتمة، فابقوا لي أحبّ الأخوة، وقبّلوا عني يدي أمّي، ولتسامحني... ولتتحوّل دموعها إلى مسبحة صلاة من أجلي.

ويا أيّها الأصدقاء. شكرًا لكم. إن مررتم، في عين حرشة، تذكّروني ولا تحنوا الرؤوس... وداعًا...

... وكما دخل جان، عاد فانسحب، بصمت...

ولكنّه، قبل أن يغيب، استوقفته لأقول:

جان، نحن أيضًا نحبّك. أيّها الهادئ الصامت النبيل، احمل معك الآهات، وخلّ لنا أجمل الذكريات، وسيبقى اسمك محفورًا في قلب هذه الجامعة، وفي قلوبنا جميعًا. شكرًا لك، وعفوًا، إن أتعبناك أو أوجعناك، والسلام عليك، والله معك

Jean

Man of Substance

You used to like it when I called you like this... You also used to tell me: "My great wealth lies in my brain; if ever it is damaged, then I will lose everything". It was your heart that betrayed you and fell apart, just like our lives did after you left.

When the children asked me: "Mami, why did Papi go to heaven alone? Why didn't he take us with him?", I answered, "Because God had mathematical problems in Heaven, and he needed Papi to solve them, so He took him first, and he is watching over us and preparing a place for us; then we will follow him and reunite again.'

Now I understand why I kept having that bad feeling from time to time, especially during our moments of joy and peace. Every time it came to me, I was frightened and pushed it away immediately.

I told you once: "I wish I die before you because I can not live without you", you smiled and said, "No, you are strong, you can cope. You will go on by yourself", as if you already knew...

Jean, my man of substance! I miss you.

Nadine

البطريرك بولس مسعد
من سيرة حياته إلى مقتطفات من وثائقه التاريخيّة

الأب بولس صفير*

* دكتور في التاريخ الكنسيّ. عُيّن: مديرًا لمعهد التاريخ وعميدًا لمعهد اللاهوت الحبريّ في جامعة الروح القدس، ومحاميًا عن العدل والوثائق في المحكمة الاستئنافيّة المارونيّة، وحافظًا للمكتبة البطريركيّة في بكركي.

من مؤلّفاته: النسّاك الموارنة من القرن الخامس إلى القرن السابع عشر- بكركي في محطّاتها التاريخيّة- البطريرك فيلبّوس الجميّل- البطريرك ميخائيل فاضل- روحانيّة القدّيس شربل (جزءان)- حياة وروحانيّة الطوباويّة رفقا- الطوباويّ نعمة الله كسّاب الحرديني...

مقدّمة

البطريرك الكبير بولس مسعد (١٨٥٤-١٨٩٠) استمرّ بطريركًا على الطائفة المارونيّة، ستًّا وثلاثين سنة. فكان عهده من أطول عهود البطاركة الموارنة الذين تبوّأوا الكرسيّ البطريركيّ في القرنين الأخيرين. فحفلت سنوات عهده بأحداث أليمة، وتوالت قلاقل وثورات، ومشاكل، وويلات في أيّامه. يكفي أن نذكر ثورة الفلاّحين ضدّ المشايخ الخوازنة سنة ١٨٥٧-١٨٥٨؛ وثورة سنة الستّين المشؤومة، والحرب الأهليّة بين الموارنة والدروز، والتي ذهب ضحيّتها آلاف المسيحيين، ولاسيّما الموارنة منهم؛ وثورة يوسف بك كرم على المتصرّف داود باشا سنة ١٨٦١- ١٨٦٦؛

واختلاف المطران بطرس البستاني مع رستم باشا؛ ودعوى القاصد الرسوليّ لودفيكس بيافي LUDOVICUS BIAVI على المطران يوسف الدبس.

وإزاء هذه الثورات والنكبات، اختلف المؤرّخون المعاصرون والقدامى في حكمهم على البطريرك بولس مسعد، وعلى مواقفه منها. وكلّ كتب بما أوحاه إليه ميله وغرضه. فمن قائل إنّ البطريرك بولس مسعد، قد عالج أسباب ونتائج هذه الثورات بحكمةٍ ورويّةٍ، وفطنةٍ، وصبر، وطول أناة، إلى قائل إنّه كان فريقًا في العديد منها، فلم يجزم في حلّها، لا بل يبان أحيانًا أنّه قد أضرم سعيرها، أو وقف موقف المتفرّج عليها. وأمّا نحن، وبعد اطّلاعنا على العديد من وثائقه في أرشيف الكرسيّ البطريركيّ في بكركي، فيمكننا القول إنّ سيرة حياة البطريرك بولس مسعد لم تكتب بعدُ بطريقة كاملة وشاملة، وأنّ كتابة تاريخ الحوادث والثورات التي توالت على اللبنانيين في أيّامه، تستغرق مجلّدات ضخمة.

وإنّ ما نقدّمه في هذه الدراسة هو نذر يسير للمعالجة العلميّة التي يجب أن تشمل كتابة سيرة حياته، وشرح بعض المقتطفات من وثائقه التاريخيّة.

أوّلًا: مختصر حياة البطريرك بولس مسعد (١٨٥٤-١٨٩٠)[١]

ولد في عشقوت في ٦ شباط سنة ١٨٠٦، من أبوين تقيّين فاضلين هما مبارك مسعد وجليلة بركات ثابت. وقد ترك لنا هذا البطريرك تفصيل تسلسل نسبه مدوّنًا على ورقة من أوراق مفكّرته على الوجه التالي:

«البطريرك بولس مسعد هو بولس بن مبارك، بن يوسف زياده، بن مسعد، ابن أبي مسعود خاطر، بن تابت بن خاطر، بن داوود، ابن الشدياق يوسف أبي رعد، المسمّى خاطر المقدّم في جبّة بشرّي، ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت مشروق، ابن رعد، بن شاهين، الذي ارتحلت أولاده من صدد الشرق إلى قرية حصرون من معاملة جبّة بشرّي سنة ألف وأربعماية وسبعين. وكان أصلهم منها، ثمّ غادروها زمنًا بسبب ما كان حاصلاً في نواحيها من الظلم والشغب، ثمّ عادوا إليها حين خيّم في ربوعها الأمن والسلام. وسنة ١٦١٣، انتقل خاطر وبعض أقاربه إلى مزرعة بيت قصّاص في جبّة المنيطرة. وسنة ألف وستماية وخمسين رحل عنها إلى بلاد كسروان، فتوطّن قرية عشقوت حيث وُلد مترجمنا».[٢]

وتلقّى البطريرك بولس مسعد مبادىء اللغتين العربية والسريانيّة في بيت أبيه في عشقوت، ثمّ أدخله أبواه مدرسة الرومية في القليعات حيث درس مبادئ اللغتين الايطاليّة واللاتينيّة على يد المرحوم الخوري أنطون عريضه القديم، ومن ثمّ مدرسة عينطورا في كسروان عند الخوري المذكور عينه. ثمّ نقلاه إلى مدرسة عين ورقة سنة ١٨٢١، حيث أتقن جميع هذه اللغات وما كان يُدرَّس فيها من علوم أخرى في ذلك الوقت. وقد دُوّنت عنه في سجلّ مدرسة عين ورقة المعلومات التالية:

«في سنة ١٨٢١ دخل المدرسة التلميذ بولس بن مبارك مسعد من عشقوت، وله من العمر ستّ عشرة سنة. وهذا التلميذ هو البطريرك بولس مسعد الذي انتُخب بطريركًا على الطائفة المارونيّة بعد وفاة البطريرك يوسف راجي الخازن سنة ١٨٥٤. ورقمه التسلسليّ بين بقيّة أرقام وأسماء التلاميذ الآخرين هو ٨٧».[٣]

وتميّز البطريرك مسعد، وهو تلميذ في مدرسة عين ورقة، بذكاء حادّ، وفطنة نادرة، ونباهة فريدة استلفتت أنظار رؤسائه، وأكسبته رضى السيّد البطريرك يوسف حبيش الذي كان يزور هذه المدرسة. فرقّاه إلى درجتي المرتّل والقارئ في ١٩ نيسان سنة ١٨٢٤، ثمّ إلى درجة الشمعدانيّ في ٢٠ أيّار من السنة نفسها. وفي سنة ١٨٢٦، أرسله إلى مدرسة مجمع نشر الايمان في روما لتلقّي

(١) لم تُكتب حتّى الآن سيرة حياة البطريرك بولس مسعد بطريقة شاملة ومستقلّة عن غيرها، بل أُدرجت كنبذة تاريخيّة، وكحلقة بين حلقات سلسلة تاريخ البطاركة الموارنة الآخرين. ولعلّ النبذة الأكمل والأقرب إلى الأصول التاريخيّة هي التي دبّجها المطران أغوسطين البستاني سنة ١٩٠٤، عندما كان نائبًا عامًا في الرهبانيّة الحلبيّة اللبنانيّة المارونيّة (المريميّة اليوم). وكان قد عرضها آنذاك على البطريرك الياس الحويّك، وعلى النائبين البطريركيّين المطران يوسف نجم، والمطران يوسف دريان، وعلى المطران بولس مسعد، مطران دمشق، ابن شقيق المترجم، فوافقوا جميعًا على صحّة رواياتها. وهذه النبذة أُدرجت في مجلّة «المشرق»، السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠، تشرين الأوّل سنة ١٩٣٠، ص ٧٢١- ٧٣٤. ومنها استقى المؤرّخون المعلومات الصحيحة عن سيرة حياة هذا البطريرك الكبير. ونحن بدورنا نؤثر الرجوع إليها والاستشهاد بمضمونها. ونشير هنا إلى أنّ الأباتي بطرس فهد أدرج في سلسلة بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن التاسع عشر، دار لحد خاطر، بيروت سنة ١٩٨٦، سيرة مفصّلة لحياة البطريرك بولس مسعد، سنرجع إليها أيضًا لما فيها من المعلومات الجديدة.

(٢) راجع مقال الأب ابراهيم حرفوش، ما عرفناه عن التلامذة الموارنة في مدرسة نشر الايمان، البطريرك بولس مسعد (١٨٠٦-١٨٩٠)، مجلّة «المنارة»، السنة الثامنة، العدد الثاني عشر، (كانون الأوّل)، سنة ١٩٧٣، ص ٧٧٧-٨٠١.

(٣) راجع المجلّة البطريركيّة، العدد ٣، السنة الرابعة عشرة للتأسيس والأولى بعد استئناف صدورها، ١ كانون الثاني- ٣١ آذار سنة ١٩٨٧، ص ١١٨.

العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة والرياضيّة والقانونيّة والتاريخيّة. فسعى وراء تحصيلها بجدٍّ ونشاط، ونال قصب السبق على أقرانه، وحظوة عظمى في أعين رؤسائه وأساتذته، الذين شهدوا له بطول الباع في تحصيل العلوم وحدّة الذهن وقوّة الذاكرة في حفظ القوانين والتواريخ.

وفي سنة ١٨٣٠، ألمّ به داء عضال، فاستدعاه البطريرك يوسف حبيش إلى لبنان، فامتثل لأوامره. ولمّا بلغ المقرّ البطريركيّ، استقبله بكلّ ترحاب، وما لبث أن رقّاه إلى الدرجة الرسائليّة والانجيليّة في ١٣ حزيران سنة ١٨٣٠، وإلى الدرجة الكهنوتيّة في ٢٠ من هذين الشهر والسنة[٤]. وقلّده على الأثر وظيفة أمانة السرّ في الكرسيّ البطريركيّ. فقام بأعباء هذه الوظيفة أحسن قيام مبرهنًا، في الأعمال التي أُسندت إليه، عن سعة اطّلاعه في العلوم، ودقّة نظره في حلّ المشاكل، وشدّة حرصه على حقوق الطائفة. وقد جاء عنه في مقال الأب ابراهيم حرفوش، عندما كان أمينًا لسرّ البطريركيّة:

«كان مترجمنا في شرخ الشباب ناهضًا، لا يترك القلم من يده، يكتب كتابات البطريرك الحبيشي بالايطاليّة والعربيّة. ثمّ انصرف بجلد عجيب إلى جمع شتات الوثائق التاريخيّة المبعثرة، وضمّها إلى مجلّدين ضخمين نُسخا بأحرف سريانيّة، عُرفا بسجلّ البطريرك بولس مسعد. وأُطلق على أوّلهما اسم المجلّد الثاني، لأنّ المجلّد الأوّل كان وضعه علاّمتنا الدويهي، وعقبه مترجمنا بالمجلّد الثالث. وقد لحظ أنّ الظروف لم تمكّنه من نسخ الوثائق والأوراق بنسقها التاريخيّ تباعًا، بل كان يبادر حالاً إلى نسخ ما يجده من الأوراق.

وهذا ما أشار إليه في مقدّمته التي علّقها على أوّل المجلّد الثاني السابق الذكر».[٥]

وفي ٢٨ آذار سنة ١٨٤١، رقّاه البطريرك يوسف حبيش إلى الدرجة الأسقفيّة، على طرسوس شرفًا، في كنيسة دير مار جرجس عَلما، وجعله نائبًا بطريركيًّا له في الروحيّات، واستمرّ قائمًا بأعباء هذه الوظيفة طوال عهد البطريرك حبيش، وعهد خلفه البطريرك يوسف راجي الخازن بكلّ همّة، وإخلاص، ونشاط، غير عابئ بما كان يتنازعه من أشغال وينتابه من أمراض. وبعد وفاة البطريرك يوسف راجي الخازن في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤، اجتمع أساقفة الطائفة في دير بكركي، وانتخبوا بإجماع الرأي والصوت الحيّ في الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٨٥٤، المطران بولس مسعد بطريركًا على الطائفة. وكان قد بلغ عندئذ الثامنة والأربعين من سنيه. فأثبت البابا بيّوس التاسع هذا الانتخاب ببراءة رسوليّة مؤرّخة في ٢٣ آذار سنة ١٨٥٥، وأنعم عليه بالدرع الرسوليّة المقدّسة على يد وكيله ومعتمده القَسّ أمبروسيوس نطين الدرعوني.

وفي سنة ١٨٦٧، سافر إلى روما لحضور الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة ذكرى مرور ألف وثمانماية سنة لاستشهاد الرسولين بطرس وبولس. ومن روما توجّه إلى باريس حيث استقبله الإمبراطور نابوليون الثالث بكلّ إجلال وترحاب. وكان البطريرك مسعد أوّل بطريرك ماروني يزور فرنسا، مفتتحًا بذلك تقليدًا، لا يزال خلفاؤه، حتّى يومنا هذا، محافظين عليه. وفي رجوعه من باريس إلى

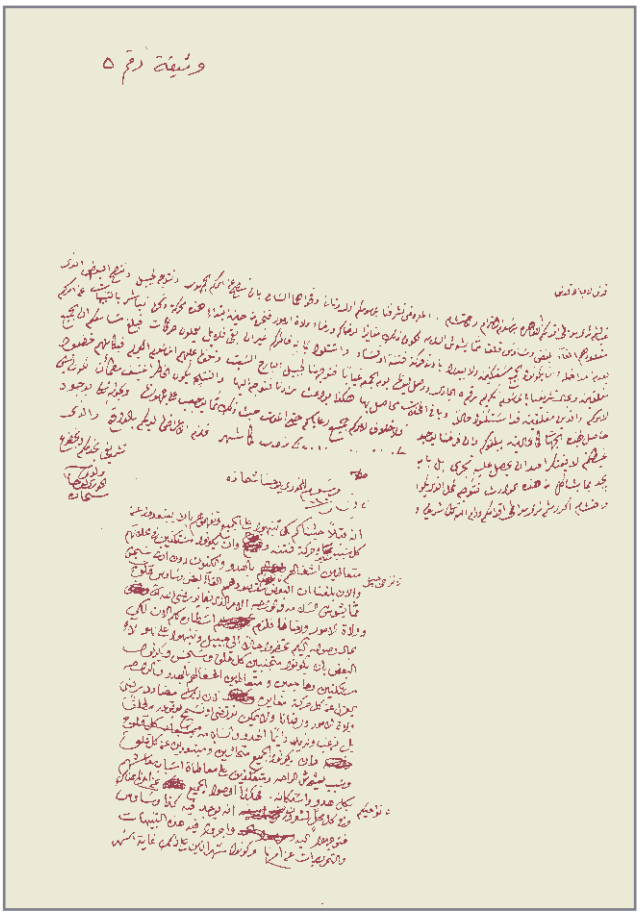
وثيقة رقم ٥

(٤) اختلف المؤرّخون حول تاريخ سيامة البطريرك بولس مسعد الكهنوتيّة؛ فمنهم من قال إنّ البطريرك يوسف حبيش رقّاه إلى هذه الدرجة في ١٣ حزيران، والبعض الآخر قال في ٢٠ حزيران سنة ١٨٣٠. ولكن، الأصحّ هو أنّه رُقّي إلى درجتي الرسائليّ والانجيليّ في ١٣ حزيران، والى الدرجة الكهنوتيّة في ٢٠ منه، وذلك استنادًا إلى كتابة تاريخ سيرة حياته في سطور، كان قد دوّنها هذا البطريرك بخطّ يده على الصفحات الأخيرة من نسخة لكتاب «الدرّ المنظوم» لا يزال محفوظًا عند الأب بولس مسعد الراهب اللبنانيّ، وقد صوّرنا نحن نسخة عنها طبق الأصل وهي بيدنا.

(٥) راجع الأب ابراهيم حرفوش، المرجع ذاته، ص ٧٨٧.

لبنان، عرّج على الآستانة، حيث استقبله السلطان عبد العزيز خان في قصره، وشمله بكلّ رعاية والتفات نظر. وفي أثناء المقابلة، طلب البطريرك من السلطان إعفاء المسلمين اللبنانيين من تأدية الخدمة العسكريّة في المعسكر العثمانيّ، قدوة باللبنانيين المسيحيين. فاستجاب السلطان ملتمس غبطته، وقدّر له المسلمون في أنحاء الشرق هذه الخدمة حقّ قدرها، وأصبح البطريرك الماروني بذلك ملجأ كلّ الطوائف المسيحيّة والمحمديّة في لبنان.[٦]

كان البطريرك مسعد عالمًا، ومؤرّخًا كبيرًا. له بعض تآليف منها: «**الدرّ المنظوم**»، و«**التحفة الغرّاء في تثبييت** بتوليّة مريم **العذراء**»، و«**دحض رسالة فتح الله مرّاش**» الذي يوضح فيه انبثاق الروح القدس من الآب والابن بأجلى عبارة وأقوى برهان. «**وتاريخ العيال اللبنانيّة**»، وهذا لم يبقَ منه سوى بعض شذرات كانت مدوّنة في مفكّرة هذا البطريرك، ونتف زهيدة منها، جمعها بحرص شديد الأب ابراهيم حرفوش، وأدرجها في مجلّة «المنارة»[٧]. و«**مقالة في دخول المصريين إلى بلادنا سنة ١٨٣١، وجلائهم عنها في سنة ١٨٤٠**». و«**رسالة في الملكيّة والمارونيّة**» نشرها له الآباتي بطرس فهد سنة ١٩٤٥[٨]. و«**كرّاس في شرح حوادث سنة ١٨٦٠ المشؤومة**». و«**تاريخ القرن الثامن عشر الذي يكمّل تاريخ الأزمنة للدويهي، أسماء الكرونيكون**»، وقد نشرته مجلّة «المنارة» بدءًا من سنة ١٩٨١. و«**بحث تاريخيّ قانونيّ في المجمع اللبنانيّ**»، طبع في آخر كتاب «**بصائر الزمان في تاريخ العلاّمة البطريرك يوسف اسطفان**» المطبوع في بيروت سنة ١٩١١، في الذيل ص ١٣٤.

عقد هذا البطريرك، بأمر البابا بيّوس التاسع، مجمعًا في ١١ و١٢ و١٣ نيسان سنة ١٨٥٦، أسماه «المجمع البلدي»، وترأّسه بالنيابة عن الحبر الأعظم المطران بولس برنوني القاصد الرسوليّ. فافتتحه البطريرك المذكور بخطاب بليغ، ذكر فيه بالاختصار تاريخ المجامع التي عُقدت في الطائفة، من مجمع البطريرك سركيس الرزّي سنة ١٥٩٦، إلى مجمع البطريرك يوحنّا الحلو سنة ١٨١٨، فإذا هي اثنا عشر مجمعًا. قُسم مجمع بكركي البلديّ إلى ستّ جلسات مطوّلة، وأُلحق به ذيل يتضمّن بعض رسائل الباباوات المتعلّقة بالموارنة. وقد أفرغ فيه البطريرك مسعد كنوز علمه ومعارفه اللاهوتيّة والتاريخيّة، وطبّقه على قواعد المجمع اللبنانيّ كلّ التطبيق.[٩]

أنشأ هذا البطريرك للكرسيّ البطريركيّ في بكركي مكتبة وأرشيفًا غنيَّين بأنفس الكتب المخطوطة والوثائق والمستندات التاريخيّة القيّمة. وجمع شتات البراءات الرسوليّة الصادرة من لدن الأحبار الرومانيين الأعظمين إلى البطاركة الموارنة عبر العصور، وأودعها سجلاً خاصًّا بغاية الترتيب. ودوّن في سجلاّت عامّة كلّ ما كان يصدر عن البطريركيّة ويرد إليها من كتابات رسميّة وأحكام قانونيّة، وأمر أن تحفظ في جوارير خاصّة كلّ كتابات ورسائل البطاركة أسلافه. وهذه العادة والخطّة في حفظ الوثائق والمستندات سار عليها خلفاؤه حتّى يومنا هذا. ثمّ أجرى البطريرك مسعد إصلاحات هامّة في المقرّ البطريركيّ في بكركي وفي الديمان، وأتقنه بالأثاث الفاخر.

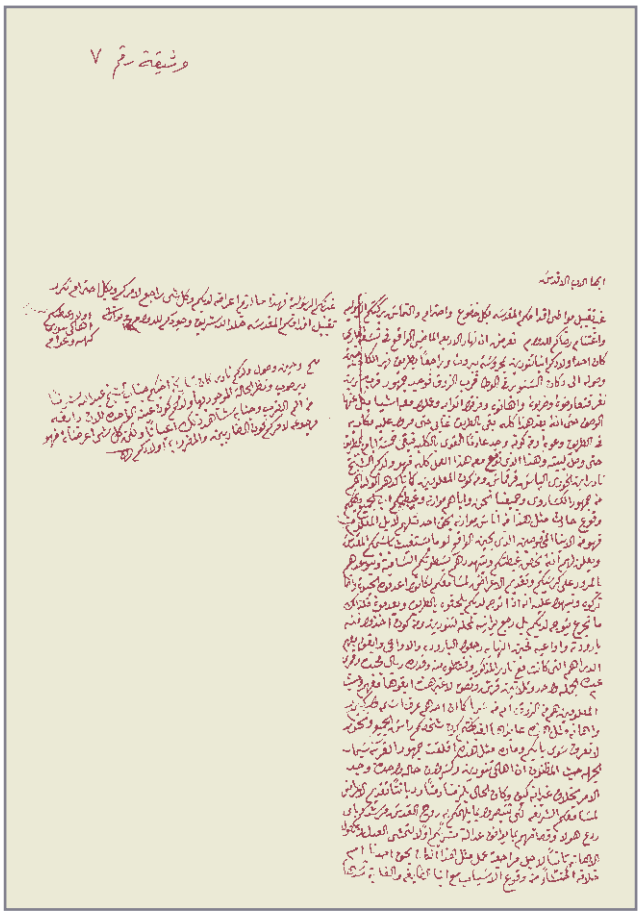

(٦) راجع الخورأسقف يوسف داغر، بطاركة الموارنة، المطبعة الكاثوليكيّة، نصوص ودروس-٤-، بيروت سنة ١٩٥٧، ص ١٠٤-١٠٥.

(٧) راجع الأب ابراهيم حرفوش، المرجع ذاته، ص ٧٨٨- ٧٨٩.

(٨) راجع الآباتي بطرس فهد، المرجع ذاته، ص ٤٣.

(٩) راجع المطران أغوسطين البستاني، البطريرك بولس مسعد (١٨٠٦-١٨٩٠) مجلّة «المشرق» السنة الثامنة والعشرون، العدد ١٠، تشرين الأوّل سنة ١٩٣٠، ص ٧٢٥.

رقد بالربّ في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠، وله من العمر ٨٤ سنة، ودفن في ضريح خاصّ به في كنيسة مار بطرس وبولس في عشقوت التابعة لعائلته آل مسعد.

ثانيًا: بعض مقتطفات من وثائق البطريرك بولس مسعد حول أحداث ١٨٦٠

بالرّغم من كلّ ما عاناه المسيحيون في أحداث سنة ١٨٦٠، فموقف البطريرك بولس مسعد لم يتغيّر. فقد ظلّ يدعو الجميع إلى السكون والهدوء من أجل الصلح وإحلال السلام في ربوع الوطن ولدى كلّ اللبنانيين.

شدّد دائمًا على عدم الثأر أو ردّات الفعل السيّئة، من قبل المسيحيين، ولم يسمح بالتعدّي على غير المسيحيين في مناطق مسيحيّة، بل تدخّل حاسمًا وشاجبًا أيّ عمل من هذا النوع. ولكن، بالرّغم من كلّ ذلك، فموقف البطريرك هذا لم يخفف معاناة الموارنة.

أ- معاناة الموارنة في حرب سنة ١٨٦٠

قال أحد الشهود العيان، عن مجزرة ١٨٦٠، ما يلي:

«في غضون اثنين وعشرين يومًا، ذبح ٢١٩٠٠ شخص من كلّ جنس وعمر، ودمّرت ثلاثماية وستّون بلدة، وخمسماية وستّون كنيسة، وأحرق اثنان وأربعون ديرًا... أمّا الذين نكبوا وأصبحوا بلا مأوى ولا مال ولا ملجأ، فيزيدون عن مائة وخمسين ألف نفس بشريّة»[١٠].

جرائم كهذه تكاد لا تصدّق، مع العلم أنّ تاريخ أحداث ثورة ١٨٦٠ لم يكتب بعد. قد يكون هذا السرد لنتائج الثورة مبالغًا فيه، إلاّ أنّه ليس بعيدًا عن الواقع. وهذه حصيلة تقريبيّة لما جرى على أرض الأحداث، والمعلوم أنّ معاناة المسيحيين لم تقتصر على مناطق الأحداث العنيفة، بل تعدّتها إلى كل المناطق تقريبًا، منها منطقة عجلتون، حيث التمس أهلها من البطريرك بولس مسعد ان ينظر بحالتهم، فقد أضحوا مسلوبي الراحة والحقوق. وهذا ما جاء في رسالتهم له بتاريخ آب ١٨٦٠، فقالوا:

قدس الأب الأقدس

غبّ تقبيل ثرى مواطي أقدام غبطتكم المقدّسة بكلّ توقير واحترام والتماس درر البركة الرسوليّة والدعا بحفظ شريف وجودكم للدوام، نعرض، إذ ليس غابي غبطتكم ما هو حاصلا (حاصل) بطرفنا من التقلقل والمغالة (والمغالاة)، ودوس الحقوق، والتعدّيات من الجهلة بالضرب والاهانى (الاهانة)، وما شاكل ذلك. فقد أضحينا بحالة يرثى لها مسلوبين الراحة وما ذلك، إلاّ من عدم وجود مآمورا (مأمور) علينا يتعاطى أحوالنا بحسب القانون الملوكاني الشريف، وبحيث نحن أولادكم وملزومين بنا نفسًا وجسمًا وليس لنا بعد الله سواكم اقتضى بسطنا أعراضنا بهذا لديكم الذي به مسترحمين طلب مأمور علينا موقتا (مؤقتا) كان أو مآبدا (مؤبدا) من أي جهة كانت، ومن أي طايفة كانت، عدا عن طايفة بني خازن، ليتعاطى أحوالنا بتحصيل حقوقنا ورفع المغرورين عنا برد القوي عن الضعيف، وبذلك تغتنمون دعانا، وبكلّ الوجوه الأمر لديكم وإذا اقتضى تقديم معروضات من كامل قرى كسروان بهذا النوع، ليصير استجابة لالتماسنا، حتى نباشر بتتميم ذلك، وابهر الله أيّام غبطتكم بالعزّ والنعم مدى الأحقاب آمين.

أولادكم أهالي عجلتون[١١]

ومن أرض المعركة، إلى أهالي عجلتون وإلى «نصارى المتن» كانت الحال هي هي.

فأهالي المتن فضّلوا الموت على العيشة الحاضرة، التي أضحى الناس فيها مسلوبي الكرامات. لا أرض، ولا بيوت، ولا ممتلكات، ولا مداخيل، بل تهجير، واضطهاد، وسلب، وحاجات تفوق المتوفّر حيث أصبحوا بحالة يرثى لها.

فحالتهم هذه وصفوها في رسالة إلى القائمقام بتاريخ ٢٩ حزيران ١٨٦٠، وأرسلوا نسخة منها إلى البطريرك بولس مسعد، قالوا فيها:

«سعادة أفندم القائمقام المعظم، حفظ الله وجوده الشريف، وجناب أفنديّاتنا الأمرا المحترمين، دام بقاهم المعروض أنه لقد تشرفنا بمطالعة الأوامر الكريمة الصادرة من لدن سعادتكم وجنابكم عن الأوامر الشريفة المشير به، وإدارة سعادة الجنرالّية المتضمّنة فحواهم الوسيم، أن الجميع يكونوا بالاستكنان، ومنع كلّ سبب يفترض حدوثه لتجديد الفتنة، وإثارة الحرب سوى (سواء) كان من الجمهور، أو من الأفراد، وأنّ سعادة الجنرالّية قد خاطبوا سعادة القائمقام، وجناب مقاطعجيّة الدروز كما مخاطبين سعادتكم وجنابكم، مدركين عليهم كلّ شي، بتجدّد حدوثه على النصارى وأملاكهم، وأن المسؤليّة التي تحصل على رؤساء الطرف الواحد، فهو على روسا الطرف الآخر أيضًا، وأنّه لا صالح ولا راحة لعمار البلاد، سوى وقوع المسالمة والتآليف (الالفة) بين الطرفين. فكلما رسمتموه بهذه الخصوصات صار بافهام عبيدكم، غير أنّ الواقع معنا فهو معلوما لديكم، أي من البداية ما قصدنا الغدر، ولا التعدّي على أحد، كما أصابنا من الغير حتّى أنّ كافّة محلاّتنا بالمتن احترقت، بدون أن يكون بها ساكن، ولا جَرا محاربة فيما بيننا. والآن أضحينا بالحالة التي نحن بها حاصلون، ومن حين قيامنا من محلاّتنا لتاريخه، غير حاصلين على القوت الضروريّ، لا لنا ولا لعيالنا، سوى بالوجه القريب للتسوّل، ومع هذا كلّه متحايدين كلّ سبب مع أنّه منشاهد (نشاهد) عيانًا عمل أخصامنا معنا، بجميع محصولات أرزاقنا، من حرير، وزرع،

(١٠) راجع الأب يوسف محفوظ، (المطران حاليًّا) مختصر تاريخ الكنيسة المارونيّة، المطبعة البولسيّة، جونيه، ١٩٨٤، ص ١٠٧.

(١١) راجع أرشيف بكركي، جارور البطريرك بولس مسعد، وثيقة رقم ١٠.

وغير كافيا ذلك، بل لم يزل متجدّد الحريق على كلّ ما يجدوه، يشعل بالنار، والأغراس الخضرة من توت، وزيتون، وخلافه، عمّال يقطعوها، وهذا إلى ساعة تاريخه، جاريا بكلّ مقاطعة المتن. والخبر الغير المؤكّد يحقّقه أو يكذبه الظاهر، والكشف محل يطلب منهم التحقيق، فكيف والحالة هذه بعد الوصول لهكذا درجة، يمكننا الهجوع، والاستكنان، واختصامنا يتناولوا محصولات أرزاقنا، ونحن نهلك جوعًا. وإن رسمتم أنّ هذه الوسيلة خشية علينا، من أنّنا نضحى مغلوبين. فما عاد ينوجد شي لنخاف عليه. والموت أجمل من العيشة الحاضرة، وأكبر نصيب فانكان (فان كان) يحصل تحديدات خطيّة، والماجوز (المأخوذ) من المحصولات يرتجع لنا والباقي يصير رفع اليد عنه، وكلّ ذي حقّ يتناول حقّه فيها، والماضي نحن خاضعين لكلما يؤمر بخصوصه ماذا وإلاّ كيف يعرف بأنّنا رعايا الدولة العليّة، ومتوجّب لنا على عنايتها، ومرحمتها الحماية، والصيانة، وعلينا وجوب الطاعة، والامتثال لأوامر وكلاها العظام، وما عدا ذلك نترجّا لا تأخذوا على أنفسكم كفالة، ومسؤليّة بخصوصنا، هذا ما لزم أعراضه وطال الله تعالى بقاكم

عبيدكم نصارى المتن»[١٢]

ويزداد حجم المعاناة صعوبة كلّما قرأنا رسالة تحمل خبرًا عن الموارنة المعتدى عليهم، والخاضعين لسلطة الدولة، ومع ذلك يبقون الضحيّة. وبالرغم من الخسائر الجسيمة التي منيوا بها، لم يخسروا كراماتهم.

وشرارة المعاناة هذه طالت بلاد جبيل أيضًا، حيث عانى أهلها من المشتتين والمهجّرين المسيحيين الآتين إليها، ومن المتاولة القاطنين فيها، والذين تحالفوا مع متاولة بعلبك على النصارى في بعلبك وجبيل. وفي هذا العرض الذي قدّموه للبطريرك صورة واضحة عن طاعتهم له، وعن المعاناة التي تصيب النصارى، بالرغم من محافظتهم على أمن الإسلام في جبيل. وقد أظهروا ذلك في رسالتهم للبطريرك بتاريخ ٢٩ حزيران ١٨٦٠، أخبروه فيها ما يلي:

○ | عرض حال لقدس الأب الأقدس ماري بولس بطرس البطريرك الأنطاكي الكليّ الغبطة والطوبى، خلّد الله وجوده الكريم. نعرض أنّنا تشرفنا بمطالعة إعلام غبطتكم المتضمّن صدور أمركم وحكمكم الجازم بالنهي عن كلما يوجب انزعاج خواطر آل طايفة الإسلام الموجودين بيننا في جبيل، حيث طرق مسامعكم الكريمة قيام أكثرهم من جبيل إلى مدينتي طرابلس وبيروت بعيالهم، وعن كلّ فتنة بين جمهورنا وبين طايفة المتاولة وعن ابدا (أي عدم ابداء) أدنى سبب مغايرة إلى آخره. فنعرض أوّلاً بخصوص آل طايفة الإسلام الموجودين هنا أنّه لم يحصل من الأهالي أدنى سبب بحقهم، ولا تكدّر خاطر أحد منهم بشي، بل عايشين معهم بكل حب وسلامة، مقدّمين لهم كل إكرام واعتبار، ورضا، حيث توارد جماهير لا يحصى عددهم إلى هذه الجهة، من الذين داهمهم الخراب وسلبوا راحة جميعنا، من حيث تحمّلنا أثقالهم وتقديم القوت الضروريّ لهم، وأحيانًا يبدى منهم مطاولات وهجم على بيوتنا، لأجل أخذ اللازم لتقويتهم، فاختشى طايفة الإسلام أن يحصل ثقلة عليهم أو مطاولة، من المتشتتين المذكورين، فراموا نقل بيوتهم موقتًا إلى المدن، وعندما بلغنا عزمهم على التوجّه، فحضر جمهورنا إلى جبيل متواقعين عليهم، ليعدلوا عن التوجّه، ويبقوا في محلاّتهم، وتعهّدنا لهم بأن نكون متيقّظين وسهرانين على كلّ ما فيه راحتهم، وأنّهم إذا ما كانوا يأخذون راحتهم في جبيل بسبب كثرة الغرباء، فنأخذ لهم بيوتهم إلى قرى الجبل، فاعتذروا بأنّهم يأخذوا راحتهم في المدن أكثر لجهة أمر المعيشة، وأخيرًا تودّعنا نحن وإيّاهم بالبكاء والنحيب على التفرّق. وأمّا الإسلام الموجودون في قرى بلاد البترون حيث لم تتوارد المشتتون إلى هناك بزيادة (بكثرة)، فلم يزالوا باقين في محلاّتهم للآن. وأمّا بخصوص طايفة المتاولة الموجودون في الجبل فعملوا رابطة بينهم وبين متاولة لور بعلبك على القيام ضد النصارى، وعملوا جمعيّة في وادي علمات واتفقوا على التوجّه ضدّ أهالي زحله، وتوجّه جمهور غفير برفقة الأمير محمّد الحرفوش، ودخلوا زحله، وحرقوا ونهبوا مع الدروز، ثمّ حرقوا ونهبوا محلاّت النصارى في لور بعلبك. والرابطة المذكورة مبرهنة (أي مثبتة) بموجب حجّة، وكتابات، وجدت في بيوت بعض أعيان المتاولة، وبرجوعهم من بعلبك، اخذوا بالتجمهر والهيجان ضدّ النصارى، وابتدوا بالنهب، قاصدين الحرق والخراب كما فعلوا في بعلبك، وما كفاهم ما فعلوه هناك، بل إنّهم أخذوا يفتّشوا على المتشتتين من زحله وبعلبك وغيرهما، قاموا على المتاولة لاستحصال أمتعتهم الباقية مع المتاولة فوقع البالش بينهم، وحصل الخراب على محلاّت المتاولة والنصارى معًا، وأكثر المتلوف هو للنصارى. هذا هو الواقع، أعرضناه وإذا كان الإسلام والمتاولة مقدّمين الأعراض لباب الحكونة بخلاف ذلك، يكون بغير موقعه خاليًا من أريحة الصدق، ولدى التحقيق تظهر حقيقة ما أعرضناه، ونرجوا عدم أبراحنا من دايرة رضاكم وأدام الله تعالى بقاكم.

في ٢٩ حزيران ١٨٦٠
أولادكم كهنة ووجوه بلاد جبيل[١٣]

هذه بعض مقتطفات عن معاناة المسيحيين خلال الأحداث وبعدها. مهجّرون، مشتّتون، محتاجون إلى كلّ شيء... من سيساعدهم؟

(١٢) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ١١.

(١٣) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ١٢.

ب- مساعدة البطريرك بولس مسعد للمحتاجين نتيجة أحداث ١٨٦٠

بالإضافة إلى المساعدات التي قدّمها المسيحيّون بعضهم لبعض، كان للبطريرك بولس مسعد اهتمام كبير بمساعدة المعوزين.

في جوابه لأهالي بشري، يوضح البطريرك السبب الذي حال دون مساعدتهم بالسلاح والبارود، وهو حاجة إخوتهم إلى الضروريّ غير المتوفّر، وكأنّي به يقول إنّ جلّ اهتماماتنا هو أن نطعم الجائعين الذين أتوا إلينا. وكتب البطريرك جوابه بتاريخ ٢٨ حزيران ١٨٦٠، فقال:

البركة الرسوليّة تشمل أولادنا أهالي بشرّي كهنة وأعوام المكرّمين غبّ وفور الأشواق إلى استماع أخباركم السارّة على كلّ خير، أنّه وصل معروضكم الذي فيه تظهرون تأثّركم واغتمامكم من قبل الحالة التعيسة التي حصل بها أولادنا إخوتكم نصارى بلاد بعلبك، وبسببها التزموا أن يتركوا أوطانهم ويلتجوا إلى محلاّتكم، وأنّكم قد ازددتم ضغطًا لسبب قصر أيديكم عن المساعدة اللازمة لضروريّاتهم، فصار ذلك معلومنا، بل إنّه مؤكّد لدينا وبسببه قد استحوذت علينا اغتمامات وتوجعات كثيرة، خاصّة عندما نتأمّل بالمصيبة الكبرى التي حلّت بإخوتهم نصارى باقي الجهات، ليس فقط من أعمال الجبل وزحله، بل من أعمال البقاع، ووادي التيم، ومرج عيون وغيرهم، والذين التزموا أن يفرّوا من أوطانهم، وانحصر أكثرهم في كسروان بعدد وافر بهذا المقدار، حتى أنّ هذه الأرض لم تعد تسعهم وهم بحالة يرثى لها، كلّ ناظر وسامع لشدّة عوزهم للقوت، والكسوة، وقصر أيدي هذه الجهة، عن أن تسدّ عوزهم الذي يحتاج إلى مبالغ جسيمة، ومن ذلك يمكنكم أن تعلموا حالة الضيق التي نحن حاصلون بها، من جرى ذلك، كما أنّ الجميع هنا حاصلون أيضًا بهذه الحالة الصعبة، ولذلك لم يعد ممكنا بوجه من الوجوه، التوصّل من هذه الجهة إلى إجابة مطلوبكم، لأنّ العجز واضح، ومع هذا ينبغي من الجميع أن يتصرّفوا بحالة التجلّد والتصبّر على هذه المصاعب ويترجوا من مراحم الباري، نوال الفرج القريب بعدها. وأمّا من جهة ما نوهّتموه عن وجود المخاطر لازدياد المصيبة، فمقابل ذلك يقتضي منكم، ومن الجميع نواحيكم، استعمال التيقّظ والسهر المقرونين بالاتكال على الله للنجاة من كلّ ما يخشى منه، ونسأله تعالى أن يقدّم كلّ ما فيه الخير ويزيل هذه الشؤون والبركة الرسوليّة تشملكم جميعًا ثانيًا

في ٢٨ حزيران سنة ١٨٦٠

الحقير بولس بطرس البطريرك الأنطاكي(١٤)

هذا ما نستوضحه عن مساعدة البطريرك الماديّة للمحتاجين، من خلال جوابه إلى أهالي بشرّي. أمّا من جوابه إلى أهالي زحلة المنكوبين، فإنّه يرشدهم إلى كيفيّة التعامل مع قيد المسلوبات للتعويض. وهذا نصّ الجواب المكتوب بتاريخ ٧ أيلول ١٨٦٠:

البركة الرسوليّة تشمل حضرة أولادنا المشايخ أبناء طايفتنا في زحلة المكرّمين غبّ وفور الأشواق إلى استماع إخباركم السارّة على كلّ خير، بتاريخه تقدّم لنا معروضكم رقم أوّل الجاري الذي به تذكرون البشللة الحاصلة

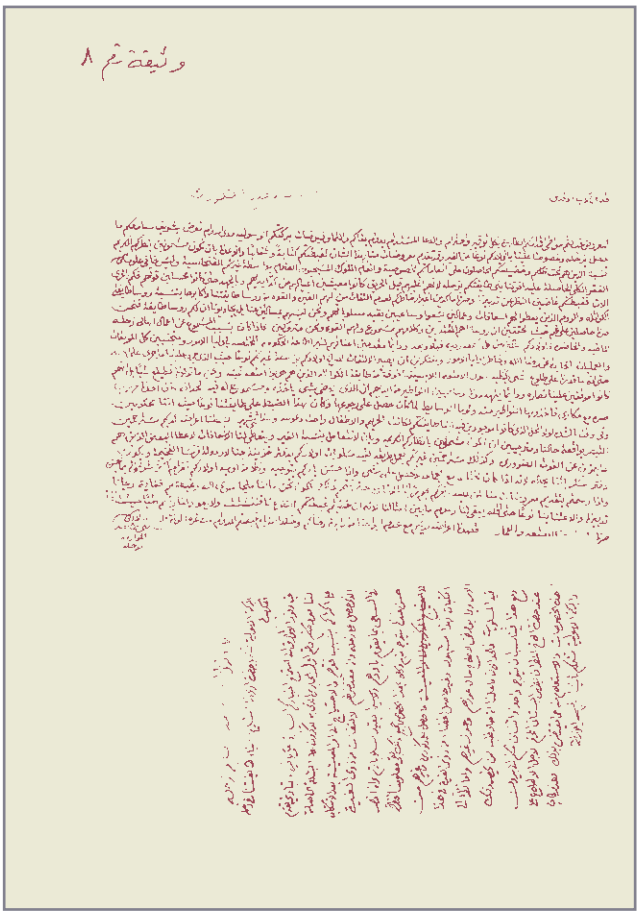
وثيقة رقم ٨

(١٤) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ٣.

على أكثركم، بسبب فقرهم والاحتياج إلى أمر المعيشة، بعد الانتكاب الذي حصل على زحلة، وأنّه مقتضى لهم الالتفاف من ذوي الغيرة، في السعي بما يقوم بأَوَدهم ولاسيّما بقيد مسلوباتهم، وأنّه إن حسن عندنا يتوجّه منهم وكلا بهذا الخصوص، جميع ذلك بقي معلومنا، فنظرنا ما حصل للمذكورين وغيرهم من النكبات. فهذا مشهور وغير حاصل إغضاء من ذوي الغيرة في هذا الأمر، وبما يوافق لاصلاح حال عوزهم وعوز غيرهم. وأمّا نظرًا إلى قيد المسلوبات فلحد (إلى الآن) ما علمنا أنّه صار طلب ممن يخصه ذلك، ومع هذا فيناسب أن يتوجّه واحد واثنان منكم إلى بيروت، عند حضرة الأخ المطران بطرس البستاني المحترم، لأجل الاطّلاع على هذه الخصومات والاستعلام منه عمّا يقتضي بذلك. وهذا كاف والبركة الرسوليّة تشملكم

في ٧ أيلول ١٨٦٠[١٥]

ج- موقف البطريرك بولس مسعد في تهدئة الأوضاع

بالرّغم من صعوبة الأوضاع وتشعّب المواقف، يبقى موقف البطريرك بولس مسعد واضحًا وصريحًا، ويكاد يكون العنصر الوحيد المشترك في كلّ رسائله إلى أبناء طائفته.

لم نجد في أيّة رسالة له تحريضًا على العنف أو القتل أو الثأر أو الاستسلام، بل على العكس وبالرّغم من كلّ شيء، ظلّ ينادي بالصلح والسلام والطمأنينة، ولو كانت من طرف أبنائه فقط، دون أن تكون على حساب الكرامات.

ففي رسالة إلى الخوري يوحنّا شحادة، يحثّ البطريرك على تجنّب أدنى سبب يؤدّي إلى أيّ خلاف كان، مع الدعوة الملحّة إلى السهر والتيقّظ وفضّ الخلافات؛ وهذا نصّ رسالته المؤرّخة بتاريخ ٥ نيسان ١٨٦٠:

| مرسوم للخوري يوحنّا شحادة

إنه قبلاً حثّيناكم لكي تنبّهوا على الجميع وتفهموهم بأن يبتعدوا عن كلّ تسبّب مغاير وحركة فتنة، وأن يكونوا مستكنين في محلاّتهم، متعاطين أشغالهم بالهدوء والكنون دون أدنى سجس (شر) ، والآن بلغنا أنّ البعض في نواحي جبيل مقصودهم القاء بعض وساوس قلق، ممّا يشوّش السلامة والراحة، الأمر الذي يغاير رضى الله تعالى وولاة الأمور ورضانا، فلزم إسطاره (كتابته في سطور) لكم الآن، لكي بحال وصوله إليكم، تحضروا حالاً إلى جبيل، وتنبّهوا على هؤلاء البعض بأن يكونوا متجنّبين كلّ قلق وسجس، ويكونوا مستكنين وهاجعين، ومتعاطين أشغالهم بالهدوء، والراحة، بمعزل عن كلّ حركة مغايرة، لأنّ ذلك مضادّ رضى ولاة الأمور ورضانا، ولا يمكن نرتضي أو نسمح بوقوعه مطلقًا، بل نرغب ونريد دايمًا الهدوء والسلامة، وأن يكونوا الجميع متحاشين ومبتعدين عن كلّ قلق وسبب يشوّش الراحة، ومتعكفين على معاطاة أسباب معاشهم بكلّ هدوء واستكانة. فهكذا أوصوا الجميع عن أمرنا في نواحيكم، وفي كلّ محلّ تشعرون أنّه يوجد فيه كذا وساوس، فتوجّهوا إليه، وأجروا فيه هذه التنبيهات والتحريضات عن أمرنا، وكونوا سهرانين على ذلك غاية السهر، وابقوا أعرضوا لنا عن ذلك، والبركة الرسوليّة تشمل حضرتكم ثانيًا

٥ نيسان ١٨٦٠

الحقير بولس[١٦]

وثيقة رقم ١٠

(١٥) المرجع نفسه، وثيقة رقم ٨.

(١٦) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ٥.

وأيضًا، في جواب إلى ضاهر البيطار، بتاريخ ٣ نيسان ١٨٦٠، يوضح البطريرك أنّه يريد الهدوء والسلام، ويجبر الجميع على العمل به، حيث قال:

فهمنا شرحكم وهذه الأقاويل التي نوّهتم عنها ما لها صحّة على الاطلاق، بل هي إشاعات كاذبة من قايليها (قائليها) الذين ما نظرناهم حتى وإذا على افتراض كنّا نظرناهم، فهل يخال بعقل عاقل أنّنا نحدثهم بكذا أحاديث. وأمر محقّق معه أنّنا لا نريد ولا نرغب إلاّ وجود السلامة والراحة والهدوء، وأنّ الجميع يكونون مستكنين ومتعاطين أسباب معاشهم، بالهدوء والسكينة والراحة، ومبتعدين عن كلّ ما من شأنه أن يوجب أدنى قلق وسجس (شر). وهذا حضرتكم فاهمونه جيّدًا، وقد حثّيناكم قبلاً، والآن لم نزل نحثّكم ونجبر الجميع به لكيلا يبدا (يبدو) من أحد أدنى شيء، يسبّب الانزعاج والقلق وصفوا (صفاء) الحالي (الحالة).[١٧]

وعن عودة مشايخ بيت مصطفا ومشايخ بيت زعيتر، سكّان أفقا والمنيطرة، إلى قراهم، كتب سمعان وصالح الهاشم إلى البطريرك بطلب من المشايخ عن عودتهم إلى قراهم، بأمر منه لكي لا يحصل أيّ تعدّ من النصارى عليهم. على طلبهما هذا، أرسل البطريرك إلى فضل الهاشم(١٨) جوابًا بتاريخ ٤ تشرين الأوّل ١٨٦٠، قال فيه:

■ حاوي خبر ٤ ت١ ١٨٦٠ مسعد لفضل الهاشم

فهمنا شرحكم لجهة المصالحة، فنحن نرغب ذلك جدًّا، وقد سعينا دايمًا أن يكونوا الجميع بالألفة والمودّة، وإنّما قضيّة متل هذه ينبغي من حضرتكم أن تخاطبوا بها أوجه البلاد حتى ينعمل طريقة موافقة للمصالحة، ومريحة لطول (على طول) وهذا كافي (كاف) لفطنتكم.[١٩]

وفي جواب البطريرك إلى كلّ من ناصيف جدعون ووكلاء زحلة ولحّود البحمدوني والشيخ اسماعيل كنج حمادة، يوضح البطريرك أنّه لن يسمح بأيّ عمل انتقاميّ أو ثأريّ يقوم به المسيحيّون، لا ضدّ الأمراء الحرافشة، ولا ضدّ غيرهم.

ولتشابه الأجوبة نصًّا وتاريخًا، اعتمدنا أن ندرج فقط نصّ الجواب إلى ناصيف جدعون، وتاريخه ١ أيلول ١٨٦٠، جاء فيه:

جواب لناصيف جدعون من مسعد جواب على تحرير ١٤ و٢٥ آب ١٨٦٠

بتاريخه، ورد لنا تحريركم رقم ٢٥ آب، وفهمناه وسرّنا علم صحّتكم، وذكرتم أنّ جناب الأمراء الحرافشة المحترمين، بلغهم أنّ طانيوس شاهين، مراده يتوجّه بجمهور إلى العاقورة، ويقيم عيالهم الموجودين بها (فيها) منها، وتلتمسون حضرتكم أن يصدر أمرنا بمنع ذلك، والحال أنّ ما بلغ جنابهم ما له خبر في هذه الجهة، ولا نسمع ولا نظنّ أيضًا أنّه يحدث، وإذا عاد انفهم أنّ هذا الخبر له أثر، فنجري التنبيه بمنع ذلك، لأنّه لا يمكن أن يهون علينا وقوع أمور مثل هذه أو خلافها، لا بحقّ جناب الأمراء المذكورين، ولا بحقّ غيرهم، وهذا مع حسن معروفكم كفاية.

في ١ أيلول ١٨٦٠[٢٠]

هذا، وفي رسالته إلى كهنته في العاقورة، حذّر البطريرك من مغبّة التمادي في أيّ عمل انتقاميّ.

وهذا نصّ رسالته المحرّرة بتاريخ ٢٧ أيلول ١٨٦٠:

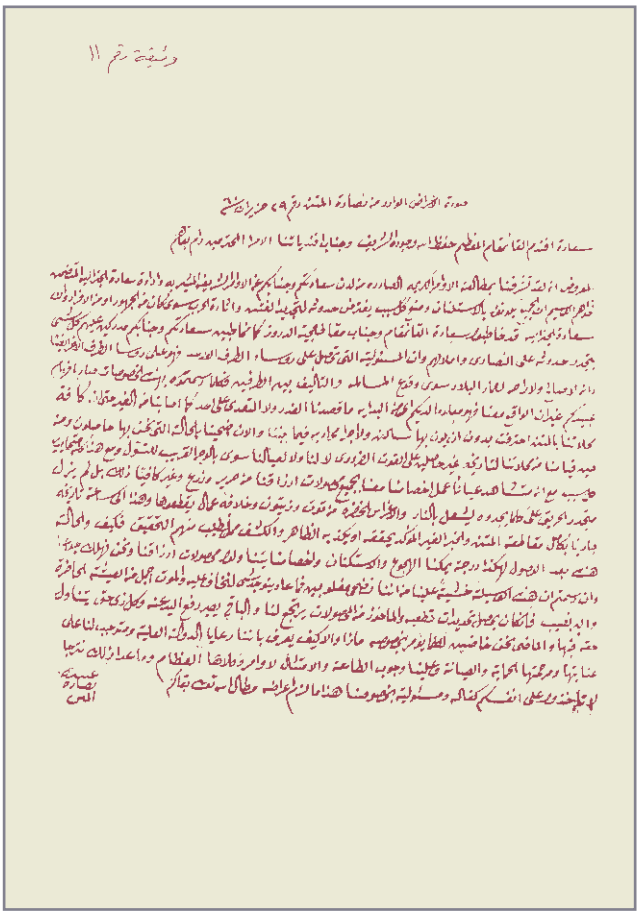

(١٧) المرجع نفسه، وثيقة رقم ١٣.

(١٨) قد يكون فضل الهاشم والد سمعان وصالح الهاشم.

(١٩) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ١٤.

(٢٠) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ١٥.

البركة الرسوليّة تشمل أولادنا كهنة العاقورة المكرّمين

بعد الشوق لمشاهدتكم على كلّ خير، نخبركم أنّه بتاريخه وردت لنا كتابة من بعلبك، عن أمر الحكومة هناك، من مضمونها أنّ البعض من عندكم حضروا بالأسلحة إلى جهات حدث بعلبك، وتطاولوا على بعض المعّازة المتاولة المقيمين هناك، بالوجه الغربيّ، واستلبوا منهم جانبًا من الماعز، وأنّه عندما شعرت بهم العساكر الضبطيّة الموجودة بتلك الناحية، شنّوا الغارة عليهم، واستخلصوا منهم أكثرها، وهم فرّوا هاربين بعد أن كانوا ذبحوا من الماعز اثني عشر راسًا، لم ينلهم خلافهم، وإنّ ذلك قد جلب مزيد الغمّ والكدر للحكومة الجليلة، المتشاغلة الآن بإيجاد الراحة وإعطاء الأمنية هناك، للنصارى، ولذلك مرغوبها منّا أن يصدر أمرنا لأهالي العاقورة وغيرهم بوجه العموم، بأنّهم من بعد الآن، يتجنّبون مثل هذه الأعمال المغايرة، بإعلان أنّه إذا كان لهم حقوق، فالحكومة تحصّلها لهم بكلّ راحة، وأنّه إذا عاد حصل منهم شيء مخالف، فيجري تأديبهم أينما كانوا بسطوة الدولة العليّة، فاقتضى إصداره لكم لكي تنبّهوا عن أمرنا وتنذروا أولادنا أهالي العاقورة وغيرهم نواحيكم، بعد أن تظهروا لهم مزيد الغمّ الذي حاق بنا من خبر كذا، وتحتّموا عليهم الحتم الجازم بكلمة الربّ العزيز سلطانها، وبتهديد القصاصات الضاربة بأن يتجنّبوا من الآن فصاعدًا غاية التجنّب أعمالاً مثل هذه مغايرة، ويتحذّروا منها مع أيّ كان وضدّ أيّ كان لأنّها ممّا يغضب الباري تعالى ويجلب تكدير ولاة الأمور على فاعليها والانتقام منهم أخيرًا، فضلاً عن أنّهم يضحون محقوقيها بعد أن يكونوا محقّين، ويمكنهم بواسطة الحكومة الجليلة أن يحصلوا على حقوقهم من الذين يعتدوا عليهم أيّهم كانوا. فباشروا إذًا عن أمرنا النصح والانذار والحتومات الجازمة، والتهديد بالقصاصات الصارمة في ذكرنا بهذا الخصوص، ليس فقط نحو أولادنا أهالي العاقورة، بل نحو أيّهم كانوا نواحيكم ليكونوا متحذّرين ومبتعدين عن كلّ شرّ مغاير، ومتجنّبين كلّ ما من شأنه أن يجلب عليهم غضب الله تعالى، وتكدير ولاة الأمور، وأنّه إذا كان لهم أو لأحد منهم حقوق عند المتاولة أو خلافهم، فليقدّموا أعراض ذلك لدى الحكومة المهتمّة الآن في صالح النصارى، وتحصيل حقوقهم من الذين أبدوا نحوهم التعدّيات والمغايرات، تأمر بتحصيلها لهم، فهذا ما نرغبه منكم ونأمركم، فتتمّوه بكلّ تدقيق، والبركة عليكم،

في ٢٧ أيلول ١٨٦٠
نأمر بتحصيلها لهم (٢١)

الخاتمة

يبدو من دراستنا الوجيزة هذه حول مختصر حياة البطريرك بولس مسعد، وبعض المقتطفات من وثائقه التاريخيّة، أنّ التاريخ الصحيح لا يمكن أن يُكتب إلاّ استنادًا إلى المستندات والوثائق التاريخيّة، وأنّ الحقيقة الناصعة تظهرها مؤلّفات ورسائل وكتابات الرجال العظام الذين صنعوا التاريخ، وليس ما يكتبه المؤرّخون عنهم. وهذا ما جعلنا نجزم، استنادًا إلى هذه الوثائق، أنّ البطريرك بولس مسعد عالج أحداث سنة ١٨٦٠ بحكمة ورويّة وفطنة وطول صبر وأناة، ولم يكن فريقًا في أسبابها ونتائجها، ولم يضرم سعير نيرانها.

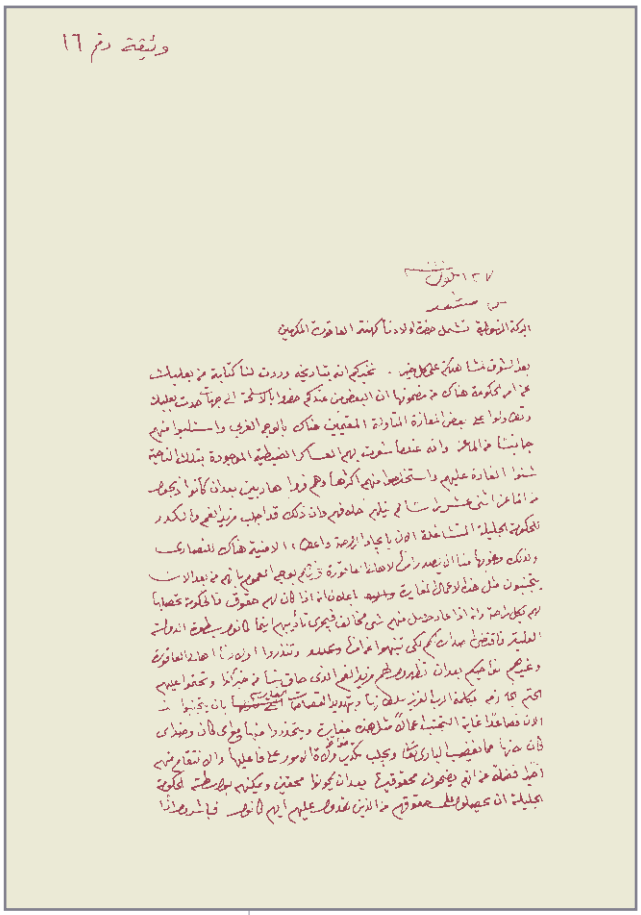
وثيقة رقم ١٦

(٢١) راجع أرشيف بكركي، المرجع نفسه، وثيقة رقم ١٦.

صلاح لبكـي

احتفت جامعة سيّدة اللويزة بالمئويّة الأولى لولادة المحامي الشاعر صلاح لبكي بندوة أحياها باحثون اشتُهروا في مجالاتهم. وممّا جرى على أقلامهم يُستفاد الكثير.

أصلاحٌ، رَبَّ الشِعر، مَنْ، مَنْ أنت لي؟ مَنْ قُلتَ بي مَدحًا يُزَلْزِلُني هَنا:
«إنْ راحَ يَنشُرُ شِعرَهُ هذا غَدًا قلامُنا رُحنا نُكَسِّرُها ضَنى».
خُذْها، صلاحُ: لَبَيتُ شِعرِكَ خالِقي ما خُنتُها كَونٌ إلى شِعري رَنا.

سعيد عقل

سهيل مطر

١٩٠٦	ولادته في ساو باولو. والده نعّوم، رئيس المجلس النيابيّ سنة ١٩٢٣. والدته نجيبة شكّور.
١٩٠٨	العودة إلى لبنان: السكن في بسكنتا ثمّ في بلدته بعبدات.
١٩١٢	يتنقّل بين مدرسة الحكمة ومدرسة الآباء الكبّوشيين في بعبدات ومدرسة الآباء اللعازاريين عينطورة. حياة مضطربة بسبب ملاحقة العثمانيين لوالده نعّوم.
١٩٢٦	انتسابه إلى كليّة الحقوق في جامعة القدّيس يوسف.
١٩٣٠	تخرّجه من الجامعة، وتدرّجه في مكتب كميل شمعون.
١٩٣٢	معلّم للّغة العربيّة في مدرسة الحكمة.
١٩٣٣	مساعد قضائيّ في قصر العدل. زواجه من عائدة كسّاب، ابنة سلمى صائغ.
١٩٣٤	بداياته الصحفيّة في: المعرض - الجمهور - المكشوف. تأثّره بالثقافة الفرنسيّة لم يمنعه من رفض الانتداب.
١٩٣٥	ينتمي إلى الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ: يُسجن عدّة مرّات.
١٩٣٧	إنسحابه من الحزب.
١٩٣٨	مجموعته الشعريّة الأولى: أرجوحة القمر.
١٩٣٩	انتماؤه إلى الكتلة الوطنيّة، ثمّ انفصاله عنها.
١٩٤١	تعاون مع حزب الكتائب من دون انتماء.
١٩٤٣	ديوانه: مواعيد. استقلال لبنان: إصدار جريدة نداء الوطن. مقالات في «العمل» و«الحديث».
١٩٤٥	من أعماق الجبل (مجموعة أساطير من وحي لبنان)
١٩٤٦	يكتب تحت اسم مستعار: درويش (البشير) ويراسل جريدة الهدى في نيويورك.
١٩٤٧	صدور «سأم» (قصائد ذات أبعاد فلسفيّة). يترشّح إلى الانتخابات النيابيّة، ويفشل.
١٩٥١	جمعيّة أهل القلم (صلاح لبكي - ميشال أسمر - أحمد مكّي - غسّان تويني - جميل جبر...) وانتخاب صلاح لبكي رئيسًا.
١٩٥٢	مؤتمرات عربيّة يشارك فيها ويلقى التكريم.
١٩٥٣	المرض يثقل عليه: حلمه أن يكتب عن يسوع.
١٩٥٤	لبنان الشاعر (دراسات نقديّة) وفاته، ورقاده في بعبدات.
١٩٥٦	صدور «حنين» و«غرباء» بعد وفاته.

صلاح لبكي أوّل الحداثة

د. جورج طراد

قبل أكثر من نصف قرن كتب صلاح لبكي (١٩٠٦- ١٩٥٥) في «لبنان الشّاعر» يقول «الشّعريّ حقًّا في أثر ما هو الصّور لا الأفكار» (ص ٥١).

أعتقد أنّ هذه الإشارة تصلح مدخلاً أساسيًّا لتحديد مفهوم الحداثة، كما رآها صاحب «أرجوحة القمر» قبل أكثريّة الشّعراء الآخرين، ليس فقط من مجايليه، ولكن أحيانًا ممّن جاءوا بعده. ففيما انشغل بعضهم بالموسيقى، واحتفل فريق بالعاطفة، وركّز آخرون على المعادلات الذهنيّة الفكريّة، رفع صلاح لبكي لواء الصّورة عنصرًا مؤسّسًا للشّعر الحقيقي كما قال. وقد يكون في هذا سبّاقًا إلى جانب مجايله الياس أبو شبكة.

من هذا الزّاوية بالتّحديد تبدأ المقاربة. فصلاح لبكي الذي اتّهمه كثيرون، في كتابات لا تخلو من القسوة حينًا ومن التّحامل أحيانًا، بأنّه تقليديّ عموديّ، فتح عينيه باكرًا على المغايرة، ومارسها في كتاباته النّثريّة والشّعريّة على حدّ سواء. والأهمّ، في رأيي، أنّه طبّق هذه التّغايريّة على نقده، لاسيّما من خلال مقاربته لنتاج شعراء لبنانيّين، مهجريّين ومقيمين، متتبّعًا حركة نموّ التّغيير، في المفاهيم وفي التّطبيق، لاسيّما في كتابه «لبنان الشّاعر».

والصّورة التي يعوّل عليها صلاح لبكي كثيرًا هي، على الأرجح، جزء من المضمون. ليست شكلاً، على أيّ حال. فالشّكل، في نظره، «هو الأهمّ في الفنون الشّكليّة»، في حين أنّ «المضمون هو قوام الفنون الأدبيّة» («لبنان الشّاعر» ص ٤٢). ولأنّ الشّعر من الفنون الأدبيّة فإنّ عموده الفقريّ هو المضمون، واستطرادًا الصّور التي تنقل المضمون أو تنبع منه، أو تعكس نبضه على أيّ حال.

ما يؤكّد هذا الاتّجاه أنّ صلاح لبكي يميّز ما بين الفكرة، كثمرة عقل واعٍ ومتكامل، والصّورة التي تترجم تلك الفكرة أو تقرّبها أو تضعها في المتناول أو توحي بها. وهذا المنطق النّقديّ ينسحب عنده حتّى لدى تناوله لنتاج شعراء مبرّزين ومكرّسين مثل المتنبّي وغيره. فهو على سبيل المثال يأخذ بيتين من المتنبّي، نعرفهما جميعًا وهما:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتعظم في عين الصّغير صغارها

وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتصغر في عين الكبير العظائمُ

يقرأهما وفق مفهومه الخاصّ بأهميّة الصّورة الفنيّة، فيقرّر أنّهما أنموذج لما يمكن أن نعتبره «اللاشعر».. ويستنتج: «إنّي لا أعرف أبياتًا لا تمتّ إلى الخيال، ولا قيمة لها إلاّ بجمال الفكر الذي تعبّر عنه، ولكن لا يمكن أن يخطر ببال أنّ هذه الأبيات شعر» («لبنان الشّاعر» ٥١- ٥٢). وبدهيّ القول إنّ هذه الفكرة عن «اللاشعر» موجودة بكثافة عند شعراء الحداثة اللاحقة أمثال يوسف الخال وأدونيس وغيرهما، ممّن جاءوا بعد صلاح لبكي وقرأوا «لبنان الشّاعر» الذي سجّل نبض الحركة الشّعريّة في لبنان حتّى أواسط القرن العشرين.

أكثر من هذا: نرى أنّ صلاح لبكي عندما يريد أن يعطي رأيًا في نتاج ما، إنّما ينطلق من فكرته هو ويحاول تطبيقها على الأثر المدروس وقياسَه على سلّمها الواضح التّرسيم. هو تناول مثلاً ديوان نقولا الترك، في أواسط القرن التّاسع عشر، فوجد أنّه «ذو قيمة تاريخيّة لا يستهان بها». لكنّه يستدرك قائلاً: «إلاّ أنّ قيمته الشّعريّة دون قيمته التّاريخيّة». ويسوّغ حكمه موضحًا: «فشعره لا يسمو في شيء على أثر التّقليد المتّبع في عصور الانحطاط، بل قد يقلّ عنهما سبكًا وشدّة ضبط» (ص ٧٣).

هو، إذًا، لا ينكر أهميّة الفكر والعلم، ولكنّه لا يعتبرهما كافيين ليكون المرء شاعرًا، بكلّ معنى الكلمة كما يفهمها صلاح لبكي، الذي قال مرّة: «الأفكار التي يحلّي بها (شاعرٌ) شعره تكسب أبياته جمالاً، ولكنّها لا تجعلها شعريّة أكثر» (ص ٥٢).

مقاربة نقديّة ثانية مارسها صلاح لبكي على شعر الأخطل الصّغير (١٨٨٥- ١٩٦٨). ومن دون الدّخول في المنافسات التي كانت بينهما، يمكن اقتطاف فكرة ربط الأثر الأدبيّ بالزّمن الذي شهد ولادته. فصلاح لبكي يعتبر أنّ ديوان الأخطل فقد الكثير من قيمته، لأنّه تأخّر في الصّدور. «فلو أنّه نشر في

حدود ١٩٢٠- ١٩٢٤ لكان له وقع الحدث، ولكنّه (...) يبدو اليوم (...) كأنّه زهور ربيع سبق» (١٢٢).
أمّا حين يتناول نتاج مجايله الياس أبو شبكة (١٩٠٣- ١٩٤٧)، فإنّه يسعى إلى تطبيق منهجيّة لم تكن منتشرة كثيرًا في أيّامه، هي المنهجيّة المتوكّئة على الأدب المقارن، خصوصًا حين شدّد في أواسط القرن العشرين على الرّبط بين ما كتبه أبو شبكة وما كان قد قرأه عند الفرنسيين ألفرد دوفينيي في »شمشوم« وشارل بودلير في «أزهار الشرّ» (ص ٢٠٨). وهي مقاربة يمكن اعتبارها، قياسًا إلى زمنها، حديثة، أو هي تتوق لأن تكون كذلك!
واللافت في هذه العلميّة النّقديّة الحديثة، ولو في بداياتها، عند صلاح لبكي، أنّها تتقصّى عن المبادئ والنّظريّات التي يطلقها الشّاعر، وتحاول أن تتلمّس مدى تطبيقها في النّتاج العمليّ الفعليّ. وفي هذا بالتّأكيد خروج على النّقد النّعميميّ التّقليديّ وعلى الأحكام الكيفيّة الذاتيّة التي تحكّمت بنقدنا مئات السّنين، ولم نتخلّص من تأثيراتها بعد، مع الأسف الشّديد..
يطرح صلاح لبكي السّؤال المحوريّ التّالي بشأن أبو شبكة فيقول: «هذه هي نظرة أبي شبكة إلى الشّعر.. فهل كان وفيًّا لها؟» (ص ٢٠٨)..
ويروح يتقصّى في شعره ما يراه تعبيرًا عن نظرته إلى الشّعر..
هكذا يطلّ صلاح لبكي على الحداثة، ولو بخطى خجولة.. ذلك أنّه كان مرهقًا بأمور كثيرة في الأعمال والمحاماة والسّياسة، كما قال عنه جورج صيدح (أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركيّة- ط ٣- ١٩٦٤ ص ١٧٦ وما بعد)، ولم يكن لديه الوقت الكافي للتّمحيص ولملاحقة تطوّرات الحياة الأدبيّة والنّقديّة في العالم.
لكنّه رغم ذلك ظلّ ثابتًا عند فكرته في أنّ الشّعر هو الصّورة، أو هو ليس بشعر. وإنّ تلك العناصر الأخرى قد تكون رافدة رديفة، ولكنّها ليست أساسيّة على الإطلاق، سواء كانت تلك العناصر فكرة أو تركيبًا أو حتّى موسيقى. يقول:
«هناك من المنظومات ما هو عار من الشّعر، وهو إلى ذلك جميل. ولكن ينبغي لنا أن نحاذر تسمية هذه المنظومات شعرًا. فجمالها ليس مستمدًّا من شعرها، بل من جمال فكرتها، أو من جمال تركيبها، أو من جمال موسيقاها. وهي لا ينسبها إلى الشعر، بالمعنى العامّ، إلاّ قوالبها تلك التي تستخدم لنقل الشّعر عادة» (ص ٥٧- ٥٨).
وإذا بقينا في مجال مقارباته النّقديّة نجد أنّ صلاح لبكي أطلق نظريّات كثيرة، صارت لاحقًا أسسًا نادى بها مطلقو نظريّات الحداثة العربيّة في مجال الشّعر خصوصًا.
فهو مثلاً يتحدّث عن أسلوب جبران خليل جبران، فيجد أنّه «تنكّبَ عن المألوف من الجناس والمجاز، ومحاولة لتحميل الكلمات فوق ما تعوّدت حمله من المعاني ولتجريدها من التّفاهة والفضول» (ص ١٣٩).
إلاّ أنّنا نجد في نسل هذا الكلام، رأيًا آخر متحدّرًا من صلبه مباشرة، قاله رموز الحداثة الشّعريّة بعد عشرات السّنين؛ فأدونيس في «زمن الشّعر» يقول إنّ «الشّعر الجديد هو فنّ جعل اللغة تقول ما لم تتعلّم قوله» (ص ٢٠) أو «اللغة الشّعريّة هي اللغة المغسولة من صدأ الاستخدام الشّائع الجاري» (ص ٢٤٤).
وفي السّياق نفسه نقرأ كلامًا لصلاح لبكي يقول: «إنّ القصيدة التي نقرأها ونطرب لها (ونعيشها) ليست قصيدة الشّاعر الذي نظم، إنّما هي قصيدتنا نحن» (ص ٥٤) فنجد صدى واضحًا له في كلام لرموز الحداثة اللاحقة، خصوصًا حين يقول أدونيس إنّ هناك في القصيدة الواحدة قصائد بعدد الذين يقرأونها، أو أنّ القصيدة الحقيقيّة تبدأ عندما يضع الشّاعر نقطة النّهاية لقصيدته!
هل كان صلاح لبكي واعيًا لأهميّة الحداثة وعيًا منهجيًّا، وليس مجرّد وعي عابر أو مستلهم لقراءات ونظريّات؟
الحقيقة إنّ الجواب صعب هنا. أو هو، بعبارات أكثر علميّة، يحتاج إلى دراسة متأنيّة وطويلة ومنهجيّة. ما يمكن قوله، ولو بشكل أوّليّ، هو أنّ صلاح لبكي رصد التحوّلات التي طرأت على القصيدة اللبنانيّة في القرنين التّاسع عشر والعشرين خصوصًا، وأنّه تتبّع نموّ الشّعر النّصاعديّ وتغايريّته النّوعيّة، فاقتنع أنّ النّفس ينحو صوب الحداثة، فالتقط بثًّا شجاعًا وحاول تأطيره والتأسيس عليه..
ربّما لأجل هذا قال عنه فؤاد كنعان «إنّه بين الرمزيين والرومانسيّين، لا غنائيّ مائع ولا كثيف الغموض» (مقدّمة لبنان الشّاعر ص ١٢).
وكذلك اعتبر أنطون غطّاس كرم نثره مميّزًا، فقارنه بنثر سعيد عقل، و«هو نثر مقفل لا يستخرج مضمونه إلاّ بشَقّ النّفس (...) أمّا صلاح لبكي فوفّق في ذلك توفيقًا أوفر إذ جاء نثره.. أكثر وضوحًا (الرّمزيّة والأدب العربيّ الحديث - دار النهار ط ٢ - هامش ١١٩ ص ٢٦٦ - ٢٦٧).
وقد يكون من المناسب والواقعيّ القول مع جورج غانم إنّ صلاح لبكي »كان العراك الأوّل للتحرّر من رواسب التّقليد وقيوده» (شعراء وآراء مكتبة صادر- ط ٢- ص ١٢٧).
ختامًا، صلاح لبكي صوت له صدى. صدى حقيقيّ ما زال يترجّع حتّى الآن في حناجر تدرّبت على «لبنان الشّاعر»، وشبّت على ما فيه من جرأة على المقاربة ورغبة في مغادرة الدّروب السّالكة التي حفظتها الذّاكرة عن ظهر قلب، وصارت قوقعة لا ينمو فيها إلاّ «اللاشعر».
وصلاح لبكي فضّاح عيوب «اللاشعر»، ونبرةٌ أولى لا يستهان بها على طريق حداثة حقيقيّة يفترض أن نعود إليها بعلميّة محبّة لنعطيها بعضًا ممّا لها علينا جميعًا.

صلاح لبكي، شاعر الليل

د. منيف موسى

شاعر مغامرة هو. مغامرة الانسان في معركة الوجود. والشعرُ وجود: وشاعر صراع الانسان مع نفسه ومع الحياة. فمنذ "أرجوحة القمر" إلى "سأم"، حتّى وهو يعبّ الحياة. كان سأمه سأمًا وجوديًّا رومانسيًّا. فغدا الشفيف من الليل عنده لبوسًا قاتمًا يوشّحه بخطوط فيها بعض ضياء. لا نكاد نرى ومضه حتّى يغيب في خاطر الأسود.

فصلاح لبكي، شاعر الليل كان، وشاعر البوح والبثّ. في هدأة الليل كان يعود إلى روحه، وروحه تمتلك جسدها... وكأنّه الانسان الأوّل في فردوسه المفقود.[١]

ولكأنّ هذا الفتى الأسمر الأهيب على طلعته وأناقته وإقباله على الحياة، لم يفتأ يمور في بحران الضجر والسأم. فهو، وإن تجمّعت في شعره مختلف عناصر الرومانسيّة كان بودليريّ النزعة والنزوع، فأنت لا تكاد تستذكره في خاطرك أو أدبك، حتّى يترجّع في ذهنك «سفر تكوينه»:

هفا الليل قومي نهزّ المنى بأرجوحة من ضياء القمر[٢]

إلى قوله في ميلاد الشاعر:

وحدي أنا يا ربُّ وحدي نشوان من سأم وزهد
وحدي كأنّ الشمس لم تطلع على الدنيا بوعد[٣]

وإذا أقبلت على دواوينه طالعتك قصائد بودليريّة النغم: «موت الطيور» و«موت الورود» و«موت الشاعر»[٤] فتتصادى في نفسك قصائد بودلير:

la mort des amants", "la mort des pauvres", "la mort des artistes", "La fin de la journée".[5]

[«موت العشّاق»، و«موت الفقراء»، و«موت الفنّانين»، و«زوال النهار»]

فما عساه – هذا الانسان الشاعر– يقول؟ وهو الذي دعا الطبيعة إلى شعره، فحشد فيه الليل والمطر والأرض والنجوم[٦]، وقد تهالك على الليل فصبغ به «أرجوحة القمر» واقفًا عليه أروع أغانيه حتّى لخيال أنّ أرجوحته عمارة واحدة من وحي الليل. وقد كحّل بإثمدة أبياته وقوافيه، فإذا مأتم الضياء موت اللون في الأحداق[٧]، لتحضرَنا في هذا المقام «أناشيد الليل» التي لنوفاليس [novalis][٨] حيث يموت الشاعر محترفًا باللهيب المقدّس.[٩]

فها هو صلاح لبكي الشاعر العاطفيّ المزاج، العصبيّ المراس، الرومانسيّ النزعة، الذي يرتقي إلى صفوة الشعراء الذين قدّسوا الليل وناجوه. فالليل عندهم طريق لانطلاق الأفكار والأخيلة.

وصلاح لبكي كتب معظم شعره في هدوء الليل. وكان ينقّح هذا الشعر، عندما يكتمل في الصباح. وكان يذوب تحنانًا في أثناء إلقائه شعره.[١٠]

ذات يوم قال سعيد عقل في صلاح لبكي: «... صلاح الشاعر أخ للطيّب والليل والربوة وهدير الموج... زاد شعره كرّ العنادل في الجبل. فالضوء المجلبب منعطفاتنا أصبح بعده أنعم وأكثر

١- فؤاد حدّاد: صلاح لبكي في صميم حياته وأدبه، مجموعة محاضرات فؤاد حدّاد في الندوة اللبنانيّة، منشورات الندوة اللبنانيّة، بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٥.

٢- صلاح لبكي: **أرجوحة القمر في «الأعمال الكاملة» المجموعة الشعريّة**، ط ١، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص ١٢.

٣- م.ن. ص ٩٥.

٤- صلاح لبكي: **مواعيد «الأعمال الكاملة»...** ص ٧٦ و٧٨، ٩٦.

(5) Charles Baudelaire: Les fleurs du mal, éd. Gallimard et Librairie Générale Française, Paris, 1946 p.p. 145, 146, 147.

٦- توفيق يوسف عوّاد: **فرسان الكلام**، في «المؤلّفات الكاملة»، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧/ ص ٥٤١.

٧- فؤاد كنعان: مقدّمة كتاب «**لبنان الشاعر**» لصلاح لبكي. صلاح لبكي، الأعمال الكاملة، ص ٩١، (المجموعة النثريّة) ١٩٨٢.

٨- شاعر ألمانيّ: اسمه الأصليّ: غيورغ فيليب فن هاندربرغ. ولد السنة ١٧٧٢ في فيدرشتيد. توفّي السنة ١٨٠١.

٩- عبد الرحمن بدويّ: **الموت والعبقريّة**، ط ٢ مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٨٧.

١٠- منيف موسى: **الشعر العربيّ الحديث في لبنان**، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠، ص ٤٧.

مخمليّة، والظلال المنطرحة على السهل غدت أطرى وأندى».[١١]
شاعر الليل هذا، كيف نقرأ صورة الليل في شعره؟

الليل في شعر صلاح لبكي

مثلما كان صلاح لبكي غنيًّا في تجربة الحبّ، كان غنيًّا في تجربته مع الطبيعة. فهو في ذلك صنو (لامرتين) (Lamartine). فبين هذين الشاعرين قرابة روحيّة. وقد ارتمى اللبكي كما ارتمى لامرتين (Lamartine) من قبله، بأحضان الطبيعة، وراح يبثّها بوحه ونجواه. وأكثر ما أحبّ صلاح في الطبيعة الليل فدعاه إليه، وتمنّاه وتملّقه، وبقي حياته ينتظره انتظار المولّه المفتون. أحبّه في نفسه التي روّضها عليه حتّى غدا قطعة جميلة من قطعه الجميلة. أحبّه في الطبيعة التي أنس بها، إذ يموت النهار فيها على الصخر وفي مغامض الشجر وبين لفائف الغاب. أحبّه في حبّه ذاك الذي كان مساءً في صباحه. ومساءً في مسائه. فإذا أطيب الأماني تلك التي تهبُّ عليها من المساء نفحات. وأطرب الآمال تلك التي يكون لها المساء صوتًا وصدى. وإذا الحبّ المفجوع هو الذي يعزّيه ويملأ ذاته من خيرات يده، ويسدّ في نفسه مسافات كم أنعم الدهر في تخريبها[١٢] حتّى غدا صلاح شاعر الليل، فحضنه واتّحد به، إذ وجد بدلاً من واقع يشوّه حقائق الأشياء. فضياء القمر، وخفقات النجوم، وزفرات النسيم، مسارح للأحلام الليليّة التي تسبح بالشاعر الذي لم يعرف الحلم في وضح النهار. يقول اللبكيّ:

هفا الليلُ قومي نهزّ المنى ... بأرجوحة من ضياء القمر
ونفلت أحلامنا الراقصات ... على خفقات النجوم الغرر
فتسرح فوق فراش الغمام ... وتمرح تحت غصون الشجر
وتحملها زفرات النسيم ... فيعلق بالصبح منا أثر[١٣]

هذا الليل يعيد الشاعر إلى ذاته، ويبعده عن عالم الضوضاء. يحمل النفس إلى أبعد ما تشتهي، حيث تشعر بالوحدة والوحشة. هناك يطيب العيش، وينمو الحبّ، وتحلّ الأحلام في دنياها، ويتحلّل الشاعر من سلطان الواقع، ويروح يبتني لنفسه عالمًا آخر يعانق فيه رغباته بالخيال؛ فالحلم في هدأة الليل هو صنو الحريّة التي تتحقّق بالفعل النفسيّ. بل أنّ الحلم هو تفلّت من قيود المادّة، وانطلاق إلى عالم الروح، وإشاحة عن قبح الواقع إلى الجمال المبذول في مظاهر الوجود، يرتشفه الانسان ويستشفّه، بدلاً من أن يرسف في رقّ الحواسّ وعبوديّة العيش وهمومه.[١٤]

إنّ صلاحًا يريد الانعتاق إلى التخوم الأخرى، عبر ظلمة الليل، في سبيل فردوس مفقود. وإنّ هذا الانعتاق الليليّ لا يكتمل إلاّ بالمرأة التي تشاطره حلمه، فتفيض النفس بأحلامها المخمورة، حيث ينتقل معها الشاعر - وهو سيّد الطبيعة - إلى روح الليل وضميره، في محاولة رومنطيقيّة للتفكّك من قيود العالم والانفصام عن الطبيعة الجاحدة اللامبالية؛ فليس له إلاّ الليل خدينًا يحمل شوقه ويشاركه حلمه. يقول صلاح:

هفا الليل قومي نذرّ على ... حواشيه مخمور أحلامنا
... تعالي ففي الليل شوق إلى ... تقطر أنفاسنا موهمنا
... ونحن نناجي بنات الصباح ... فلا يحلم الليل إلاّ بنا[١٥]

ولهذا الليل بهاء، تنهار أمامه عربدات الضياء، والعنجهيّة التي تنمّ عن ازدراء لهذا الوجود. فإذا الليل يكفّنها ويقضي عليها. إنّه عنوان التواضع والروح الخيّرة التي تفيض بالسناء:

فيا لسنى الليل تنهار منه ... ومن سحره قلل الكبرياء
فلا شمم الفجر يذكر فيه ... لشيء ولا عربدات الضياء[١٦]

ففي الليل حين تغمض العيون أجفانها، يغيب الشاعر وراء العتمة. فاليقظة ترهقه وتتعب جسده

١١- سعيد عقل: مقدّمة ديوان «سأم» لصلاح لبكي، كتبها في تشرين الثاني، ١٩٤٨. سعيد عقل شعره ونثره. كتاب «**كأس الخمر**»، ط ٢، نوبليس، بيروت، ١٩٩١، ص ٤٨ و٤٩.

١٢- سليم باسيلا: «ذاك الأسمر الأهيب»، مجلّة **الحكمة**، ١٩٥٥، العدد ١٠، آب، ص ٣-٤.

١٣- **أرجوحة القمر**، أ- ك، ص ١٣.

١٤- إيليّا حاوي: **صلاح لبكي شاعر الروح والبوح**، لا. ط. دار الكتاب اللبنانيّ، د. ت، ص ١٣.

١٥- **أرجوحة القمر**، ص ١٤.

١٦- م. ن، ص ١٥.

ونفسه. وهو، إذ ينام، يحلم بأنغام قاتمة، هي مؤنسته في وحشته. يغنّي اللبكي:

فما لك يا عين لم تهجعي لقد تعب الليل ممّا يعي
... وأغمض عينيه مستأنسًا بلحن من القاتم المفزع[١٧]

يشخّص صلاح الليل، ويجعله يتعب من يقظته. فإذا ما أغمض عينيه، يستأنس إلى الأحلام ذات الأناشيد السوداء، وإن كانت مفزعة. هنا يلتقي صلاح لبكي مع أديب مظهر، وخصوصًا عندما يقول:

وفي النفس شوق إلى طيفها يرى من فؤادي ومن أضلعي[١٨]

ويقول أديب مظهر:

فيا شبح الموت أطفئ غدي بمخلبك الناعم الأسود

وكلاهما يلتقي مع بودلير (Baudelaire) في هذا العزاء، الذي يصل إلى حدّ الموت. ففي هذه النزعة أو هذه التمنيّات، أو هذا الشوق كما هو عند صلاح لبكي، صورة للعذاب والمكابدة، التي هي صور النفس فتمثّل الروابط النفسيّة والفكريّة بمؤثّرات الظروف التي تشابهت وفرضت نفسها على كلّ من أديب وصلاح، وجعلتهما من هذه الناحية يمتّان إلى بودلير (Baudelaire) بصلة روحيّة من ناحية السأم، فيرى كلّ منهما بالموت خلاصًا. فالموت هو الذي يعزّي، والذي يحيي. هو غاية الحياة، هو الأمل الوحيد، إذ إنّ في دجى الليل تمثّل روحَ الله أمام العاشق لاستلهام القداسة في معبد الطبيعة:

هل رأت مقلتاك روح آلة في دجى الليل ماثلاً في الهضاب[١٩]

وهذا الليل، عبر انطواء الشاعر على نفسه، وفي غياب أحلامه، يحميه وحبيبته من أعين الوشاة الذين لا يرضون السعادة للمحبّين:

ووشّى الطيب إلى الناس بنا فاستعنّا الليل فيه فأعانا[٢٠]

وأيّ سلطان للّيل على الشاعر؟ بل أيّ سلطان للشاعر على الليل؟ حتّى أنّنا نرى واحدهما الآخر، وما هذا الانغماس داخل ستائر الظلام؟ فاللبكي يستدعي الليل لأنّه عطوف خالد، يرأف بحال الشاعر وينتقم له من رجس العباد وتجنّي الورى، ويبعده عن عالم الشرّ والحسد. ويحمل إليه الجمال البهيّ والبسمة الحلوة حتّى أنّ كلّ حسن في هذا الكون إنّما هو من فيض الليل عند صلاح:

رحم الليل أحين السهاد ومحت كفّه الشعاع المنادي
أخرست كلّ صيحة في فم الشمس ومالت بكبرياء المهاد
... أيّ ربّ يا ليل أنت رئيف بتجنّي الورى ورجس العباد
ما كسوت الوجود لطفك إلاّ خجل الشوك بالرؤوس الحداد
... ويفيض الجمال منك فلا يبقى قبيح في الكون إلّفَ حداد
بسمة أنت في السفوح وعفو دائم الفيض دائم الميلاد
... تنحني دونك البرايا وتنهد سكارى بنشوة العُبّاد[٢١]

إنّها لعبادة يكنّها الشاعر للّيل، وأنّه لخطّ جديد ينتهجه صلاح في تقديسه الليل. فالناس عبر العصور عبدوا الشمس والنور، وذلك لجهلهم سحر الليل، وفق رأي اللبكي. فإنّهم لو وعوا أبعاد هذا الليل لاتّخذوه إلهًا ومعبودًا. إنّ روحًا من الوثنيّة تسيطر على نفس الشاعر. وما هذه النزعة في شعر اللبكي، إلاّ نوعٌ من الغلوّ في تأليه الليل، حتّى لا نكاد نرى عند شاعرنا صبحًا ولا نهارًا. يقول اللبكي في تقديس الليل:

١٧- م. ن، ص ١٦.
١٨- م. ن، ص ١٦.
١٩- م. ن، ص ١٧.
٢٠- م. ن، ص ٢٠.
٢١- م. ن، ص ٢٣ و٢٤.

عبد الناس دونك الشمس في الأعصر ... قـدمًـا فـيـا لـجـهـل الـعـبـادِ
عـبـد الـنـاس وحـدة الضـوء قِـدمًـا ... وفـــدوه بـــطـــارف وتـــلاد
... رهـبـوا الـوهـج فـي الـمشـارق ... وارتـدوا حـيـارى فـي سـرّه الـوقّـاد
لـو دَرَوا بـعض مـا تـكـن لـخـرّوا ... فـي الـعشـيّـات فـوق صـدر الـجـهـاد
كـنت قـبـل الـزمـان فـي خـاطـر ... الـغيب وتـبـقى عـلـى مـدى الآبـاد...[٢٢]

إنّه لكبير قلب هذا الشاعر الذي حضن الليل وغنّاه بأحلى ما يكون الغناء، فإذا شعره قطعة بهيّة من قطعه. وصلاح، إذ يغنّي الليل، إنّما يغنّيه على طريقة الشاعر نوفالس (Novalis) الذي يكره الضوء، ويصغّر في أناشيده النهار ويحقّره: «كم هو شحيح وتافه في نظري هذا الضوء الآن... وأيّ ابتهاج، وأيّة نعمة تكونان عند تشييع النهار»[٢٣]، وعلى طريقة «دي فيني» (A. de Vigny) الذي كان يكره الصباح ويوصد في وجهه النوافذ ويشعل الشموع في غرفته ليوهم نفسه أنّ الليل لم ينقض بعد، وأنّ عرائس الوحي لن تنقطع عن زيارته...[٢٤] وكم يطرب صلاح لموت النهار ومجيء الليل، حيث ينعم في غمرته بالدافئ الناعم على ذراع حبيبته وهما يروحان في حلم. إنّ صلاحًا لم يرتح للنهار ولا اطمأنّت نفسه للنور. ففي مكان دافئ أعزل بعيد، يؤثر الحبّ، والليل يلفّه بنغم حلو كحلم العشّاق:

مـات لـون الـنـهـار فـي الأحـداقِ ... واسـتـراح الـدجـى عـلـى الآفـاقِ
... أيـهِ يـا أختُ نـنـهـل الـنـاعـم الـدافـئ ... مـن غـمـرة الـلـيـالـي الـعـمـاق
عـلّـنـا نـنـتـهـي عـلـى نـغـم حـلـو ... كـحـلـمـيـن مـن رؤى الـعشّـاق[٢٥]

أمّا لماذا أنشد صلاح لبكي الليل بهذا الشكل وجعله محور قصائده وشعره وغنّاه كما لم يغنّه شاعر عربيّ؟ فذلك عائد إلى نفسيّة صلاح الكئيبة الحزينة. إذا ضحك كانت ضحكته عبارة عن ابتسامة مريرة تحمل وراءها مزاجًا سوداويًّا؛ وإنّه تاليًا، كان يحبّ الألوان القاتمة حتّى في لبوسه، وكان ينظم شعره في الليل في هدوء الليل، وهو شاعر حزين، وإن تردّد عنده بعض الومضات من النور والضياء، و«الغد». فاللبكي، وهو يتغنّى بالضياء والغد، يحمل في طيّات غنائه ألم الحاضر. إنّه شبيه مَنْ يتغنّى بالهناء، والأوجاع تقطّع أحشاءه. فصلاح في حياته ومعايشته، كان يخفي تحت حسن معشره ولطافته نَفْسًا حزينة كئيبة وعالمًا قاتمًا. والليل في شعر هذا الشاعر قرين أحلامه ورؤاه، يهواه مدى العمر، وحتّى بعد الموت. فاسمع صلاحًا يخاطب الليل:

أنـا أهـواكَ فـي الشـتـاء غضـوبًـا ... بـيـن لـمـع الـبـروق والأرعـاد
... أنـا أهـواكَ فـي الـربـيـع رقـيـقَ ... الـبثّ حـلـوَ الـمـنـى كـوجـه بـلادي
... أنـا أهـواكَ فـي الـخـريـف وفـي ... الصـيـفِ وأهـواكَ فـي غـنـاء الـحـادي
لـيـت لـي ضـمّـةً أشـدُّكَ فـيـهـا ... بـذراعَـيَّ مـعـانـق مـتـمـاد
فـيـمـيـل الـوجـود حـولـي ويـنـهـار ... وتـبـقـى مـخـلّـدًا لـفـؤادي[٢٧]

هذه النفس الحزينة المغنيّة المنشدة، هي دائمًا في حَيْرة وقلق. لقد انطوت على ذاتها هاربةً في عزلتها وسويدائها، لقد جبلت بالحزن حتّى صارتِ الحُزنَ نفسه، وشاركت الطبيعة هذا الحزن وهذه الحيرة. وإذا صلاح ينضح في شعره حزنًا، هذا الحزن الذي صار عنده كالوحي عند الأنبياء.

يـغـمـر الـحـزن فـؤادي مـثـلـمـا ... يـغـمـرُ الـوحـيُ قـلـوبَ الأنـبـيـاء[٢٨]

٢٢- م. ن، ص ٢٥، ٢٦، ٢٧.

٢٣- إميل معلوف: «الرومنطيقيّة في شعر صلاح لبكي»، مجلّة **شعر**، ١٩٥٩، العدد ٩، م ٣، كانون الثاني، ص ١٠٤.

٢٤- سليم حيدر: «سياحة في أرجوحة القمر»، **المكشوف**، ١٩٣٨، العدد ١٣٧، م ٤، شباط، ص ٢.

٢٥- **أرجوحة القمر**، ص ٤٢.

٢٦- أنطون قازان: **أدب وأدباء**، م ١، الأهليّة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٩.

٢٧- **أرجوحة القمر**، ص ٢٧ و٢٨.

٢٨- م. ن، ص ٥٦.

صورة المرأة في شعر صلاح لبكي

صلاح لبكي

د. ديزيريه سَقّال

١- مقدّمة: ظلّت المرأة تمثّل دورًا كبيرًا في الشعر العربيّ، وفي تجارب الشعراء عمومًا. ولقد نظروا إليها نظرةَ حبّ وشغف، أو نظرة اشتهاء وتملُّك، أو نظرةَ انسحاق وحرمان وتألُّم. واستوحوا منها الصور والخيالات، وتعانقت فيها المشاعر، وتداعت الأظلال... وانتزعوا صورَها ممّا حولهم، ومن همسات ذواتهم وقد صاغتها معاناتهم المحاصرة بمفاهيمهم عبر العصور.

وإذا أردنا أن نترصّد صورة المرأة، عمومًا، في الشعر العربيّ التقليديّ، وجدناها منسكبةً في صفاتٍ وصور مستلَّة من الحيوان والنبات. فهي تارةً صورة منتزَعة من الظبي، والشادِن، والرشإ، والمهاة، وسواها من أنواع الغزلان التي عرفوها، فأخذوا منها للمرأة أجمل ما فيها؛ وهي طورًا صورة منتزَعة من قضيب الرمّان، أو من ليونة الخيزران، أو من ألوان الزهور... تُسبَغ على خدّ المرأة أو على قَدّها، أو على حركتها...

وعلى العموم، كانت صورة المرأة في الشعر العربيّ مستعارةً من أشكال ماديّة، أضفت عليها قرائح الشعراء لونًا وطعمًا مميّزين.

على أنّ هذه الصورة حُصرت عند الشعراء العرب، حتى مطلع القرن العشرين، وتحديدًا حتى مرحلة ما بين الحربين العالميتين، بمقاييس الجمال العامّة عندهم، فلم تخرج من هذا الإطار، سواء أكانت نظرتهم إليها عذريّة أم إباحيّة، حضريّةً أم بدويّة، بل أكاد أقول إنّ المرأة كانت تَنسُل من رؤيا واحدة، تعدّدت فيها الكلمات، ولكنّها ظلّت تشِفّ عن ثوب واحد، لا يتغيّر فيه إلاّ ألوانه وتقسيماته الخارجيّة، وبعضُ تفاصيله هنا وهناك...

٢- المرأة وصورها الجديدة: لكنّ نقلة نوعيّة قد شهدتها هذه الصورة مع قريحة شعراء القرن العشرين خصوصًا، حين نهدَت المخيِّلة إلى انتزاع الجديد من صراع الذات مع المجهول، فتشكّلت للمرأة صورتان كبيرتان عند أكثر الشعراء، منفصلتان تارةً، ومتداخلتان تارة أخرى، في حين ظلّ شعراء كثيرون يدورون في فلك صورة المرأة القديمة، عنيت بالصورتين: المرأةَخ الملاك، والمرأةخ الشيطان. ولعلّ في هاتين الصورتين أنفسهما تأثُّرًا بالفكرين الدينيين المسيحيّ والإسلاميّ، فإذا بالمرأةخ الشيطان مستوحاة من حوّاء التي أسقطت آدم وأخرجته من فردوسه العدنيّ، أو من فكرة الأحابيل والكيد التي ترسّبت في بعض الأحاديث والآيات. وإذا بالمرأةخ الملاك صورة مستجِدّة من صورة الحبيبة الحقيقيّة ارتقت لتصير شكلا من أشكال الأرواح النورانيّة اللطيفة التي شفّت عن أثير، وتحوّلت هَيولاها إلى عنصر سماويّ قرّبها من الله، وقَمّصها صورَ الملائكة.

إلى هذه الصورة تنتمي امرأة صلاح لبكي.

٣- المرأة في شعر صلاح لبكي: هكذا نظر صلاح لبكي إلى المرأة نظرة مغايرة، أو نظرة فيها من الإجلال والإكبار ما جرّد المرأة من طبيعتها الإنسانيّة لتصير صورة من صور السماء.

أوّلاً: رصد صفات المرأة: وإذا رصدنا طبيعة المرأة في صوره وجدناها تتوزّع على المحاور التالية:

■ **أ- النعمة:** يسبغ صلاح لبكي على صورة المرأة طبيعة النعمة، فمبالاتها بالشاعر نعمة[١]، ووجودها نعمة للإنسان وللربيع[٢]، وهي ديمته

١- صلاح لبكي، **حنين**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦١، ص ٣٧ (قصيدة: الأرحم).

٢- المصدر نفسه، ص ١١ (قصيدة: حنين).

وخِصبُ شعره[٣]، وترفٌ لعينيه ورَيّ لهواه[٤]. وهي رقرقة الينبوع[٥]، و«فرح الروض»[٦]، وابتسام على شفتي الليل[٧]، وغدير رقراق في صحرائه تشفيه منه نَهلة واحدة[٨]. وهي مكان من ربيع أخضر الأفياء[٩]، بها يورق عودُ الروض، ويشقّ الزهر أكمامه[١٠]. وكلّها صفات ترتبط بالخصب وبعشتار.

■ **ب- التكوين:** بالنسبة إلى صلاح لبكي، المرأة كلمة التكوين[١١]، بها يصير خالقًا بامتياز، بل يجد له قدرة «فوق قدرة الشاعر الخالق، لأنّ المرأة تمنح الجمال حياةً»[١٢]، ما يعني أنّ الشاعر تصير له القدرة على الخلق كما من عدم، ليُزامِل الله في بَرْءِ الوجودخ وهي فكرة جديدة عمومًا في الشعر العربيّ حتّى أيّام لبكي.

والمرأة تفتح عين الشاعر، بمعنى أنّها تكوّن له رؤيته ورؤياه، فهو، مِن غيرها، «مقلة لا ترى النور، وعقل لا يهتدي لصريح»[١٣]. إنّها غده[١٤]، وهمّه الأوّل والأخير. إن أقبلَت أمسى كلُّ ما في الأرض «عَذبَ المورد»، وفي شفتيها «أبَد من أبَد»[١٥]، بل هي تُطلِع الأبد، فتُطلِعُ بذلك «شرقًا من الطيب الندي»[١٦].

وللمرأة قوّة بعثِ الجَماد، حتّى إذا حدّثتْ أصغى إليها المرمَر[١٧]؛ كما أنّها هي التي يشرب منها رحيق الحبّ «رحيقًا قبل كونِ الرحيق»[١٨]، لأنّها مَن يكوّنه. إنّها تُنقذ الشاعر من دروب البؤس لترميَه على دروب الريح. وإذا ما طلعت طلعَ الحبور، فلا قيمة لما يبنيه الشاعر من غيرها[١٩]؛ إنّها قوّة التكوين بامتياز.

■ **ج- الرائحة:** بنظر صلاح، يكسو المرأة «وهج الطيب من قارورة عُتِّقَت على نفَس من الآزال»[٢٠]، وهو طيب غير ماديّ، بدليل ارتباطه بـ «نَفَس الآزال». بل إنّ المرأة نفسَها هي الطيب[٢١]،إذا ابتعدت عن الشاعر لم تُغره بعدُ الطيوب ولا الرياحين ولا المغاني[٢٢]. إنّها، بالنسبة إليه، أردان العطور، كُوّنَت «من أنفاس حور»[٢٣]. إنّها طِيبٌ في دمه[٢٤]، نَفَسُها من نَفَس الخمر[٢٥]، ومن شذاها نفثاتُ الورود[٢٦]، فهي «طيب من الزهر»[٢٧] يُسكِره[٢٨]. إنّها «قارورة مغرية» إنْ لم تُهرَق[٢٩]، وشيء من نشوة وعبير[٣٠]. ويصل الشاعر إلى حدّ قوله إنّ المرأة إذا أطلعت الأبد «أطلعت شرقًا من الطيب الندي»[٣١].

■ **د- الصوت:** ويربط صلاح لبكي المرأة بالصوت، مستعيرًا لها منه الصفات. فهي اللحن[٣٢] ينبعث في ذاكرته من خلال غناء الهزار[٣٣]. وذكرها «ترجيع أنغام» يملأه شجوًا وتحنانًا[٣٤]. بل هي «نغم واحد مفرد النهج والوتر»[٣٥]. إنّها أغنيته هو[٣٦]،ولحن لا مثيل له في الكون.

والشاعر يخلق المرأة من خَفق القلب[٣٧]، فتصير غنًى في أذنه[٣٨]. بها تصدح الطبيعة[٣٩]. وكالأغنية في الشعر، يجدها متفلّتة تمامًا ومن غير حدود[٤٠]، وغديرًا رقراقًا ينثني مغنيًا[٤١].

■ **هـ- اللون:** ويربط الشاعر أيضًا بين المرأة واللون، واللون هنا إيقاعات داخليّة أكثر منه لونًا ماديًّا، تذكّرنا بألوان الصوائت في قصيدة رامبو «الصوائت» les voyelles. من هنا يجد المرأة لونًا أجمل ما يمكن أن ينسجه الظنّ[٤٢]، ومثل هذا اللون لا وجود له في أرض الواقع، بل إنّه حال من حالات التجريد الذهنيّ أو الشعور النفسيّ. إنّها اللون على الأفق[٤٣]، ولون الأفق غامض لأنه مزيج من ألوان شتى تتداعى؛ بها يترنّح التيه على اللون[٤٤]. لذلك فإنّها مَن يمنح الوجودَ ألوانَه، ومِن غيرها لا لون للصباح[٤٥].

٣- المصدر نفسه، ص ٧٣ (قصيدة: سخاء).
٤- المصدر نفسه، ص ٧٤ (قصيدة: ترف لعيني).
٥- المصدر نفسه، ص ٨٥ (قصيدة: إني أموت عليك).
٦- صلاح لبكي، **أرجوحة القمر**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٧٣، ص ١٠ (قصيدة: سفر تكوين).
٧- المصدر نفسه، ص ١٢ (قصيدة: هفا الليل).
٨- المصدر نفسه، ص ٨١ (قصيدة: تشويق).
٩- المصدر نفسه، ص ٤٠ (قصيدة: موت حلم).
١٠- المصدر نفسه، ص ٦٣ (قصيدة: قارورة الطيب).
١١- يقول: «في البدءِ كنتُ وكنتِ...» (صلاح لبكي، **حنين**، ص ٣ (قصيدة: حنين).
١٢- المصدر نفسه، ص ١٥ (قصيدة: إغراء).
١٣- المصدر نفسه، ص ١٧ (قصيدة: غروب).
١٤- المصدر نفسه، ص ٥٥ (قصيدة: حلوتي).
١٥- الموضع نفسه.
١٦- المصدر نفسه، ص ٥٨ (قصيدة: حلوتي).
١٧- المصدر نفسه، ص ٦٦ (قصيدة: حدّثي).
١٨- صلاح لبكي، **مواعيد**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٥٩، ص ٨٢ (رسالة).
١٩- صلاح لبكي، **حنين**، ٢٠ (قصيدة: غروب).
٢٠- المصدر نفسه، ص ١٥ (قصيدة: إغراء) وص ١٩ (قصيدة: غروب) وصلاح لبكي، مواعيد، ص ٥٦ (قصيدة: أنتِ).
٢١- المصدر الأول نفسه، ص ٣٣ (قصيدة: ما أحلى).
٢٢- المصدر نفسه، ص ٣٧ (قصيدة: الأرحم).
٢٣- المصدر نفسه، ص ٦٤ (قصيدة: حدّثي).
٢٤- المصدر نفسه، ص ٨٤ (قصيدة: إنّي أموت عليك).
٢٥- صلاح لبكي، مواعيد، ص ٤٢ (قصيدة: الانتظار).
٢٦- المصدر نفسه، ص ٤٩ (قصيدة: أغنية).
٢٧- المصدر نفسه، ص ٥٦ (قصيدة: أنتِ).
٢٨- صلاح لبكي، أرجوحة القمر، ص ١٩ (قصيدة: اغتراب).
٢٩- المصدر نفسه، ص ٦٣ (قصيدة: قارورة الطيب).
٣٠- المصدر نفسه، ص ٨١ (قصيدة: تشويق).
٣١- صلاح لبكي، **حنين**، ص ٥٨ (قصيدة: حلوتي).
٣٢- المصدر نفسه، ص ٢٦ (قصيدة: أنتِ).
٣٣- صلاح لبكي، **مواعيد**، ص ٤١ (قصيدة: الانتظار).
٣٤- المصدر نفسه، ص ٥٠ (قصيدة: أغنية).
٣٥- المصدر نفسه، ص ٥٦ (قصيدة: أنت).
٣٦- صلاح لبكي، **سأم**، بيروت دار الريحاني للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٥٩، ص ٧٧.
٣٧- صلاح لبكي، **أرجوحة القمر**، ص ١٠ (سفر تكوين).
٣٨- المصدر نفسه، ص ٢٢ (قصيدة: هفا الليل).
٣٩- المصدر نفسه، ص ٦٣ (قصيدة: قارورة الطيب).
٤٠- يقول: «تبقى بلا وزن ولا قافية» (المصدر نفسه، ص ٨٠ (قصيدة: مَن أنتِ؟).
٤١- المصدر نفسه، ص ٨٢ (قصيدة: تشويق).
٤٢- صلاح لبكي، **مواعيد**، ص ٥٦ (قصيدة: أنتِ).
٤٣- صلاح لبكي، **حنين**، ص ٥٦ (قصيدة: حلوتي).
٤٤- المصدر نفسه، ص ٧٦ (قصيدة: صحا الجو).
٤٥- المصدر نفسه، ص ١٨ (قصيدة: غروب).

■ **و- الألم:** لا نجد الألم يظهر في شعر لبكي إلا لِمامًا، وهو يكاد ينحصر في بعض القصائد. على أنّ هناك علاقة، في بعض ظهوراته، تجمع بينه وبين المرأة، ولعلّ في هذا ميزة من ميزات الشعر الرومنطيقيّ الذي تحدّر إلى شعر اللبنانيين من جيل ما بين الحربين العالميّتين، ومن هؤلاء صلاح لبكي. فالمرأة، تظهر أحيانًا عند الشاعر على أنّها الوجع في الهناء والبؤس[٤٦]، إذا ابتعد عنها صار كلُّ شيء غريبًا وحزينًا، وغدا الليلُ همًّا يُذيبُ نفسه[٤٧]. إنّها مراراتُ غد الشاعر[٤٨]، على محيّاها شيء من وحشة الإمساء"[٤٩] وفي جفونها خريف يبكي وشتاء[٥٠]. إنّها، باختصار، «شفة من تألُّم الشاعر»[٥١].

■ **ز- الضوء:** يمثل الضوء أحدَ أبرز عناصر صورة المرأة في شعر لبكي؛ وهو عنصر يرتبط، عمومًا، بالفرح، فترتبط به المرأة أيضًا. إنّها، بالنسبة إلى الشاعر، الضياءُ:

مَنْ ذا يُؤمِّلُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الضِيَاءِ عَلَى وِصَالِ؟[٥٢]

وهي لا تُنال لأنّها كذلك. إنّها كلُّ شروق في دُنيَوات الناس[٥٣]، وبريق من الوجْد[٥٤] و«عرسُ السنا»[٥٥]. فإذا ابتعد عنها الشاعر لم يُهدِهِ النور بعد[٥٦].

بل إنّ المرأة «ارتهاف الضياء» في نفس شاعرنا «يمحو ارتعاش الليالي»، و«التماع شهيّ الغموض» كوّنتْه «لفتات المحال»[٥٧]. فالمرأة عنده نورانيّة، عصيّة على المخلوقات كلّها، ذات طبيعة لطيفة. إنّها «وهج الضوء»[٥٨] و«بهجة النور»[٥٩] و«الرحمة في الضوء الوثير»[٦٠]، عندما جاءت تألّق الكون بالدفء والأنوار[٦١]؛ وإذا ما حدّثتْ شهد العقل بالضياء[٦٢]. إنّها تضيء الخواطر في فكر الشاعر[٦٣]، وتعبق الأعنية بالنور بسببها[٦٤]. الصباحُ لَحظُ عينيها[٦٥]، فإن غابت فلا الشمس شمسُ الشاعر ولا الأضواء أضواؤه[٦٦]. وهي «من دفقة الضياء على موجة السحر.»[٦٧]، وجهها نور «أديمه من لآلئ»[٦٨]. بل هي زحمة الضوء بعد الشروق[٦٩]، تجرّ بسمتُها النورَ لأنّ فمها مُغرَورق بالفجر[٧٠]. وهي أيضًا «وهج الشروق» في كلّ أفق عبقريّ الشذا، ضياؤه منّدًى[٧١].

■ **ح- الحلم:** يستعير صلاح طبيعة الحلم وعناصره ليحوّلها صفاتٍ للمرأة. فهي، عنده، حلم مستحيل[٧٢]، «كأروع ما يلوح لبال»[٧٣] لم تؤمَّل لذائذُه في يوم من الأيام. إنّها كلّ خيال يلوح للشاعر[٧٤]، بل هي أسطورة شعره، أبهى روائع الإلهام للأجيال وأروعها[٧٥]. إنّها عبير من أحلامه[٧٦]، وكلّ أمنياته؛ وهي «رفيقة النجوى»[٧٧]، شعره من لطفها، و«جنية الأحلام والسحر»[٧٨]، متى ابتعدت عنه شقي خياله[٧٩] لأنّها «أماني الفؤاد حُبكَت لموعد»، منها صحوة الحلم المزغرد[٨٠].

والمرأة عند صلاح لبكي هي «المأرب المرتجى»، و«المطمح الصعب»، وحلمه بالرجاء[٨١]. وهي «النشوة في وعد الخمور»[٨٢]، و«وجه حلم شَعّ ممتنع المراد»[٨٣] يجتمع معها في الظنون، ويُظلّل خيالُها أيّامه، ويغمر أحلامه بالأطياب[٨٤]. إنّها «وحي الأعالي»، تلتمع مقلتاها بالروعة والجلال ولمحات الفضاء[٨٥]. وهي سؤاله وأمنيته و«زهرة أطلعتها الأشواق عبر الليالي»[٨٦].

لكنّها، مع هذا كلّه، مِنْ خَلْقِه هو، كما يعترف، خلَقَها من رفيف العيون[٨٧] أنقى من حلم. إذا حلم الليل حلمَ بها[٨٨] لأنّها «قطعة من خيال الإله في الأحياء»[٨٩]. إنّها «حنين الوتر»، و«نضرة الأحلام وطيبها»[٩٠]، يتمنى أن يلتقيَها، بل هي أقصى ما يتمنى أن يلتقي:

بالرُوح لَذّاتُ الهَوَى مِنْ فَم
بالطَلِّ مِثْلَ الفَجْر مُغْرَوْرِقِ
تَحِنُّ أَجْفَانِي إِلَيْهِ، فَيَا
لَيْتَ عَلَى سَفْحِ الهَوَى نَلْتَقِي[٩١]

٤٦- المصدر نفسه، ص ٢٦ (قصيدة: أنتِ).
٤٧- المصدر نفسه، ص ٣٧ (قصيدة: الأرحم).
٤٨- المصدر نفسه، ص ٥٥ (قصيدة: حلوتي).
٤٩- صلاح لبكي، **أرجوحة القمر**، ص ٣٩ (قصيدة: موت حلم).
٥٠- المصدر نفسه، ص ٤٠ (القصيدة نفسها).
٥١- صلاح لبكي، **حنين**، ص ٢٨ (قصيدة: أسطورة).
٥٢- المصدر نفسه، ص ١١ (قصيدة: حنين).
٥٣- المصدر نفسه، ص ٢٥ (قصيدة: أنتِ).
٥٤- المصدر نفسه، ص ٢٨ (قصيدة: أسطورة).
٥٥- المصدر نفسه، ص ٣٨ (قصيدة: ما أحلى).
٥٦- المصدر نفسه، ص ٣٨ (قصيدة: الأرحم).
٥٧- المصدر نفسه، ص ٥٣ (قصيدة: بعض الدلال).
٥٨- المصدر نفسه، ص ٥٦ (قصيدة: حلوتي).
٥٩- المصدر نفسه، ص ٦٤ (قصيدة: حدّثي).
٦٠- المصدر نفسه، ص ٦٥ (القصيدة نفسها).
٦١- المصدر نفسه، ص ٦٢ (قصيدة: ذاك الرجاء).
٦٢- المصدر نفسه، ص ٦٦ (قصيدة: حدّثي).
٦٣- المصدر نفسه، ص ٧٢ (قصيدة: سخاء).
٦٤- المصدر نفسه، ص ٧٦ (قصيدة: صحا الجو).
٦٥- المصدر نفسه، ص ٨٥ (قصيدة: إنّي أموت عليك).
٦٦- المصدر نفسه، ص ٨٢ (قصيدة: أنتِ هنا).
٦٧- صلاح لبكي، **مواعيد**، ص ٥٦ (قصيدة: أنتِ).
٦٨- صلاح لبكي، **سأم**، ص ٧٦.
٦٩- صلاح لبكي، **أرجوحة القمر**، ص ٤٠ (قصيدة: موت حلم).
٧٠- المصدر نفسه، ص ٦٣ (قصيدة: قارورة الطيب).
٧١- المصدر نفسه، ص ٨١ (قصيدة: تشويق).
٧٢- صلاح لبكي، **حنين**، ص ١٢ (قصيدة: حنين).
٧٣- المصدر نفسه، ص ١٦ (قصيدة: إغراء).
٧٤- المصدر نفسه، ص ٢٥ (قصيدة: أنتِ).
٧٥- المصدر نفسه، ص ٢٨ (قصيدة: أسطورة).
٧٦- الموضع نفسه.
٧٧- المصدر نفسه، ص ٣٢ (قصيدة: ما أحلى).
٧٨- المصدر نفسه، ص ٣٣ (القصيدة نفسها).
٧٩- المصدر نفسه، ص ٣٧ (قصيدة: الأرحم).
٨٠- المصدر نفسه، ص ٥٥ (قصيدة: حلوتي).
٨١- المصدر نفسه، ص ٦٢ (قصيدة: ذاك الرجاء).
٨٢- المصدر نفسه، ص ٦٥ (قصيدة: حدّثي).
٨٣- المصدر نفسه، ص ٧٤ (قصيدة: تَرَف لعيني).
٨٤- صلاح لبكي، **مواعيد**، ص ٥٠ (قصيدة: أغنية).
٨٥- صلاح لبكي، **سأم**.
٨٦- المصدر نفسه، ص ٧٧.
٨٧- صلاح لبكي، **أرجوحة القمر**، ص ١٠ (قصيدة: سفر تكوين).
٨٨- المصدر نفسه، ص ١٢ (قصيدة: هفا الليل).
٨٩- المصدر نفسه، ص ٣٩ (قصيدة: موت حلم).
٩٠- المصدر نفسه، ص ٦٣ (قصيدة: قارورة الطيب).
٩١- المصدر نفسه، ص ٦٤ (القصيدة نفسها).

وإذا رسم صلاح جنيّة لامرتين جوليا (ابنته) جعلها مكوّنة من أماني الشاعر للنُّعمى والرخاء، طفلةً يحتشم لها الفجر إذا رآها أقبلت تخطرُ في جمالها[٩٢].

■ **ط- الكمال:** من البديهي أن يصل صلاح لبكي إلى اقتطاع صفاتٍ من الكمال لخلق المرأة، لأنّ في هذا تأكيدًا على فردانيّتها وتميّزها عن كلّ ما في الكون، بل رفعًا لها إلى ما فوق الكائنات، كلّ الكائنات. ولقد جعلها تهزأ وإيّاه بالكمال لأنّهما يصنعانه معًا:

نَـــطْـــفُـــو عَـــلَـــى آتٍ، ونَـــهْـــ
ـــزَأُ مِـــنْ هُـــنَـــالِـــكَ بـــالـــكَـــمَـــالِ[٩٣]

والوجود من غير المرأة مقفر، مليء بالموتى والقبور، يغنّي فيه الفناء، عاري الرياحين[٩٤]، لأنّ المرأة هي كلّ جمال يشرق[٩٥]؛ وهي المطلق ممثلا باللانتهاء[٩٦]، بعطفيها «تناهى شرط الجَمال»[٩٧].

ولأنها كمال، نجدها تسكن الشاعر في كل شيء: فهي في استكانته، وفي تمرّده، وفي شكّه وإلحاده وتعبُّده؛ وهي يقين دمه، وعلّة من تردّده[٩٨] إنّها مجد هوى الشاعر، و«وجه الألوهة في بلاده»[٩٩]. وهي «نفحات الخلود»[١٠٠]، و«ليست من طينة البشر»[١٠١] لأنّها «فوق ارتهاف الجَمال»[١٠٢] ولحنٌ مفرد لا شبيه له، «أنقى من الحلم» وأجمل وأنعم من لفتات الفِكَر[١٠٣]، وفوقَ بلوغ الأماني، وأبعد من مرامي الخيال... بل حتّى ظنون البشر لا تصل إليها[١٠٤]. هي خيال الله في الناس[١٠٥]، و«رعشات قطعة من سماء»[١٠٦]. إنّها، باختصار، «أنَف من كبرياءِ غرامِ الشاعر[١٠٧] وفرح الأشياء[١٠٨].

■ **ي- الصفات الملموسة والشائعة:** لا نكاد نقع في شعر صلاح على صفات ملموسة للمرأة إلاّ ندرة تفرّقت في ثنايا مجموعة شعريّة واحدة هي «حنين»، تمكّننا من حصرها، حيث نجدها راحًا[١٠٩]، وامرأة رقيقة الخدود، مريضة الجفن[١١٠]، سمراء[١١١].

وهي صفات عرفناها مع القدماء والمعاصرين على السواء. ومن الواضح أنّها قليلة جدًّا بالقياس إلى تواتر الصفات الأخرى.

○ | **ثانيًا: تحليل الصفات:** إذا عزلنا الصفاتِ التي عرضنا لها قبل قليل وجدناها، على كثرتها الظاهرة، يمكن أن تُمَوْضَعَ في صفة أساسيّة واحدة هي الحلم. فالحلم وحده هو العنصر الأول الذي تتشكّل منه المرأة، وما جاء في العناصر الأخرى لا يعدو أن يكون تنويعًا له أو وصفًا.

وإذا أحصينا بشكل سريع معالم الموضوعات الأساسيّة التي عثرنا عليها في شعر صلاح لبكي كان أمامنا ما يلي:

١. موضوع النعمة وصورها: ١٢ صورة.
٢. موضوع التكوين وصوره: ١١ صورة.
٣. موضوع الرائحة وصورها: ١٧ صورة. وهنا نشير إلى أنّ الرائحة الغالبة فيه هي الطيب (يتكرّر ٩ مرّات بأشكاله من أصل ١٧).
٤. موضوع الصوت وصوره: ١١ صورة.
٥. موضوع اللون وصوره: ٤ صور.
٦. موضوع الألم وصوره: ٦ صور.
٧. موضوع الضوء وصوره: ٢٦ صورة.
٨. موضوع الحلم وصوره: ١٩ صورة.
٩. موضوع الكمال وصوره: ١٩ صورة.
١٠. الصفات الملموسة والشائعة وصورها: ٤ صور.

وهكذا، فإنّ مجموع الصور العامّ هو ١٢٩ صورة، أربع منها محسوسة، مألوفة، والأخرى كلّها صور تجريديّة، أو تقارب التجريد في أكثرها.

على أنّ اللافت ههنا أنّ كلّ ما أمامنا يبدو أقسامًا تتكامل داخل الحلم، أو، إذا شئتَ، تشكّل معًا صورة الحلم الذي يعيش في أعصاب الشاعر ومخيّلته. وعليه، ليس غريبًا أن نجد بعضهم يقول في امرأة صلاح لبكي: «هي ابنة الحلم، ولكنّها أروع وأجمل منه. موجودة وغير موجودة، ما يقع عليه منها في الوجود هو تشويه للمثال الذي لا شكل له ولا حدود في عالم الحنين.»[١١٢] والكمال الذي نحن في صدده ميزة لحلم صلاح لبكي.

٩٢- المصدر نفسه، ص ٧٤ خ ٥٧ (قصيدة: لامرتين).
٩٣- صلاح لبكي، **حنين**، ص ١٤ (قصيدة: حنين).
٩٤- المصدر نفسه، ص ١٨ (القصيدة نفسها).
٩٥- المصدر نفسه، ص ٢٥ (قصيدة: أنت).
٩٦- المصدر نفسه، ص ٢٦ (القصيدة نفسها).
٩٧- المصدر نفسه، ص ٥٤ (قصيدة: بعض الدلال).
٩٨- المصدر نفسه، ص ٥٦ (قصيدة: حلوتي).
٩٩- المصدر نفسه، ص ٧٥ (قصيدة: تَرَف لعيني).
١٠٠- صلاح لبكي، **مواعيد**، ص ٤٩ (قصيدة: أغنية).
١٠١- المصدر نفسه، ص ٥٦ (قصيدة: انتِ).
١٠٢- صلاح لبكي، **سأم**، ص ٧٦.
١٠٣- صلاح لبكي، أرجوحة القمر، ص ١٠ (قصيدة: سفر تكوين).
١٠٤- المصدر نفسه، ص ٧٧.
١٠٥- المصدر نفسه، ص ٣٩ (قصيدة: موت حلم).
١٠٦- المصدر نفسه، ص ٨٢ (قصيدة: تشويق).
١٠٧- صلاح لبكي، **حنين**، ص ٢٨ (قصية: أسطورة).
١٠٨- المصدر نفسه، ص ٣٠ (قصيدة: ما أحلى).
١٠٩- المصدر نفسه، ص ٢٥ (قصيدة: أنت).
١١٠- المصدر نفسه، ص ٢٨ (قصيدة: أسطورة).
١١١- المصدر نفسه، ص ٥٨ (قصيدة: حلوتي).
١١٢- إيليّا حاوي، **صلاح لبكي شاعر الروح والبوح**، بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ، ط ٢، ١٩٨١، ص ١٣ - ٤١.

ثالثًا: قراءة في المعجم: وإذا نظرنا إلى المعجم الذي يستخدمه صلاح في شعره وجدناه ضيّقًا جدًّا، يتشكل على أساس جماليّ صرف، خاصّ بالشاعر؛ فهو يستبعد عن القصيدة كلّ لفظة تُنافي الجمال دلالةً، أو إيقاعًا وتناسُقَ حروفٍ. فشاعرنا لم يقفْ جمالَه على صوره، بل دعمه بمعجم مناسب، لا طلبًا للصعوبة والتعقيد، بل استكمالاً لمفهوم الجمال، حتى في القول والنطق، ومن هذا المعجم: الزهر، الشذا، الربيع، الجمال، الضياء، الوصال، النور، الحلم، الأطيار، الشروق، الحبور، الطِيب، الرياحين، الهوى، الحسن، الصلاة، الراح، إلخ...وإن قمنا بإحصاء بسيط لعدد الألفاظ المذكور، أي لألفاظ صلاح في المرأة (والمرأة تستغرق شريحة كبيرة من شعره)، وقارنّاها بعدد ألفاظ «لبنان الشاعر» -وهو كتاب نقدي- وجدنا ألفاظ الكتاب الثاني المذكور وحده أكثر بكثير من تلك التي نشير إليها؛ ما يعني أنّ المعجم الذي استخدمه هذا الشاعر مختَزَل جدًّا ومحصور بألفاظ يجسّد الشاعر من خلالها الجمال. وقد أخذ هذا عنه سعيد عقل في شعره، وسمّاه «النزعة الجماليّة» في الشعر.

رابعًا: طبيعة الحبّ عند صلاح لبكي: علينا أن نحدّد طبيعة الحبّ عند صلاح لنفهم أهمية الحلم بين عناصر صفات المرأة. فللحبّ عند شاعرنا قدرة «على أن يفجّر النفسَ بالشعر كما يتفجّر النبع بسلسال الماء.»[١١٣] وهو ليس شيئًا يتفجّر فجأة في نفس الإنسان، بل هو «المطلق، لا يولد ولا يموت، كان ولم يزل، ولا يعروه فساد أو يتولاه زوال... الحبّ هو الحقيقة.»[١١٤] لذلك لا يطلب الشاعر حبيبة عاديّة، واقعيّة، صفاتها من الارض، لأنّها لا تلائم طبيعة الحبّ عنده. و«فكرة الأبدية في الحب تلازم تجربة صلاح وتنبثق منها، فكأنّ الحبّ هو البداية والنهاية، يتوق إليه من مفازة العالم ولا يدركه.»[١١٥] إنّ هذا التوقَ إلى اللامألوف، والانشداد إلى ما هو خارج الواقع وفوقه هو ما يجعله مستحيلاً، وهو ما يجعل قصائده تتكرر في هذا المناخ: «مستحيل الحبّ الذي يعبر إليه الشاعر... والحلم الداخليّ الذي يتردّد فيه كالنفَس...»[١١٦]

وعلى هذا، فإن حبّ الشاعر لا يمكن أن يكون حبًّا عاديًّا، أو مألوفًا، يخضع لشروط المقاييس الواقعية؛ ولا هو مَقيس بالميول الرومنطيقيّة وحدها، وإنْ بدت الطبيعة ظاهرةً فيه وفي المرأة[١١٧]، لأنّ صفة الألم التي طبعت الرومنطيقيّة ليست هي الميزة الغالبة على شعر صلاح، بل على العكس، فإنّ شعره شعر فرح وزهو وصفاء. ولا يجوز اعتبار هذا الحب من قبيل العذريّات المسطّحة التي غصّ بها الشعر العربيّ، «يؤجّجه طمع الوصال، ويطفئه الحرمان. كما أن الحبيبة ليست امرأة من لحم ودم وأعصاب، بل هي... عالم فَوقانيّ نسجه خيال الشاعر من أبهى أحلامه.»[١١٨] إنّها تجربة روحانيّة، حيث المرأة رمز لفكرة مثاليّة، أكثرُ منها بشرًا[١١٩].

إنّ حبّ صلاح لبكي مثاليّ، أفلاطونيّ، نورانيّ إلى حدّ كبير. وهو لهذا السبب ليس آنيًّا أو زمنيًّا. بل إنّه، شأن قصيدته، أشبه بـ«حبُّكَ العظيم الذي كان لكَ قبل أن تكون، والذي جاءت الأرض إلى الوجود من أجله، تفرش سَندَسَها لكَ ولحبيبتك مكان موعد»، على حدّ تعبير سعيد عقل[١٢٠].

خامسًا: الحلم: من الواضح أن صلاح لبكي «ليس من روّاد الظلمة المدلهمّة، ومهما أوغل فيها فإنّ اسم الجمال وترياقه ينتصران، يوشّحانه وتتخطّفه أضواؤهما.»[١٢١]

الحلم، في الأساس، «تفلُّت من قيود المادّة، وانطلاق إلى عالم الروح، وإشاحة عن قبح الواقع إلى الجمال المبذول في مظاهر الوجود.»[١٢٢] وهو، عند السرياليين، قوّة مواجهة يتحدّون بها نقصان الواقع بعنف وصفاقة.

١١٣- محمّد فتّوح أحمد، **الرمز والرمزيّة في الشعر العربيّ المعاصر**، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٢٣٤.
١١٤- إيليّا حاوي، **مرجع سابق**، ص ٧٩.
١١٥- المرجع نفسه، ص ٦٦.
١١٦- المرجع نفسه، ص ٦٨.
١١٧- ربط إيليّا حاوي خيال صلاح لبكي بالرومنطيقيين، وقاس على هروب هؤلاء من الواقع هروبَ لبكي إلى الخيال، فقال: «إنّ عالم الرومنسيّ يظلّ أثيريًّا، واهمًا، يُبدع فيه البهاء وأجواءَه؛ بعضها يطاله بالتأويل والتعليل، والبعض الآخر يمعن فيه بالمستحيل، فكأنّه يجسّد أشواق النفس إلى ما وراء الأشياء وحنينها إلى تخطّي حدود الممكن والمتلازم». (المرجع نفسه، ص ١٢) وقال أيضًا: «إنّ الرومنسيّ لا يزال يسمّي الأحوال النفسيّة بأسمائها والحلم هو إحداها، له طعم التجريد والوهم، وإن كان يرمز إلى تحلّل الشاعر من سلطة الواقع وابتنائه لعالم آخر يعانق فيه رغباته بالخيال والافتراض». (المرجع نفسه، ص ١٣)
هذا الكلام صحيح، ولكنّه ليس دقيقًا جدًّا.فصلاح لبكي أخذ من الرومنطيقيّة حساسيّة الطبيعة، والتوجّه إلى الحلم، ولكنّه أهمل ميزتها الأساسيّة: الالم الذي لا يفارق الذات. وعلى الرغم من أنّنا نجد في قليل من شعر صلاح في المرأة بعض الألم، لكنّه شعرٌ حبور، بامتياز، سواء أكان هذا في صوره، أم في ألفاظه، أم في مواقفه. وهو كذلك آخذ من الرمزيين بعض المواقف، ولا سيّما من مالارميه وفاليري، كنشدانِ التمسّك بالمُثُل المجرّدة (مالارميه) عندما يجعل المرأة فوق خيال البشر وفوق زمنهم وواقعهم، وكدمجه بين الواقع والمثال أحيانًا (فاليري) حيث يتصالح مع الأرض. هذا بالإضافة إلى كثير من التعابير الرمزيّة التي شاعت في شعرهم بفعل تأثره بهم، وبأديب مظهر (قصيدة: نشيد السكون).
١١٨- محمّد فتّوح أحمد، مرجع سابق، ص ٢٣٢.
١١٩- المرجع نفسه، ص ٢٣٣.
١٢٠- سعيد عقل، **سعيد عقل (شعره والنثر)**، بيروت: دار نوبيلس، ١٩٩١، مج ٤ (كاس لخمر)، ص ٤٥.
(١٢١) إيليّا حاوي، مرجع سابق، ص ٢٧.
(١٢٢) المرجع نفسه، ص ١٣.

هكذا، لجأ صلاح لبكي إلى الحلم ليحقق فيه ما لا يتحقّق عنده في الواقع، بل ليجد ما يُقيمه على حقيقة مطلقة، سرمديّة، لا يطالها الزمن، ولا يحفّ بها التشويه والنقص، ولا يتسلل إليها العدم، لأنّ ما يتسرّب إليه الزمن يُفسده، ويجعله متحوّلا، وما كان كذلك لم يعد صالحًا ليكون أداة خلق بيد خالق. ذاك كان يقين مالارميه في وقت من الأوقات فدفعه إلى نشدان الجَمال في العدم الخالص، بعيدًا عن أرض الواقع. وهذا أيضًا ما نجده عند صلاح لبكي الذي صار الحلم عنده «محاولةَ الذاتِ للتغلغل في قلب الحقيقة دون أن يمسّها ابتذال الواقع»[١٢٣]، كما يعبّر منيف موسى. لهذا السبب كان صلاح لبكي، برأيي، يبحث عن صفاء المُثُل، شأنَ مالارميه وفاليري، ويبحث عن امرأة من خلال هذه المثل؛ فجاءت المرأة عنده حلمًا من خارج الواقع، وجاءت صفاتُها مثلها، تماثل صفات الملائكة والقدّيسين. لقد كان يحاول أن يصل إلى الفردوس المفقود الذي يتخلّص فيه من عالمه المكبّل بالنقصان، وكانت المرأة خلاصًا له. فحبّه لها أشبه بـ«المغامرة الروحيّة» التي تهبه «لذّة البحث عن المجهول»[١٢٤]. لهذا السبب ليس لها جسم ولا ماهيّة ماديّة بشرية، ولا هي تشبه البشر.

ومن البديهيّ أن يلجأ الشاعر إلى الحلم عندما يكون حبّه شعاعًا أو «ومضاتٍ شعوريّةً خفيّةً تملأ جنباتِ الكون، و... سلكًا خفيًّا يشدّ الكائن الترابيّ بالله.»[١٢٥] لقد وعى صلاح، في أعماق وجدانه، أنّ الوصول إلى الفردوس العدنيّ لا يمكن أن يكون عن طريق الواقع الناقص، ولا يمكن أن تنجلي طريقه إلا عبر الإشراق الداخليّ الذي يرفعه نحو الأثير، وكانت المرأة هي الوسيلة التي يقبض بوساطتها على الحقائق المطلقة المنشودة، ولكنّها امرأة خ خلاص، ومثال أسمى «شتى الحالات الجمالية الأصليّة... الكامنة وراء هذا العالم...»[١٢٦] تفتح أمامه باب الحقيقة الكليّة.

والحلم أيضًا عند صلاح أرض بكر، لم تطأها قدم، ولا دنّستها أشباح الواقع. هو منبت الألوان والأضواء والرائحة والفرح والصوت والتكوين والجمال... حيث تجد ذات الشاعر، كلّ شاعر أصيل، امتداداتِها وإيقاعاتِها الطبيعيةَ.

٤- خاتمة: لقد رأى صلاح لبكي إلى المرأة شكلاً من أثير، وفكرة من محال، وقبَسًا من الله. رأى إليها ملاكًا جاء يعزّي الشاعر الذي يَنشدُّ دائمًا إلى فوق فيما هو يقبض على الواقع ليتخطّاه، فيشدّ به الواقع إلى أسفل. على أنّ صلاحًا، في كلّ ما كتب، لم يعرف المرأة، ولا تمكّن من تصويرها، ولا أصاب حقيقتها عندما رآها ملاكًا، تمامًا كالآخرين مِمّن صوّروها شيطانًا...كلّ هؤلاء لم يعرفوا حقيقة المرأة، ولا دانوا هذه الحقيقة. فالمرأة ليست، في جَمالها، تمثالاً من الرخام الملائكيّ الرائع، ولا هي تقبل أن تكون كذلك، لأنّ التمثال بارد، لا حرارة فيه؛ وهي ليست شيطانًا مُحرِقًا لأنّ فيها من ميزات الكيان الرقيق والحسّ المرهف ما يجعلها تعِفُّ عن الشيطانيّة. إنّها، في آن، ملاك وشيطان، ولا ترضى بأقلّ من هذا، وإلا فهي ليست امرأة...

(١٢٣) منيف موسى، **الشعر العربيّ الحديث في لبنان**، بيروت: دار العودة، ط١، ١٩٨٠، ص ١١٩.
(١٢٤) المرجع نفسه، ص ١٢٠.
(١٢٥) المرجع نفسه، ص ١٢١.
(١٢٦) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

تأمّلات صلاح لبكي في شعره

صلاح لبكي

د. أنطوان شكيبان

إنّ شعور الإنسان بتقصيره عن الإدراك العميق لأسرار الوجود، والحياة والموت والمصير، ولمسائلَ نفسيّة إنسانيّة، وظواهرَ اجتماعيّة مختلفة، دَفَعه، منذ القدم وحتّى اليوم، إلى التأمُّل الفكريّ، مستفيدًا من توسيع دائرة ثقافته، بالإفادة من الإنجازات العلميّة والمعرفيّة المتوافرة، والانفتاح على الماورائيّات والمعاني الدينيّة.

وبالعودة إلى تاريخ الآداب، لدى جميع الأمم، يتكشّف لنا مدى إقدام الأدباء والشعراء على تضمين أعمالهم الفنيّة ما تحصَّلَ لديهم من نظريّاتٍ وآراء.

ويرقى تاريخُ هذا العمل عند العرب إلى أقدم العصور، قبل أن يتبلور مفهومُ الأدب العامّ، وقبل أن يهتديَ العربيُّ إلى الكتابة والتدوين، منذ الجاهليّة، ومع طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وسواهما، مرورًا بالعصور المتعاقبة مع أبي العلاء المعرّي والمتنبّي وأبي نوّاس وأبي العتاهية وأبي تمّام، إلى عصر النهضة مع جبران خليل جبران وإيليّا أبي ماضي وميخائيل نعيمه وخليل مطران والمعَالِفَة، وسليم حيدر وصلاح لبكي وسعيد عقل وسواهم.

قال صلاح لبكي:

«أنْ يكون الشاعر مفكّرًا في الوقت نفسه، فلا أشوق ولا أمتع. إنّنا لا نُؤمن بمبدأ تقسيم العمل في الشؤون الفنيّة، ولا نُصِرّ على أن يكون الشاعر إلاّ شاعرًا، بَلْ ربّما إذا كان أكثر تنوّعًا صار أقلّ إرهاقًا، وإذا كان أكمل أثّرَ تأثيرًا جماليًّا عظيمًا».[1]

وإذا كان هذا الشاعر، في أنظار كبار الباحثين، قد أبدع في خلق اللوحات الشعريّة العابقة بالأحلام، والصارخة بجماليّة إيحاءاتها، فإنّنا نلتفت إلى جانب آخر من جوانب عبقريّته، للإشارة إلى قدرته على التمادي في التأمُّل، وعلى بلوغ الأفكار الفلسفيّة دون أن يخالف طبيعته ويخرج عن خطّه الشعريّ الأصيل، فنتوقّف عند معالجته المواضيع البارزة، كالسأم، والحياة والموت والمصير، والحبّ والسعادة والعطاء.

السأم

لقد نظر الشاعر في سرّ الحياة والوجود نظرة مُشْبَعَةً بالمعاناة، وبثقافة دينيّة، وبما أدركه من مغازي قصّة الخلق التوراتيّة، التي وَلَج عالمها، وانتشى بما اعتصر من ثمار فُصولها، مستكشفًا عظمة المشيئة الإلهيّة، حيث توقّف أمام مشهد آدم متأمّلاً في نفسه المعانية سأم الحياة، حياة النعيم في الجنّة، تلك التي باتت أمنية الإنسان المؤمن ومُرتَجى كلّ متصوّف.

وإذا بلبكي يبرّر هذه المعاناة، مُخاطبًا رَبّه على لسان آدم قائلاً:

مهلاً، إذا أنا أشتكي
وأبوحُ، يا ربّاهُ، مَهلا!
قبلي سَئِمتَ، بلى! وضجَّ
بك الحنينُ ولَجَّ قبلا
أوَ لا، فَلِمْ سَوّيتَ هذا
الكون، لِمَ أحدثتَ شُغلا؟[2]

وهكذا بدا اعتقادُ الشاعر بضرورة إرجاع ظاهرة السأم عند البشر إلى جوهر أنطولوجيّ كينونيّ، فتكون مظهرًا إنفعاليًّا مُعبّرًا عن حاجة أساسيّة، وإبداعيّة كونيّة، مزروعة في الوجودِ منذ بدئه.

المصير

وفي قصيدة «أحلام المساء»، نراه غائرًا في

١- صلاح لبكي. المجموعة النثريّة. المؤسّسة الجامعيّة للدراسات. بيروت ١٩٨٢. ص ١٢٤.

٢- قصيدة سأم. المجموعة الكاملة. ص ١٤١.

طوايا النفس، في ذروة يأسِها، وقد باتت تترقّب المصير القاتم في مساء العمر البائس. وإذا بالحكمة لديه تقضي باللامبالاة إزاء هذه الحقيقة، وبمداراة الذات، حيث يقول:

هَـلْ رأتْ مُـقـلـتـاكِ روحَ الـلـه
في دُجى الليل ماثلاً في الهضاب؟
أمْ هـي الشـهبُ أيـقـظـت طـيَّ
نفسِك ألمًا ساكنًا وحُبًّا حزينا
فـتـمـرمَـرتْ مِـن شـقـاوةِ أمسِـك
ولـمـحـنـا فـي مـقـلـتـيك شـؤونا؟
إحـذري أن تـفـكّـري فـي الـمـسـاء
واتـركـي البدرَ سابحًا في فضائه
واغمِضي الطّرفَ عن نجوم السماء
وتـدارَي قـلـبًـا يَـنـمُّ بـدائـه[٣]

وإنّنا لنلاحظُ نظيرَ هذا الرأي لدى عدد من الشعراء المتأمّلين المعاصرين للبكي، مثل إيليّا أبي ماضي، حين قال في مُناجاة نفسه:

مـات الـنـهـارُ ابـنُ الـصـبـاحِ
فـلا تـقـولـي كـيـف مـاتْ؟
إنَّ الـتـأمُّـل فـي الـحـيـاة
يـزيـدُ آلامَ الـحـيـاةْ[٤]

وفي موضع آخر، نقف عند تساؤل الشاعر حول مصيره، في مناجاة رَبّه، حيث يتزعزع إيمانُه بالخلود، وينتهي إلى بعض ما انتهى إليه الرواقيّون من اعتبار الحكمةِ امتلاكَ الفضيلة، والمناداةِ بحُريّة الحكيم المنتصر على أهوائه وآلامه مُتمتّعًا بصلابة طبعه ورباطةِ جأشه وتحمُّل العذاب:

هَـلْ، بـعـد أن أبـلـغَ رَمْـسـي
تَـنـبـثـقُ الآلامُ فـي مَـضْـجَـعـي؟
مُـزعـجـةً حُـلـمَ الـخُـلـودِ الـذي
تـغـري بـه الإنـسـان يـا مُـبـدعـي

فـالـشـاعـرُ الـيـائسُ مـن عـيـشـه
والـمُـغـرقُ الأفـراحَ بـالأدمُـعِ
يـمـضـي كـمـنْ فـكـكـتَ أغـلالَـه
إلـى عـنـاقِ الـجَـدَثِ الـمُـفـزِعِ
رَضـيـتُ بـالآلامِ يَـقـظـى كـمـا
رضـيـتُ بـالأفـراحِ لَـمْ أجْـزَعِ[٥]

ويتوافق الشاعر لبكي في نزعته هذه مع عدد من الأدباء العالميين، أمثال ألفريد دوفيني في فرنسا، وبعض الشعراء العرب كالمتنبّي وأبي العلاء المعرّي، وإيليّا أبي ماضي حين قال:

«قال: الليالي جرَّعتني عَلْقما
قُلتُ: ابتسِمْ! وَلئن جرعْتَ العلْقما»

وفي نظرته إلى الحياة والموت، في قصيدة غرباء، يعبّر عن قلقه، وإحساسه بهشاشة الوجود الإنسانيّ، وضعفه، حين يرى أنّ الإنسان، كما كلّ شيء، إلى زوال، حيث لا ينفعه ما أَفْنى العمرَ في سبيله مِن مطامحَ وأمجاد:

نـحـن شـيءٌ بـهـا كـأشـيـاءَ، مـاذا
تـتـولّـى مِـن أمـرهـا الأشـيـاءُ
نـحـنُ شـيءٌ بـهـا ولـيـت، قـد يـصْـمُدُ
الشـيءُ زمـانًـا، ويـصـطـفـيـه الـبـقـاءُ
كـلّ أمـجـادِهـا طـيـوفٌ فـلا
عـزُّك عِـزٌّ ولا الـثـراءُ ثـراءُ
خُـذْ إن اسـطـعـتَ ذرّةً مـن شـعـاعٍ
وَلْـيـرافِـقْـك مِـن جَـنـاك هَـبـاءٌ
كـذبٌ، لا يُـبَـرِّدُ مَـثـواك
مـتـى غـبـتَ أو يـغـوثُـك مـاءُ
وسـواءٌ، وأنتَ فـي الـتُّـرْبِ لا
يـهـنيك صيفٌ ولا يضيرُ شقاءُ[٦]

ويمرّ فكرُ شاعرنا في حالة الشكّ الإرتيابيّ، وسط الصراع الذي يبلغ أقصى مَداه بين الإيمان بالخلود، والنظرة الوجوديّة إلى الحياة، أمام المصير المحتّم، فتتكشّف له حقيقة الرّعب الرّاسخ والقلق الوجوديّ العميق في النفس الإنسانيّة، وذلك في قوله:

أقِـلَّ عـلـيـنـا الـلـومَ إن كُـنتَ لائمًا
فَـلـيـسَـتْ رُؤى الأفـهـامِ رأيَ عَـيـانِ
ونـحـن مِـن الـدّنـيـا يُـؤلِّـمُـنـا الـنّـوى
ونَـنـظـرُ لـلأُخـرى بـقـلـب جَـبـانِ
ونَـجـزعُ والإيـمـانُ ثَـبْـتٌ بـأهـلـه
وَلَـيْـسَ لـنـا فـي مـا نُـحِـسُّ يَـدانِ
فـيـا أيُّـهـا المستنطِقُ الغيبَ ما تُرى
شَـهِـدْتَ؟ وهَـلْ غـيبٌ هـنـالك ثانِ؟[٧]

وفي معرض التأمُّل في أصل الإنسان ومصيره، خلال حديثه إلى الأرض، يُبدي لبكي قناعةً بوحدانيّة المادّة الكونيّة، بتسليمِه بمقولة «إنّه من التراب وإلى التراب يعود»، وبما أشار إليه العلمُ من حدوث الإنفجار الكونيّ الكبير. لكنّه لا يُسلّم بمعنى العدميّة المطلق، المرتكز على فناء الجسد؛ الأمر الذي يثيرُ القلقَ، والحزن الدائم في النفس، لأنّ ثمّة عزاءً روحيًّا يطلّ إطلالةً صوفيّةً من نافذة الإيمان بعودته إلى الأصل المُشعّ بالحياة، المُتمثّل في الكواكب المنيرة، حيث تتحقّق السعادة الأبديّة بالجمال الخالد، هذه السعادة التي هي الله وحده؛ وهذا ما يذكّرنا بقول أشعيا النبيّ: «طُوبى لِلّذين يرجونَه». فما الحياة على الأرض سوى مَسار يُطهّر رغباته رُويدًا رويدًا، وإثرَ خيباتِ أمل متلاحقة. وسعادةُ الإنسان تتفرّع من النعمة الإلهيّة، لأنّها نشوةٌ بمجده وجماله:

يـا أرض هـا أنـا حـافـل
بـجـمـيـع مـا بكِ مـن تـجـنّـي
تـلـديـن ثـمَّ تُـشـيّـعـيـن
بَـنـيـكِ مِـن دَفـن لِـدَفـن

٣- أرجوحة القمر. المجموعة الكاملة. ص ١٧.

٤- قصيدة المساء، ديوان الجداول.

٥- قصيدة هدوء. المجموعة الكاملة. ص ٤٥.

٦- قصيدة عزباء. المجموعة الكاملة. ص ١٦٩.

٧- في رثاء خليل مطران. المجموعة الكاملة. ص ٢٣٥.

وأنـــا أبـــو الآمـــالِ كَـــمْ
شـيّـعتِ مِـن أمـلٍ أغـنّ
أنـا مِـنكِ جـزءٌ غـيـرَ أنّ
الـحُـسـنَ أكـوابـي ودَنّـي
أسـمـو إلـيـه ولا أديـنُ
إذا أديـنُ لِـغَـيـرِ حُـسْـنِ
أنـا مِـنـكِ لـكـنْ لا أحـبُّـكِ
فـالـتّـرابُ أليـفُ وَهْـنِ
فـكـري الـغَـمـامُ الأبـيـضُ
الـمـتـروكُ فـي الـفـلَـكِ الـمـرنّ
وَبِـجـانـبـيّ صـبـابـةٌ
لِـكـواكبِ الـلـيـلِ الأجَـنّ
فـكـأنّـنـي مِـنـهُـنّ أو
فـكـأنّـهـنّ قُـدِدْنَ مِـنّـي[٨]

الحبّ والسعادة

وتتكشّف حاجة النفس إلى الطمأنينة والسلام، إلى ما ينقذها من هجمة العدم. ولا يرى لبكي إلى ذلك سبيلاً بسِوى امتشاق الحبّ سلاحًا عجائبيًّا، في مَنْحى فكريّ تَصوُّفيّ يحقّق له الانتصارَ بوُلوج عالم الخلود. فإذا نهضت المرأة أمام عينيه لُغزًا، تجاوزَ حدودَ فِتنَتها الفيزيولوجيّة بحثًا عن حقيقتها، فنظر إليها نظرةَ جبران خليل جبران الأثيريّة، ونظرة سعيد عقل التقديسيّةَ وهي في طهارتِها، حيث باتت مُشتهَى الروح وأملَ السعادة المتناهية، حيث يقول:

سـمـراءُ يـا حُـلـمَ الـطـفـولَـةْ
وتـمـنُّـعَ الـشـفـةِ الـبـخـيـلَـةْ
لا تـقـربـي مِـنّـي، وظَـلّـي
فـكـرةً لِـغـدي جـمـيـلّـه ...
سـمـراءُ ظـلّـي لَـذّةً
بَـيْـنَ الـلـذائـذ مُـسـتـحـيـلَـةْ
ظـلّـي عـلـى شـفـتـيَّ شـوقَـهـما
وفـي جـفـنـي ذُهُـولَـةْ
ظَـلّـي الـغـدَ الـمـنـشـودَ
يَـسْـبِـقُـنـا الـمـماتُ إليهِ غِيلَةْ.[٩]

فإذا هي صنوُ الروح، ومَعقدُ الرجاء في اكتناه سِرِّ الحبّ الأسمى وبلوغ الحقيقة، في قول لبكي:

أنا يا هوايَ أُجِـلُّ وَجْـهَـكَ
أنْ أُفـكِّـرَ فـي الـزوالِ
فـي الـبـدءِ كُـنتِ وكـنتُ لـم
يَـكُـنِ الـنـهـارُ ولا الـلـيـالـي
فـإذا انـقـضـى عـمـرُ الـزمـانِ
وزُلـزِلَـتْ ثُـمَّ الـجـبـالِ
نَـطـفـو عـلـى آتٍ ونَـهـزَأُ
مِـنْ هـنـالِـكَ بـالـكـمـالِ[١٠]

وفي قصيدة «أعراس الفقراء» اعتبارُ الحبّ عِلّةَ سعادة الإنسان التي لا تُرتَهنُ بالمال، فهو ثروتُه الحقيقيّة الكامنةُ في وُجدانه، والتي تملأ حياتَه أملاً وجمالاً، وتُنسيه فقره الماديّ:

وغـنـيّـون بـالـهـوى نـحـن عـمّـا
قـام مِـن زفّـةٍ وعَـزْفِ قِـيـانِ
كُـلّـمـا بـاحَ واحِـدٌ بـهـواه
أقـبـلَ الـفـجـرُ مُـرهِـفَ الآذانِ
يـتـبـاهـى بـنـا ويـنـقُـل عَـنّـا
نـاشـرًا طـيـبَـنـا عـلـى الأكـوانِ
إنّ أعـراسـنـا لَـمـلءُ تُـقـى الـوادي
وزهـوُ الـرّبـى وعـزمُ الـزمـانِ
سَـكـرتْ مـن غـرامِـنـا هـذه الأرضُ
وهَـشّـتْ مُـخـلّـداتُ الـجـنـانِ[١١]

وفي قصيدة (رسالة في الحبّ مأثورة)، لمناسبة الذكرى العاشرة لأمين الريحاني، رأى الشاعر في الحُبّ ما يراه المتصوّفون في معناه الواسع، أنه قوّةٌ منقذةٌ من الفناء، ترفعه إلى ربّه وتمجّده إلى الأبد:

أنـقـذك الـحـبُّ وأدنـاكَ مِـنْ
رَبِّـك فـي أجـوائـه الـمـشـرقـاتِ[١٢]

وللسعادةِ مضمونٌ مثاليٌّ أيضًا، في نظر لبكي؛ فأجملُ ما فيه أنّ السعي، بجميع الوسائل الفكريّة والخياليّة، والشعوريّة والفنيّة، يبقى فاشلاً ومُقصّرًا عن إدراكها. فحسب الإنسانَ التوقُ الدائم إليها، وها هو يناجيها قائلاً:

مـررتِ دون الـنـاس مـجـهـولـةً
فـتـاتَـنـةً ضـاحـكَـةً لاهِـيَـةْ
مَـنْ أنتِ؟ لا أدري مـا ضـرّنـي
جـهـلـي، وَجـهـلـي الـلـذةُ الـبـاقِـيَـه
أطـيـبُ مـا فـي الـشـعـر أُغـنـيَـةٌ
تـبـقـى بـلا وزنٍ ولا قـافِـيَـةْ
فـإنْ تـكـونـيـهـا تـمـنّـيتُ أنْ
لا نـتـلاقـى مـرّةً ثـانِـيَـه[١٣]

العطاء

وللعطاء معانٍ عميقةٌ، تتوزّعُ بين عطيّة الله للبشر، وعطيّة البشر لله، والعطيّة المتبادلة بين البشر. ولعلّ أروع ما يجمع بينها معنى العطاء بلا رجعة. والإنسانُ المؤمنُ إيمانَ لبكي يدركُ أنّ ما ينالُه مِن خيراتٍ ماديّة أو روحيّة هو بمثابة غِنىً إئتمنه الله عليه لخدْمة الآخرين. والسعادة الكبرى في العطاء لا في الأخذ. وفي قصيدة «سؤال»

٨- قصيدة الأرض. المجموعة الكاملة. ص ٨٨.

٩- قصيدة سمراء. ديوان رندلى.

١٠- قصيدة حنين. المجموعة الكاملة. ص ٢٥٢.

١١- أعراس الفقراء. المجموعة الكاملة. ص ٣٢.

١٢- المجموعة الكاملة. ص ٢١٦.

١٣- قصيدة: من أنت؟- المجموعة الكاملة. ص ٥٢.

دعوةٌ إلى التأمُّل في مظاهر الطبيعة لاستخلاص العبرة في العطاء المجّانيّ:

وهَلْ تجهلُ الأزهارُ أمْ تدري
أيَّ شذا يُجنى من الزهرِ؟
تُغري بما تتركُ مِن طيبِها
الحُسْنَ، ولا تعرفُ مَن تُغري
تتركُ للأجواءِ أنفاسَها
وللرُّبى والمهمَهِ القَفْرِ
والضّوءُ هلْ يعرفُ كمْ مُقلَةً
هامَتْ بهِ مِن أوَّلِ الدّهرِ؟
وإنّهُ الهادي ومُستنزلُ
اللَّونِ ومجدُ الشُقْرِ والسُّمْرِ
وكلُّ شكلٍ رائعٍ نِعمةٌ
مِن جَرْيِهِ أيّانَ ما يُجري
هَلْ يعرفُ الينبوعُ كمْ روضَةٍ
تحيا على دَفقتِهِ البِكْرِ
وَكمْ ربيعٍ راحَ مِن فَيضِهِ
يَرفُلُ في أوراقِهِ النَّضْرِ[١٤]

ويشيرُ لبكي إلى هذا العطاء المثاليّ في «رسالة الشعر والشعراء» مُبديًا النزعة الإلتزاميّة لدى المُبدعين، الذين يرون أنّ الواجب يقتضيهم السعيَ الدائبَ لخِدمةِ المجتمع وإصلاحِه، مهما كلّفهم الأمرُ مِن عناء. فبهذه الغيريّة يتجلّى سُموّ المبدأ الخلقيّ، في مقابل المتعيّة القائلة بأنّ اللذة هي الخير الأوحد في الحياة:

ونحنُ معاشرَ الشعراء نحيا
ونُغبَطُ يومَ يغمرُنا الترابُ
جِراحُ الناسِ في المهجاتِ مِنّا
إذا سهمٌ أصابَهم نُصابُ
نجوعُ لِجوعِهم أبَدَ الليالي
ونعطَشُ والغمامُ لنا شرابُ
فلا النِعَمُ الكبارُ لنا طِلابٌ
مِن الدّنيا ولا الجاهُ الطِّلابُ
ونحن كما يضوعُ الزهرُ نعطي
عطاءً ليسَ يحفزُه الثوابُ
وكالينبوعِ إرواءً وخِصْبًا
إلى أن يستقِلَّ به العُبابُ[١٥]

وهكذا نرى أنّ لصلاح لبكي في شعره محطّاتٍ تأمُّليّةً أنتجت وُجهاتِ نظر عميقةً، وأفكارًا فلسفيّة في مواضيع الحياة والموت والمصير، والحبّ والمرأة والسعادة، والسأم والعطاء، على سبيل المثال لا الحصر؛ وحسبُنا الإشارةُ إلى أهميّة هذا الإنتاج الذي يدلّ على عمق ثقافة صاحبه واتّساعها، كما يدلّ على أنّ للفكر جمالاً يتمثّل في القدرة على طرح قضايا مهمّة شغلت وتشغلُ الناس، دون الإساءة إلى جماليّة الصورة الشعريّة لدى الشاعر الأصيل، بل تعزّزها كما العاطفة الصادقة.

ومن الواجب المفيد أن تتّجه أنظارُ المتذوّقين والباحثين إلى نتاج هذا الشاعر الخلّاق، للإطّلاع على أسرار جماليّته التي أغنتْ تراثَنا الأدبيّ، ولا تزالُ ترسِلُ عطرها كما الزهرُ في كلّ الفصول والأزمنة.

ثبت المصادر والمراجع

١. المصادر (كتب صلاح لبكي):

- **أرجوحة القمر**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط ٣، ١٩٧٣.
- **حنين**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٦١.
- **سأم**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٥٩.
- **مواعيد**، بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ط ٢، ١٩٥٩.

٢. المراجع:

- أحمد، محمّد فتّوح: **الرمز والرمزيّة في الشعر العربيّ المعاصر**، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٨.
- حاوي، إيليّا: **صلاح لبكي شاعر الروح والبوح**، بيروت: دار الكتاب العربيّ، ط ٢، ١٩٨١.
- عقل، سعيد: **سعيد عقل (شعره والنثر)**، بيروت: منشورات نوبيليس، ١٩٩١ (٧ مجلّدات).
- موسى، منيف: **الشعر العربيّ الحديث في لبنان**، بيروت: دار العودة، ط ١، ١٩٨٠.

١٤- قصيدة سؤال. المجموعة الكاملة. ص ٢٩٧.

١٥- قصيدة: وكان موردك العباب. المجموعة الكاملة. ص ١٩٨.

ملامح من البناية الجماليَّة في شعر صلاح لبكي

صلاح لبكي

د.وجيه فانوس

تمهيد

الجمالُ في شعرِ صلاح لبكي مُسَلَّمةٌ معرفيَّةٌ وذوقيَّةٌ يُظهِرُها الدَّرسُ من جهة، ويؤكِّدُها، من جهة أخرى، بقاءُ هذا الشِّعر بين النَّاس واستمرار فاعليّته في تذوُّقهم له عبر ذاكرتهم وثقافتهم ووجدانهم طوال العقود السَّابقة من الزَّمن. ولذا، فإنَّ الكلامَ، ههنا، لن يسعى إلى تأكيد ما في شعر لبكي من جمال، ولن يهدف إلى تبيان مواطن لهذا الجمال يمكن أن تكون غابت عن بعض محطَّات الدَّرس؛ بل سينهد الكلام إلى اكتشاف زوايا جديدة للنظر في هذا الجمال بالذَّات.

لا بدَّ من تمييز موضوعيّ بين الجمال وبين ما يجعل الجمال جميلاً؛ وهو كالفرق بين الحديث عن الشيء والحديث في الشيء. ومن هذا المنطلق، فلئن كثرت الأبحاث والدراسات التي تتحدّث عن مشاهد الجمال وصوره في شعر صلاح لبكي، فإنَّ طموح هذا العمل يكمن في السَّعي إلى الحديث في بناية الجمال؛ أو، أقلُّه، في ملامح من بناية الجمال، في شعره، أو في الذي كان، وما انفكَّ، يجعل شعر لبكي جميلاً!

مفهوم لـ"البلاغة الجديدة"

لصلاح لبكي مجموعات شعريَّة عديدة، منها «**غرباء**» و«**سأم**» و«**أرجوحة القمر**» و«**مواعيد**»؛ أمَّا قصائد هذه المجموعات فتشهد لحضور عددٍ من سمات البناية الجماليَّة التي منها ما يمكن سبر أغواره عبر المفاهيم التَّقليديَّة للبلاغة؛ ومنها ما يمكن استكشافه والغوص في آليَّاته من خلال منهجيَّات التَّفكيك التي قد تساهم في تأسيس مفاهيم جديدة للفاعليّة البلاغيَّة أو ما يمكن أن يُعرف بـ«البلاغة الجديدة». فلئن نهضت مفاهيم البلاغة التقليديَّة على فاعليَّة اللفظة أو التَّركيبة اللفظيَّة أو المعنويَّة «البسيطة»، فإنّ مفاهيم «البلاغة الجديدة» تقوم على فاعليَّة حركة السِّياق المُنبثَّة في النَّصِّ الأدبي، كما تقوم على ما يمكن أن يشكِّل التركيب الكليِّ لهذا النَّص. ولعلَّ من أبرز السِّمات، التي يمكن أن تفتح المجال إلى هذه «البلاغة الجديدة»، ما يمكن أن يُسمَّى بـ«تضادّ النَّسق المفهوميّ» و «التَّشخيص المُمَسْرَح». ينهض «التَّضادّ المفهوميّ» على تقديم مفهوم جديد ينطلقُ من مفهوم مخالف له؛ أمَّا «التَّشخيص المُمَسرح»، فيعتمد على صورة هي في طبيعة تشكُّلِها حدث مسرحيّ متكامل.

بناية تضادّ النَّسق المفهوميّ

لئن كان «تضادُّ النَّسق المفهوميّ» إحدى سمات شعر صلاح لبكي، فإنَّ هذه السِّمة تقوم على قلب معادلة منطقيَّة ما؛ والمعادلة المنطقيَّة، في الواقع، من أبرز ما يُمسك بأطراف مجموعات لبكي الشعريَّة، وينبسط على مدى فسحاتها ويلمُّ شمل تنوّعاتها. وبقراءة متعمِّقة محلِّلة لمجموعات لبكي، قد لا يكون ثمَّة مبالغة في قول إنَّ المنطق العقليّ الذي تنبثق منه سِمَة «تضادّ النَّسق المفهوميّ» جوهر أساس في شعر هذه المجموعات.

يلحظ المتعمِّق في شعر صلاح لبكي أنَّ ثمَّة معادلات منطقيَّة عقليَّة تنهض عليها بنايات الشعر عنده؛ فها هو الشاعر يُشَكِّلُ، على سبيل المثال، بنايته الشعريَّة عن «الغربة» على مداميك المنطق العقليّ لمفهومي الغياب والحضور؛ وأساس التَّشكيل أنّ حضور موضوع ما

يعني أمرًا مرتبطًا بالمنطق العقليّ المعروف لهذا الحضور، وغياب هذا الموضوع يعني أمرًا آخر، لكنّه مرتبط بدوره بالمنطق العقليّ المعتمد لغياب ذلك الحضور:

أيّ شيءٍ يبقى إذا انقطعَ الصَّوتُ ولو طابَ ما يطيب الغناء

❖❖❖

يسقط الضَّوءُ للعيونِ فإن غامت وغابت فما يضيء السَّناء

قصيدة غرباء:
غرباء

لا أنتَ أزمعتَ ولا الفكرُ ماتْ
خلعتَ عُمراً واكتسيتَ الحياةْ

قصيدة رسالة
في الحبّ مأثورة: غرباء

وكما تشكَّلت بناية «الغربة» عند لبكي على أساس المنطق العقليّ للحضور والغياب، فإنّ بناية «الانتظار» تتشكَّل، هي الأخرى، على أساس منطق السَّبب والنَّتيجة؛ إذ يتمثَّل السَّبب في الانتظار، وتتمثَّل النتيجة بـ«عدم الإطمئنان» و«الترقُّب»؛ وهذان، كما هو معروف، المتحصِّل المنطقيّ المعتاد من هذين السببين:

أنا منذ ما أنا بانتظار
لا أطمئنُّ إلى قرارَ
أصغي مع الظَّلمات مرتقباً
تباشيرَ النَّهار
والليلُ يعرفُ والنَّهارَ
ويصدُقانِ عن الجهار
فكأنَّما حوليَ قِفارَ
غائبات في قِفار

قصيدة الانتظار:
مواعيد

وكيفما دار الأمر، فقد يصحُّ الزَّعم أنَّه كيفما تجلَّى الشعر عند صلاح لبكي، وأيًّا كان لَبوسُه، فإنَّ المنطق العقليّ فيه شديد الفاعليَّة، بل لعلَّ من الممكن القول إنَّ أساس البناية الجماليّة عند لبكي، عقليٌّ في منطلقه وجوهره؛ ومن هنا يكون التجلِّي الجماليّ في شعره شهادة لجماليَّة الفاعليَّة العقليَّة في الشعر عامَّة، هذا الشعر الذي طالما نظر إليه على أنّه المسرح الأساس لتجلّي جماليَّة الفاعليَّة العاطفيّة وليس العقليَّة. ولعلَّ لبكي يتفرَّد، بهذا، بين كثير من الشعراء عامَّة وشعراء العربيَّة بوجه خاصّ؛ ولعلّ في السعي لاستكشاف آفاق «البلاغة الجديدة» في شعر لبكي ما قد يساهم في إماطة اللثام عن ميزات لهذا الشَّاعر في صياغة البناية الجماليَّة ما كان لها أن تظهر عبر مفاهيم البلاغة التقليديَّة.

يمكن لقصيدتي «ميلاد الشَّاعر»، من مجموعة «مواعيد» وقصيدة «لامرتين» من مجموعة «أرجوحة القمر» أن تقدِّما تمثيلاً طيِّباً للفاعليَّة الجماليَّة لـ«تضادّ النَّسق المفهوميّ».

تعرض قصيدة «ميلاد الشَّاعر» لحال يعيشها الشَّاعر، فينطلق التعبير عن هذه الحال من نسق مفهوميّ يقود الفهم التقليديّ له إلى صورة هي، في واقع القصيدة، خلاف الصورة التقليديَّة لهذا المفهوم.

وحدي أنا يا ربّ وحدي
نشوان من سأم وزهدِ
وحدي كأنَّ الشَّمسَ لمْ
تطلع على الدُّنيا بوعدِ
وحدي ولو أنَّ الرَّبيعَ
مُصَفِّقٌ والنُّورُ يهدي
ومطارحُ الآفاقِ أنغامُ
تُلَوِّحُ لي برَغدِ
والوردُ من حولَيَ مدى
الآفاقِ يخفقُ فوقَ وردِ
أنا والشتاء أسومُهُ
ويسومُني برداً ببردِ
وحدي فما الإنسانُ لي
بأخٍ ولا هو لي بجَدِّ
أنا لستُ من هذا التُّرابِ
ولستُ من حسدٍ وحقدِ
فلقد تركتُ وعشتُ في
ملأٍ من الأحلامِ فردِ
وقطعتُ ما بيني وبينَ
الأرضِ من صِلَةٍ وَوُدِّ

يذكر الشاعر «النَّشوة»، والنَّشوة، في النسق المفهوميّ التقليديّ، فرح وسعادة ولذّة تنبع ممَّا يُفرحُ ويُسعِد ويُلذّ؛ لكنّها، ههنا، نشوةٌ تنبع من السَّأم والزُّهد اللذين يقودان، ضمن الفهم التقليديّ لأنساق وجودهما، إلى الكآبة والحزن والحرمان. هي، إذاً، نشوة مختلفة، نشوة غير معتادة أو مألوفة، وهي غريبة إذا ما تمَّ النَّظرُ إليها من خلال النَّسق المفهوميّ التَّقليديّ للنَّشوة. ولا يكتفي الشَّاعر بهذه اللمعة تضيء فضاء بنايته الشعريَّة، بل يعمل على تعميق صورة النَّسق المفهوميّ التقليديّ لهذه المنابع، مركّزاً على نسق تقليديّ آخر مفاده أنّ الشَّمس لا تطلع على السأم والزهد والكآبة؛ ليفاجئ متلقّي النَّصّ، إثر هذا التَّعميق، بالنسق المفهوميّ الجديد لنشوة السَّأم، فإذا بها متمثِّلة في فاعليَّة تصفيق الرَّبيع وهداية النور والآفاق الحبلى بالأنغام والرَّغد، ناهيك بالورد الذي يخفق فوق الورد. ويختم الشاعر بتأكيد المفهوم الجديد للنشوة متجلِّياً بمخالفة واضحة لتقليديَّة فهم تواصل الإنسان مع الإنسان، فيضحي هذا التواصل فعل قطيعة

تتبرّأ من تراب الفهم التقليديّ لتركن إلى فضاءات الفهم الجديد في دنيا الأحلام.
ومن الواضح أنّ الشاعر ينطلق، في هذا النَّص، من موضوع معيَّن، هو النَّشوة، ليصل إلى خلاصة مفاجئة مفادها أنّ هذه النَّشوة لا تتحقَّق إلاّ بكلّ ما لا يقود إليها في مجالات النسق المفهوميّ التقليديّ. وهذه المفاجأة هي لبُّ الفاعليَّة الجماليَّة في النَّص. فالقصيدة، بما فيها من مفاجأة، تشكِّل صدمة للمتلقّي؛ وهي صدمة تقود، من يتلقّاها، إلى دهشة التلقّي وإلى ما يمكن تسميته بالتلقّي المختلف، أي إلى التفاعل الجديد مع نسق التعبير. والجماليَّة الفاعلة في هذا المجال هي جماليَّة الصَّدم والإدهاش والاختلاف والتَّجديد.
وتقوم فاعليَّة جماليَّة مماثلة في قصيدة «لامرتين»، وبشكل خاصّ في مطلع القصيدة حيث يخاطب الشَّاعر لامرتين قائلاً له:

نَمْ قَريرَ الطَّرفِ في ظِلِّ الفناء
وأرِح نفسَك من وَقرِ العناء
وانشُقِ الرَّاحةَ من كَفِّ الثَّرى
فالثَّرى راحةُ أبناءِ الشَّقاء
وظلامُ الرَّمس للعين متى
تعبَتْ أرحَمُ من وهج الضِّياء

فالنَّسق المفهوميّ التَّقليديّ لمن يكون قرير الطَّرف يفيد السعادة الكبرى العارمة، وهذه السعادة بالذات لا تكون إلاّ بحيويّة الوجود وفاعليّته الحيَّة، إنّها قمَّة الحياة في أبهى حالاتها وأجملها وأشدّها روعة؛ ولعلّ وصف هذه الحال بحيويَّة الحياة لا يخالف الواقع المفهوميّ لنسق من يكون قرير العين. بيد أنّ النَّصَّ الشعريّ، ههنا، يؤسِّسُ لنسق جديد ينبني على النَّسق القديم عينه، لكنّه يأتي مناقضاً له، مفاجئاً المتلقّي بصدمة معرفيَّة تولِّد تذوُّقاً جماليّاً مُمَيَّزًا. فالنَّصُّ يدعو لامرتين إلى أن يكون قرير العين لا بحيويَّة الحياة، بل بفناء هذه الحيويّة وانمحاء ما فيها من عيش في الثَّرى حيث ظلالُ عتمةِ الرَّمس. وهكذا لا تكون السعادة الكبرى في الوجود بل في اللاوجود، في ظلّ الفناء؛ ويكون الوجود ذاته في التلاشي، في الموت؛ وتكون الرَّحمة في عتمة اللحدِ وليس في ضياء العيش.

○ | بناية التَّشخيص المُمَسرح

تتجلَّى جماليَّة التَّشخيص المُمَسْرَح عندما تتسربلُ القصيدة بحضور مسرحيٍّ متكامل بأحداثه ومشاهده عبر تصاعد دراميّ لكلّ واحدة من جزئيَّات هذا الحضور. إنَّه مشهد مسرحيّ ينبثق من جوَّانيَّة القصيدة غير منفصل عنها. إنَّه انبثاق، بحكم علاقته بالقصيدة، لا يتحوَّل إلى نصٍّ مسرحيّ منفصل عنها؛ غير أنَّه، بتميِّزه الإنبنائيّ، لا يُبقي القصيدة على حالها التَّعبيريّ الذي كانت فيه. إنَّه إيقاعٍ مسرحيّ مختلف، لكنّه يتناسق مع الإيقاع العام للقصيدة، بل إنّه يزيد، بهذا التناسق، نشوة تلقّي النَّصَّ بفاعليَّة جماليَّة متميِّزة بتصاعدها الدراميّ. ولعلّ المقطع الذي يتحدَّث فيه الشاعر عن «جوليا»، طفلة لامرتين التي اغتالتها يد المنون، من قصيدة «لامرتين» في مجموعة «أرجوحة القمر»، ما قد يقدِّم تمثيلاً ما لهذا التَّشخيص.

طفلةٌ يحتشمُ الفجرُ إذا
أقبَلَت تخطرُ في آي البهاء
تتلاشى في يدِ الموتِ
يتلاشى النُّورُ في حضنِ المساء
فإذا الليلُ مدى عينيكَ
والعمرُ شطرٌ من مناحات الشِّتاء
مأتمٌ عزَّ على الأرزِ بهِ
أن يؤاتيك بشيء من عزاء

فـتـنـادى الـزَّهـرُ مـن أدغـالـهِ
ومشى فيه مندى بحياء
واستفاق الفجرُ من أحلامه
شاحبَ الألوانِ مُعتلَّ الضِّياء
أختُه ماتت فمن أيِّ سنىً
يكتسي الوهجُ ومن أيِّ سناء
ولو أنَّ الجبلَ الخالدَ في
وسعهِ دفعُ تصاريفِ القضاء
خَلعَ الخلدَ الذي يَلبسُه
وكساها العمرَ في أبهى رداء

تبدأ الحركة المسرحيَّة، في هذا النَّصِّ، بتحديد الحدَثِ المُحَرِّك متمثِّلاً بفعلين هما موت الطِّفلة وتلاشي النور. ويتجلَّى التَّصاعد الدراميّ للمشاهد المسرحيَّة عبر حضور مجموعة شخوص، تملأُ فضاء «المسرح» و«خشبته»، هي الليل والعمر والأرز والزَّهر والفجر والجبل الخالد. أمَّا تحقّق التَّصاعد الدراميّ فيكون بمشهديَّة ذات موضوع واحد ينهض على حضور متعدّد المفاهيم والحركات والمعاني لهذه الشَّخصيَّات. فالفجر، لا يبقى مجرَّد فجر، بل يصير فجراً محتشمًا، أمَّا النَّور فيضحي متلاشيًا يجنح إلى خفوت متزايد، في حين تطغى الظلمة بوجودها لتملأ كلّ ما هو مسرح في هذا المجال، فيبرد العمر ويعجز الأقوياء ويستحي الضعفاء ويتابع النور شحوبه وسط كلّ هذه الحركة المتنوّعة والمتداخلة فيما بينها.

استنتاج

إنّ هذا الشعر الذي تقدّمه مجموعات صلاح لبكي يشهد لبنايات جماليَّة لا تقوم على مجرِّد الفطرة الشعريَّة، بل هي بنايات تنهض على أسس من وعي معرفيّ لدقائق فاعليَّة النَّسق ضمن النَّص، وقدرة فذَّة على اكتناه أسرار تحريك مكوّنات النَّسق وعناصره بمنطق عقليّ وآليَّات تشخيص مسرحيّ. ولعلَّ الدَّرس البلاغيّ الذي سعى إلى تطرُّق ما لشاعريَّة صلاح لبكي لم يتمكَّن من الإحاطة بهذه الجماليَّة التي تختزنها قصائد الشَّاعر، بل لعلَّ لبكي نفسه لم يكن ليدرك أنَّه يبني جماليَّة معيَّنة في شعره على هذه الأسس؛ فلا الدَّارسُ البلاغيُّ التَّقليديُّ، ولا لبكي، كانا على معرفة بآليَّة التَّفكيك في التَّعامل مع النُّصوص الأدبيَّة. لكنّ الاستعانة بهذه الآليَّة تكشفُ أنَّ صلاح لبكي كان بنَّاءً جماليًّا في الشِّعر بأسلوب متميِّز وبحسّ جماليٍّ يقوم على منطق عقليٍّ أخَّاذ.

خلاصة

ثمَّة من يرى أنّ الجمال وليد العاطفة والانفعال والذاتيّة؛ وثمَّة من يُصرُّ على أنّ الجمال سرٌّ يعصى الدخول إلى قدس أقداسه، فلا بحثٌ في هذا السِّر بل مجرَّد مشاهدة. لكن، ثمَّة من قد يرى، كذلك، أنَّ الجمالَ بنايةٌ تقوم على منطق عمليٍّ معيَّن وقدراتٍ مُحَدَّدة في تشييد البناء الجماليّ.

«الجمالُ سِرٌّ» يُشاهدُ ولا يُدرك، أم «عِلْمٌ يُفَكَّكُ وتُسْتَكْنَهُ أسراره»؟ تساؤلٌ قد تقود ملامح من البناية الجماليَّة عند صلاح لبكي إلى الميل إلى اعتباره علمًا ومعرفة؛ كما قد تؤكِّد، هذه الملامح، ضرورة تمييز الدَّرس البلاغيّ الفنيِّ عامَّة، والأدبيّ منه خاصَّة، بين ما هو إشارة إلى الجمال، وما يجعل هذا الجمالَ جميلاً!

لبنان الشاعر لصلاح لبكي

صلاح لبكي

د. متري سليم بولس

عنوان الكتاب ينسُب الشاعريّة إلى لبنان، وفي الكتاب سياقات توحي بأنّ لبنان هو الشاعر، وأنّه بارئ الشعراء ومبدعُهم، فما شعرُهم إلاّ امتداد لشعره، وما جمال قصائدهم إلاّ تجلّيات جمال طبيعته وسحر تكوينه، وقديمًا قيل الأدب ابن بيئته، وبالنسبة إلى لبنان حُقّ القول بأنّ لبنان والشعر صنوان بل توأمان، فالشعر هو ابن لبنان الشاعر، والشعراء هم أبناؤه المختارون المباركون.

ويسأل صلاح لبكي سؤال مجيب عاف: «لماذا انطلق دائمًا من جبالنا ونشأ في سهولنا وعند شواطئنا شعراء كما تبوح الورود وينمو البيلسان، أو كما تعصِف العواصف وتشُعّ الأضواء. إنّ لفي طبيعة لبنان من التوازن والاتساق والجمال ما يفيض بعضُه على النفوس ويحرّك القلوب. لقد قام منذ أبعد العصور بين اللبنانيّين وطبيعة بلادهم صداقةٌ حميمة... هي تغدق وتشعّ وتلوّن، وهم يبثّون ويفزعون إليها ويحنّون ويعبدون. فترتفع القلوب أنغامًا وتنطلق العقول استنطاقًا عن المكنونات والبواعث والعلل» (ص ١٣٢- ١٣٣).

ويقف صلاح لبكي عند جبران ليبرز ارتباط أدبه بلبنان، فيقول: «... جبران لبنانيّ يحسّ في أعماق أعماقه آلام لبنان، هذا اللبنان الذي استمدّ هو من جباله ووديانه وسهوله وبحره وأغساقه وأسماره ألوان ريشته وصور خياله، وأحبّ أهله وتغنّى بهم، وبحبّ فلاّحي بلادنا ورعاتها وكرّاميها وآبائها وأمّهاتها، بحبّ البنّائين والفخّارين والحائكين وصانعي الأجراس والنواقيس فيها، قد تغنّى...» (ص ١٨٧).

وانعطف على شعره الياس أبو شبكة، فبيّن علاقة شعره بلبنان الشاعر فقال: «أمّا الطبيعة، الطبيعة اللبنانيّة، والحياة اللبنانيّة، وما يرافقها من عادات بريئة مستحبّة، فقد غنّاها أبو شبكة كما لم يغنّها أحد من قبله:...

- غنّى الشتاء:

أمـــطـــري واعصـــفـــي
وارقصـــي واعـــزفـــي...

- غنّى:

الوجّاق والموقدة... والصاج....
والجرن والمهباج...

- غنّى:

النبيذ العتيق... والإبريق...
والرفش والمعولا والموسم المقبلا...» (ص ٢٥٩).

وميزة ثانية خُصّ بها اللبنانيّ، وهي كونه معماريًّا. وهذه السِّمة لفتت صلاح لبكي، فوقف عليها فصلاً كاملاً من لبنان الشاعر، ونظر في قول القائل: «الحكمة بنت بيتها ونحتت أعمدتها السبعة»، وقرنه بالعمران في مدينة جبيل، إذ فيها شيّد أوّل بيت في العالم بالحجر الموقّع، هو بيت الأعمدة السبعة، في الوسط يرتفع واحد، ويصطفّ إلى الجانبين ثلاثة ثلاثة. والعقل البنّاء هذا تجسّد عمارات شعريّةً علاّها الشعراء اللبنانيّون، «والبناء في أخصّ خصائصه إنشاء موحّد التصميم، متماسك الأجزاء، تسوده فكرة واحدة على ما فيها من تشعّب ودقائق متعدّدة، تستقرّ معه الأجزاء متناغمة في الكلّ ويشمل الكلّ جميع الأجزاء» (عن فؤاد البستاني، ص ٢٩٢).

- ويمعن صلاح لبكي في تقصّي بنايات الشعر اللبنانيّ، من مواكب جبران ذات الاتجاهين:

هـل فـرشتَ الـعشب لـيـلاً
وتـلـحّـفت الـفضـا
زاهـدًا فـي مـا سـيـأتـي
نـاسـيًـا مـا قـد مضـى
وسـكـون الـلـيـل بـحـر
مـوجُـه فـي مسـتـمـعك
وبصـدر الـلـيـل قـلـب
خـافـق فـي مضـجـعك

أو قول جبران:

والحقّ للعزم والأرواحُ إن قويت
سادت وإن ضعفت حلّت بها الغِيرُ
وفي الزرازير جبن وهي طائرة
وفي البزاة شموخٌ وهي تحتضرُ.

إلى «على بساط الريح» لفوزي المعلوف، مبديًا وحدَتي المطوّلة: وحدة الرحلة إلى عالم الأرواح، ووحدة الموضوع في القصيدة:

هو حلم مجنّح رافق الشاعر
يطوي الأجيال جيلاً فجيلا
خلعت يقظةُ العقول جناحين
عليه يحيّران العقولا...
ومُدَّ الطرفَ في الأثير تجدْني
قاطعًا في الأثير ميلاً فميلا

إلى مطوّلة «عبقر» لشفيق المعلوف، وهي موحّدة الموضوع يستقطبه الانسانُ «... بشهواته وأوهامه ونقائصه وأحلامه وقنوطه وحكمته...»، «ولولا أنّ الشاعر قد فتح للخلاص باسم الحبّ... لكانت أمثلَ كتابٍ للتشاؤم»:

ويحك يا إنسان ... ألق عصا سحرك
دُعرت فينا الجان ... فعَذتْ بالشيطان
من شرّك

إلى قصيدة «غلواء» لالياس أبو شبكة، وهي قصيدة الإثم والندم والغُفران:

أمام هذا الهيكل الأطهرِ ... أمام عين البائس الأكبر
أمام أوجاعي أمام الألمَ ... أمام هذا الضعف هذا السقم
وهذه العين التي لم تنم ... اطرح قلبي للهوى مجمره

وينظر صلاح لبكي في «قدموس» رائعة سعيد عقل من حيث هي بناية شعريّة هدفها تمجيد لبنان وتحديد رسالته، فالبلاد التي يتغنّى بها سعيد عقل «كانت إحدى مراكز النشاط العقليّ الأولى، إحدى مراكز المعرفة والحضارة، تمكّن الانسان فيها أن يتغلّب على غرائزه، ويحرّر قُواه الروحيّة، ويتوصّل إلى المحبّة الخالصة، إلى جوهر الجمال في الكائن، إلى معانقة النور المنتصر...»:

ولبنان عهدُ

ليس أرزًا، ولا جبالاً، وماءً، ... وطني الحبّ، ليس في الحبّ حقدُ.
وهو نور فلا يضلّ: فكدٌّ ... ويدٌ تبدع الجمالَ وعقلُ
لا تقل: «أمّتي»، وتسطو بدنيا ... نحن جار للعالمين وأهلُ

ولا أنسى مطوّلة «سأم» للشاعر صلاح لبكي نفسِه، فقد عرض لها فؤاد كنعان كمطوّلة ذاتِ عمارة واحدة في موضوع واحد، يصوّر سأم آدم قبل حوّاء، وإيناسَه بعدها، وتيهَه وإيّاها:

سئمت يا ربّ، ولا شيء في ... الأرض يزيل السأم العاديا
تعبتها لذائذًا كلّما ... دنوت ولّت هازئات بيا...
ومرّ ظلّ فإذا آدم ... يقول: يا للحلم! هذي هيا
حوّاء وحيُ الأعالي ... أم من نسيج خيالي
في مقلتيك التماع ... من روعة وجلال
حوّاء هل أنت إلاّ ... أغنيتي وسؤالي
وإذا في البعيد، عند قيام ... الدهر، طيفان يسبحان الهوانا..

(سأم ص ١٤٣، ١٤٧، ١٥٩)

ولبنان الشاعر في رأي صلاح لبكي، فضلاً عن كونه صورة لجمال طبيعته وسموّ معماريّته وبنائه، انفتاح على العالم الرحب بل رسالة موجّهة إليه، وصاحب الرسالة لا يعرف الانكفاء، فاليد المنقبضة الأنامل ليست يدًا، ولولا الأنامل ما كانت اليد ولا كان العطاء، فلا انطواء على عربيّ ولا حدّ، ولا نفرة من أجنبيّ ولا بعد. من أوائل التاريخ من موطن الأجداد انطلاق وامتداد سفنيّ أرجوانيّ بلّوريّ حرفيّ نورانيّ برّاق: «وكانوا يسمعون وكانوا يرون وكانت نفوسهم ترتفع وقلوبهم تهتزّ بعاطفة من الحبّ الشامل. وإذا هم ينعمون بمدنيّة ما عرفت الدنيا مثلها من قبل.

وإذا بيبلوس وإذا صيدون وإذا صور تحمل إلى أقاصي المعمور، إلى الذين لم يروا وإلى الذين لم يسمعوا فيضًا منه خيراتها، وفيضًا من حبّها، وفيضًا من إنسانيّتها» (من أعماق الجبل، ص ٢٣).

■ | ولا يكتفي صلاح لبكي بالنثر اعتزازًا إذ لبنانه شاعر، فيشفع النثر بالشعر:

أرى من خلال الزمان البعيد ... قوافل تمتدّ من شطّ صور
وتسري على هينمات الحداة ... وتغدو على زقزقات الطيورِ
فيرتقص الكون تيهًا ويزهو ... ويرفلُ بالأرجوان الوثيرِ

(أرجوحة القمر ٣٤/٣٥)

■ | ويتلّي:

أتيتَ تحمل نبراسًا إلى بلد ... ضاءت نباريسُه في الأرض أزمانا
هل الحضارات إلاّ بعض ما نفح الـ ... دنيا اعتزامًا وآمالاً وعمرانا
بنى البناء فأعلى من حجارته ... وخصَّب الفكر تجريدًا وبنيانا
لولا هداه لما كان الوجود كما ... كان الوجود ولا الانسان إنسانا

(غرباء، ص ٢١٩)

وصلاح لبكي، في لبنان الشاعر، جدليّ مقارِن في تعاطيه مع تطوّر الشعر اللبنانيّ. إنّه حركيّ النزعة، لا يأخذ بالطَّفرة تنجبس ولا بالصحوة تهبط، فالشعر بدأ تقليدًا للقدامى لدى الأخطل الصغير، ثمّ جاور التقليد تجديد مردّه إلى الرومنطيقيّة لدى الأخطل نفسه، وانطلق رومنطيقيًّا خالصًا مع أماصها الياس أبو شبكة، فالحركة: تقليد، ثمّ اقتران التقليد بالتجديد، ثمّ خلوص إلى التجديد صرفًا.

■ | ويسوق صلاح لبكي الأدلّة على تقليد الأخطل الصغير:

المهى أهدت إليها المقلَتين ... والظبا أهدت إليها العنقا...
ورمى في صدرها رمّانتين ... من رأى الرمّان فوق الخيزران
فهما في صدرها كالموجتين ... أيّ صبّ ما تمنّى الغرقا؟

(ص ١٧٠/١٧١)

■ | أمّا التجديد فيلحظه في قول الأخطل:

اسقنيها بأبي أنت وأمّي ... لا لتجلو الهمّ عنّي، أنت همّي
املأ الكأس ابتسامًا وغرامًا ... فلقد نام الندامى والخزامى
زحم الصبح الظلام فإلامًا
قم ننهنه شفتينا، ونذوّب مهجتينا، رضِيَ الحبُّ علينا
يا حبيبي

(ص ١٧٦)

وتبلغ الرومنطيقيّة أوجها مع الياس أبو شبكة، فهو رومنطيقيّ بمزاجه المنفصم بين العنف والرقّة، والصحّة والمرض، والبراءة والإثم، وكبريائه في وجه الشقاء، «فهذا المزاج الفريد هو الذي حمله على أن يختار لنفسه مقامًا بين صفوف الرومنطيقيين الفرنسيين... حتّى ليصِحّ القول فيه: إنّه لو لم توجد الرومنطيقيّة قبله لأوجدها هو» (ص ٢٥١).

ويتغنّى صلاح لبكي بشعر الياس أبو شبكة:

إجـرح الـقـلـب واسـق شـعـرك مـنـه ... فـــدم الـــقـــلـــب خـــمـــرة الأقـــلام
مصدر الصدق في الشعور هو القلب ... وفـي الـقـلـب مـهـبـطُ الإلـهـام...
ربّ جـرح قـد صـار يـنـبـوع شـعـر ... تـلـتـقـي عـنـده الـنـفـوس الـظـوامي
(ص ٢٥٤)

ويلجأ صلاح لبكي إلى طريقة المقارنة مصحوبة بالحركة النامية في تقصّيه تولّدَ الشعر الرمزيّ لدى شعراء لبنان. فكما اقترن التقليد بالرومنطيقيّة قبل انطلاقها في شعر أبو شبكة، هكذا اقترنت الرومنطيقيّة بالرمزيّة في أدب جبران. فالطابع الرومنطيقيّ يغلب على أدب جبران. إلاّ أنّنا نجد لديه بذورًا تُعزى إلى الرمزيّة نمت وأينعت وأتت أُكُلَها في شعر سعيد عقل. فالرمزيّة وفق صلاح لبكي قائمة على الموسيقى الشعريّة والغموض الموحي الذي لا يقيّد المتلقّي بانطباع يفرض عليه فرضًا، بل هو يفسح له في المجال ليعدّد استيحاءاته. وجبران رمزيّ، لأنّ الغموض لديه يوحي إلى قارئه، ولكنّه لا ينفكّ يعمل على إجلاء غموض وحيه حتّى يقيّد القارئ به. والرمزيّة جوّ موسيقيّ يلفّه الغموض الموحي بلا تقييد.

ويعرض صلاح لبكي لبداية الرمزيّة في لبنان مع «نشيد السكون» لأديب مظهر، ومعالمها عند يوسف غصوب، قبل أن يبلغ الشعر الرمزيّ في لبنان «أكمل وأجلى مظاهره مع سعيد عقل» (٢٧٢). والرمزيّة إيحاء بالشعور إيحاءً بواسطة موسيقى الشعر ورموزه. وهي غناء صافٍ متجرّدٌ من الفكرة الواضحة والانفعال الشخصيّ والإعلام الظاهر» (ص ٢٧٢).

وبالنسبة إلى سعيد عقل هي سيطرة نغم القصيدة على الشاعر قبل شروعه في النظم. ومن هذه الومضة، من هذه النسرة، من فِلَذَة الجمال هذه ينبثق الشعر، ولكن «لا وجود لأيّة شرارة جمال إلاّ وراءَها عمر من التحضير والكدّ» (ص ٢٧٤).

ويتغنّى صلاح بشعر سعيد:

أجـمـل مـن عـيـنـيك حـبّـي لـعـيـنـيك ... فـــإن غـــنّـــيت غـــنّـــى الـــوجـــود
فـي نـجـمـنـا أنت وفـي مـدّعـى ... أشـــواقـــنـــا أم فـــي كَـــذاب الـــوعـــود
كـنـت بـبـالـي فـاشـتـمـت الشـذا ... فـيـه تـرى كـنـت بـبـال الـورود...

(ص ٢٨٤)

ولغة لبنان الشاعر هي العربيّة. ومن المسلّم به أنّ لغة لبنان الأصليّة هي الآراميّة. «ولكنّ لغات متعدّدة، مصريّة، حثّيّة، بابليّة، آشوريّة، فارسيّة، إغريقيّة، لاتينيّة، عربيّة، تركيّة، تعاقبت على لبنان، ثمّ حلّت اللغة العربيّة محلّ الآراميّة (أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ص ١١٨).

وصلاح لبكي ضنين باللغة العربيّة، ولكنّه يرفض مقولة طه حسين بأنّ بعض شعراء المهجر، لعجزهم عن إتقان العربيّة، اتّخذوا الضعف اللغويّ مذهبًا (ص ٢٤٠)، وينهي «ولولا أنّ المجيدين من شعراء المهجر قد تفادوا الركاكة والعبث بحرم اللغة والأوزان والقوافي... لما جاز لنا التحدّث عن شعرهم [و] لو جاز التوقّف عند نزعاتهم الفكريّة، فالجمال... لا يشرق إلاّ معتمدًا على ركنيه المعنويّ والشكليّ، فإذا تداعى أحدهُما انهار البناء الجميل كلُّه» (ص ٢٤١)

ملاحظة: الصفحات في المتن تحيل على أعمال صلاح لبكي الكاملة.

المُفردُ الجَمْعُ

صـلاح لبـكي

الوزير إدمون رزق

منذ نهايات القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، شكّل الأدباء والشعراء اللبنانيّون، حيثما حلّوا من بلاد العرب، وديار الانتشار، طليعةً نهضويّةً، فأنشأوا صحفًا ومجلّات، قامت حولها جمعيّات وروابط وأندية، وأصبحت مكاتبهم ملتقى أهل الفكر والسياسة.

كان الأدب التزامًا مباشرًا بقضيّة الحضارة، توقًا إلى الحداثة والمعاصرة، مع التشبّث بالجذور، تطلّعًا إلى بناء وطنٍ ودولة، لمجتمع إنسانيّ راق.

وكانت الحريّة أبهى عرائس الشعر، ملهمةً لفنون الأدب، المسرح والقصّة، والصحافة حاملة المشعل.

في كلّ آنٍ وزمان، ظالمون ظلاميّون، يخشون الكلمة، لأنّها عدل ونور. يقمعون الصحافة، يحرقون المكتبات، يغتالون الكتّاب، يضطهدون الفكر، يهمّشون الشعراء والفنّانين، فتشعّ الشهادة، تهلّ استقلالاً، وتضجّ أرضًا وسماء!

بعد إعلان دولة لبنان الكبير، تقدّمت النخبة للاضطلاع بدورها الطبيعيّ في إرساء الدولة، وبناء مؤسّسات الحكم.

انتُخب نعوم لبكي، الصحافيّ الأديب، صاحب «المناظر»، رئيسًا لمجلس النوّاب، برلمان الشعب، حيث يفترض الاختيار بين أكفاء مثقّفين، من أبناء «الجبل المُلهم»، المطلّين على سواحل المتوسّط، الضاربين في الأصقاع، المضاربين على الابداع، لا كمشات سماسرة، وعيّنات نخّاسين، منتحلي صفة، مرتهنين، يلهثون وراء الأسياد من وهن، ومن خشية لا ينبسون... أو تملّقًا وعمالة، شبق ألقاب، جشع مال، وغرور تسلّط، بالزور يشهدون!

في تلك البيئة أمضى صلاح نعوم لبكي، الفتوّة والشباب.

من حظّي، أنّي، في حداثتي، غداة الاستقلال، كنت، خلال العطل المدرسيّة، أرافق أبي إلى مكتبه في جريدة «الحديث»، حيث أتيح لي أن ألتقي شعراء وأدباء، صحافيين وسياسيين، منهم صلاح لبكي، فانطبعت في ذهني صورته، لتترسّخ بعد بضع سنوات، يوم صدرت جريدة «العمل» يوميّة، فتولّى أبي كتابة مقالها الافتتاحيّ، إلى جانب رئاسة تحرير «الروّاد»؛ بعد أن توقّفت «الحديث». وعندما عادت إلى الصدور، تمّت التوصية، والخيار، أن يكتب صلاح لبكي الافتتاحيّة، خلفًا لأمين رزق، فكان ذلك؛ وقد سمعت أبي يشيد بصلاح، كاتبًا وشاعرًا، في صيغة إعجاب ممزوج بالمحبّة. وكان ذلك قبل عشر سنوات، من كتابة «حصاد الأيّام» لعشر أيضًا، خلفًا لشهيد لبنان، عبقريّ المقال، فؤاد حدّاد... يا ضَيعانَ الأقلامِ والصحف المعلّمة في سنيّ القحط والهزل والهُزال.

تلك المرحلة، ازداد صلاح تألّقًا، في الفكر السياسيّ، والتأليف، تدفّقَ شعرًا، أطربَ الجيل، هزّه، فتحَ أمامه أبوابًا مرصودة، وكان لإطلالته رونق خاصّ.

يلوح لي أنّ أصدق تعريف لصلاح لبكي، أنّه مفرد جمع. إنّه المحامي، الشاعر، الكاتب، المفكّر السياسيّ، الأنيق، المحبّ، الحبيب، الزوج والأب، الصديق والرفيق، ينادم ويسامر، في بيانه عبق المسك والفاغية.

ولكم شاقنا، وأعزّنا، نحن بعضَ الطالعين، أوائل الخمسينيّات، ظهورُ أسمائنا، حدّ اسم صلاح لبكي، ورعيل من رفاقه، كبارنا، أعمدة الهيكل، في مجلّة «الحكمة» عهدها الأوّل، بلمسات فؤاد كنعان، ورئاسة خليل أبي نادر، ما اعتبر نوعًا من «التثبيت»، في بداية مسيرتنا الطويلة، الشاقّة حتّى الاستحالة.

نذكر صلاح لبكي، الرئيس المؤسّس لجمعيّة أهل القلم، وخليفته إدوار حنين، المتقدّم أدبًا وسياسة، وزيرًا ونائبًا... وميشال أسمر، مؤسّس الندوة، جامع المزايا والمناقب، ومكوكب المجلّين في أمسياته، لهفي على تلك الأيّام!.. فمن لنا اليوم بصلاح، من لنا بإدوار، من لنا بميشال... ومن لنا بفؤاد كنعان، وفؤاد حدّاد، وأترابهم الميامين، في زمن الصدمة والفجيعة؟!..

لقد بحّ صوتي، وتقطّعت أنفاسي، حتّى لأكاد ألفظها، وأنا أطالب بعودة «الحكمة»، مدرسة المطران، إلى مدارها، والمجلّة المطيّبة المخضلّة إلى حلبتها... ونسأل كلّنا: كيف نتخلّى عن الريادة؟ كيف نكفّ عن تنشئة الأدباء والشعراء؟ كيف نسمح بفقد مركز الطليعة، الضامن النوعيّ لكلّ التوازنات، والمصحّح لكلّ الاختلالات!..

يوم رحل صلاح لبكي، والبَدْعُ دَفْقٌ، عمقًا وبعدًا، بسطةَ سفحٍ وشمخةَ قمّة، قرأت لرشدي المعلوف، ضمن «مختصر مفيد»، حِماه الجماليّ في «الجريدة»، الذي نهلنا منه إدمانًا، أنّ شعور الخيبة كان يتملّك صلاحًا، «لا بسبب قلّة الانجاز، لكن لشدّة الطموح»!

شاعر «أرجوحة القمر»، «مواعيد»، «سأم»، «غرباء»، و«صنين»، صاحب «لبنان الشاعر»، و«من أعماق الجبل»، غادر جنّة الشعر إلى ملكوت الشعراء، بعد تسع وأربعين سنة ملأى بالمجد!

يقينًا أنّ السلطة ليست منصبًا أو لقبًا، بل مكانة في القلب، ثرى بالحبّ بليل، وذكر على الأيّام جديد، فأين النقص أيّها المكتمل؟ ولم الخيبة يا صنو الانجاز والإعجاز؟

... ويا صلاحًا، رئيس «جمعيّة أهل القلم»، بعدكما، أنت وإدوار، تبدّد الشمل، وعصفت بالروح أرياح، نامت النواطير وبشمت الثعالب؛ فمن مخبر أجيالنا الآتية مآثركم؟ من ينبري لحمل مشاعلكم؟ من يشهر قضيّة الانسان، في عقد الزمان؟ من يعلّم الآتين ما تعلّمنا منكم، وأخذنا عنكم؟ من يقطف المجد الذي غرستم، يسطع موهبة في وجه الإعصار، ليدرأ التصحّر الآتي من المذهبيّة، والعصبيّة، والجهالة؟!

أم تُرانا نغبطُكُم؟.. لأنّكم لم تشهدوا لبنان الذي غنيّتم، وأغنيتم في العالمين، يتفتّت هوانًا، يتشتّت سُخفًا، حِطّة وغباء، يستعطي المحسنين، وهو الإحسان، يستجدي العربَ والعجمَ حلولاً، والسعيُ هباء... فبئسَ الوليُّ جَهولاً.

... لكنّ أهل النهضة، أبيت اللعن، هنا، وهنا مستمرّون عزمًا ومضاءً!..

غنّى المحاماة فكانت أناشيد

صلاح لبكي

المحافظ د. دياب يونس

من «**أعماق الجبل**»، تلألأ رقراقه فروى وأروى، وعلى «**أرجوحة القمر**»، تهادى سحره فهدهد المشاعر فانتشى وأنشى؛ وإلى «**مواعيد**» مع الطّيْب والطّيّب دعا ودُعي فأُريقت قوارير، وصدحت ألحان، وسالت شهيّات؛ واعتصره «**السّأم**» فألفى ذاته وحيدًا بين «**غرباء**»؛ وشفّه «**الحنين**» إلى ألوهة شبّهت له فيه فاستهام في تمجيد الأنا؛ وهام شاعرًا من لبنان يغنّي «**لبنان الشاعر**».

كان صلاح لبكي مغنّيًا: غنّى الشعر فكان تراتيل. غنّى الصحافة فكانت رسالة. غنّى الوطن فكان قُدُسًا. غنّى السياسة فكانت إرشادًا. وغنّى المحاماة فكانت أناشيد.

فوق مهده، قامت الجنيّات يرضعن الوليد مزايا العقل، ويغدقن سجايا الأخلاق. وفي بيت أبيه الرئيس والصّحافيّ الأديب نعّوم لبكي، تنشّق الصبيّ الحريّة، وتذوّق الفتى عسيلة الكلمة.

في عينطورة العازاريّة، أتقن الديباجتين العربيّة والفرنسيّة؛ وفي «الحكمة» المارونيّة، استهوته في «عكاظ» القوافي؛ وفي جامعة القدّيس يوسف اليسوعيّة، تناول القانون على مشاهير من أربابه.

انتسب إلى نقابة المحامين في بيروت، بتاريخ ١٩٣١/٢/١٦، في حقبة مترعة بنهضة الكلمة؛ وسرعان ما طفق الناس يتحدّثون عن اندفاعة النّسغ في أفانين الموهبة اللبكيّة المدهشة:

قوامٌ أملد، وجهٌ صُباح، عينان تغزلان الجمال، فمٌ فُطِرَ للكلام الجهير، يدان ترافقان القول وتقولان.

ذكاء خارق، فكر خاطف، فطنة ثاقبة، منطق صارم، خيال ملتهب، نَفَس مديد، صوت يشدو شلّالاً أو يخفق هامسًا على بعض غُنّة.

استقامة سمت به فوق الشّبهات. جسارة كرّسته من كهّان الحقيقة. وخَطابة أدهش الأعداءَ ارتجالُها. وشغف بالكفاح يرسمه بالمحابر، أو يزاوله فوق المنابر.

وأطلّ المبتدئ البازغة من حدقتيه ومضة النبوغ معلّمًا وقد بان أنّه نموذج مدهش للخطيب القضائيّ: غاص على مكنون القوانين، فقه أصول المحاكمات، تزوّد بثقافة رحيبة، تمرّس بعلم البيان، وتحدّق لغة الضّاد، متسائلاً مع شيشرون: وهل من عار أعظم من أن يجهل المرء لغته؟

أشرع له قصر العدل رتاجه فلم يَرْتَجْ عليه فيه كلامٌ، أو يَستغلقَ لسانٌ. إلى المجلس العدليّ تخاصم، وإلى محاكم الجنايات تحاكم، فكانت له في ساحاتها منازلات، واحتدمت له في مبارزة القُروم من المحامين مناظرات. هناك كان فرسانُ بني لبنان: الخوريان بشارة وفؤاد، واللحّودان عبدالله وإميل، واليوسفان السّودا وجرمانوس، والنّقيُّدينان أمين وبهيج، وكان إلياس نمّور وجبرايل نصّار وحبيب أبي شهلا وحميد فرنجيّه وإبراهيم المنذر وإدوار حنين ونصري المعلوف ومحسن سليم وإدمون ربّاط وفايز الحدّاد. وهناك كان... راجي الرّاعي!

هؤلاء وأقرانُهم كانوا كأبي الهول يجثمون في فناء دواوين القضاة، أو كالقشاعم، قل، في السّحائب يحرسون ويحترسون. فمن ذاك المتجرّئ على حمى العرين يكون، إن لم يكن شبلاً ابن ذيّاك الأسد؟

أدرك صلاحٌ، مذ أطلّ على قصر العدل، أعلامَ المهنة بقدرة على المجادلة، وصفاء في المحاجّة، وضراوة في الكلام الرّهيف البليغ، فكان، على الدّوام، يبدو شاكي السّلاح، مرجعًا لخصومه ضربات ظنّوها قاضية.

وقد برّ معظم هؤلاء الأعلام بأنّه آخى بين الأدب والمحاماة، وقرنهما في وحدة متماسكة، فكان «ينشر في أرجاء المحاكم أريجًا من بيانه، ويكسوها بأجنحة من خياله، ويحلّق بها إلى آفاق بعيدة زاخرة بالضيّاء، ما جعل بعض هؤلاء الكبار يتهيّبون المرافعة ضدّه أو بعده».[١]

وبرّ معظم هؤلاء أيضًا بإلقاء منبريّ مبين، وبشاعريّة صوفيّة رقيقة تجتاح القلوب، ولا غَرْوَ من ذلك، فللقلب براهين لا يفهمها العقل، وما فتئ صاحب البثّ الحميم والنغم الشجيّ يردّد مع زميله الفرنسيّ ليونس بيركاف (Léonce Peyrcave): «لا يقودنا سوى الحقائق التي تبكينا... لنغلقنّ القوانين، ولنفتحنّ الأفئدة».[٢]

وخاض صلاح المرافعات السياسيّة والجنائيّة الكبرى، وحارب في سبيل الأفكار والمبادئ الجلّى، وأقحم في دفاعاته تأمّلاتٍ عامّةً مستوحاة من صميم دعاواه، فشهد معاصروه، عندئذ، وثبات قلبه المشبوبةَ، وفوراتِ الإشجاء التي كان القدامى يعتبرونها وحيًا ربّانيًّا.

في دعاواه، أبرزت انفعالاتُه مَلَكاتِ خَطابته الجموح، وقد اجتاحتها نسائم ملتهبة أثارت المستمعين، جرفتهم في إعصار، انتزعت من مآقيهم الدموع، أو فجّرتهم تصفيقًا.

وكان القضاة ينصتون إليه لأنّ الرّوح التي تحرّكه كانت الحقيقة. وللحقيقة إغراءات لا تقهر ومفاتن.

هذا ما حمل إدوار حنين على أن يقول عنه: «أمّا الخطيب المحامي فكان نسيج وحده، يتخايل بين الحجّة القانونيّة، والحجّة المنطقيّة، والحجّة العاطفيّة، والحجّة الدّفقيّة- الخطابيّة، كثيفة في حين، شفّافة في آخر، على مدى ساعات وساعات، فما يكاد ينتهي من مادّة الإقناع التي بين يديه إلاّ وقد انتهى السّامعون إلى الاقتناع، ولمّا تنته طاقتهم على الاستماع والاستمتاع».[٣]

والخلاصة أنّ صلاح لبكي رأى إلى المحاماة علمًا راقيًا وفنًّا جميلاً[٤]، ورسالة وطنيّة وإنسانيّة، فجاءت مرافعاته شذرات من قلبه وعقله[٥] تزيّنها البلاغة والأداء، منذ الفاتحة التي تأسر الانتباه، وتستميل الودّ، وتثير العواطف دونما طنّانيّة أو إسهاب؛ إلى السّرد الذي يعرض القضيّة وقد اتّسم بالوضوح ومشابهة الحقّ والحيويّة ومؤالفة الأسلوب والنبرة؛ إلى المناقشة التي ترتّب الحجج والأدلّة وما تستدعيه من جدليّة حاذقة، وقوّة ابتكار، ومهارة في العرض والدحض والتنفيد والتلوين الكبير في النبرة؛ إلى الخاتمة التي تتوّج المرافعة فتناشد العقل وتحرّك الشعور وتجرف الإقناع.

والخلاصة أيضًا أنّ صلاح لبكي مجّد الكلمة خلال ربع قرن، وخلّف في قصر العدل شعاعًا لا يني يتلألأ، وسجّل المحاماة صكًّا خالدًا، فهل في نقابة المحامين، اليوم، من يذكر ذلك العبقريّ النابغ؟ وهل من لا يزال، في صفوف أساتذتها، من يترافع كما روفع في الأمس، أو تَرْحُبُ لسماعه المحاكم صدرًا؟ وهل فيها من يحفظ ولو فُتاتًا من تراثه؟ وهل فيها من يصونون هذا الكنز من الاندثار فيصدروا وقائع المحاكمات الخارقة التي عرفها لبنان في مجموعة وثائقيّة مرجعيّة يعود إليها المؤلّفون لبلورة أفكار الحريّة والديمقراطيّة والعدالة وحقوق الانسان وسرائر العشّاق ودوافع المجرمين، أم هي منشغلة، كمرتا، بأمور كثيرة أخرى؟ أم ترانا نختم حديثنا بما كتب معلّمنا عبدالله لحّود عن نسيب اللبكيّ العبقريّ الآخر المغفور له إميل لحّود إذ قال: «قد تنسى مرافعات إميل لحّود الداوية مع أنّها جديرة بالبقاء. أمّا نكات إميل لحّود فلن يطويها النّسيان».[٦]

فهل خلا قصر العدل من المحامين والقضاة المثقّفين والأدباء؟ وهل استحال فردوس البلاغة للبلاغة رَمْسًا؟ وهل حلّ الصقيع حول أقواس المحاكم محلّ الخطباء المَصاقع؟

١- إميل الككّ، مقالة بعنوان «صلاح لبكي المحامي»، مجلّة الورود، الجزء الأوّل، السنة التاسعة، أيلول ١٩٥٥، ص ٨ و٩.

٢- دياب يونس، الخطابة القضائيّة، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص ١٨٨.

٣- إدوار حنين، مقالة في مجلّة الحكمة، السنة الخامسة، العدد ١ و٢، تشرين الثاني وكانون الأوّل ١٩٥٥، ص ٤.

٤- محسن سليم، م. ن.، ص ١٣.

٥- جان عزيز، م.ن.، ص ١٤٥.

٦- عبدالله لحّود، أوراق بخطّ يده في حوزتنا.

صلاح لبكي وأصحاب القيافة والعيافة

النقيب عصام كرم

مَن هؤلاء... أصحاب الدالّة على الزمن... ذوو الإطلالة والإشعاع والحضرة... ملاّك الظرافة واللطافة والبَرَكة... القابضون على الموهبة... الممسكون بـ«سِمْسِم» الكلمة... القيّمون على السرّ والسّحر؟

مَن هؤلاء... المسئولون على الهدى ساعة يشاؤون... من العشر الكلمات إلى كلمة التقوى... الباعثون الهوى ساعة يشاؤون حتّى لتصير الأرض، على يدهم، حبّة رمل وتصير الأبديّة ساعة؟

هؤلاء... أهل القيافة والعيافة... القادرون على مزج عبقريّ بين المرئيّ والراهن... بين الجميل والصحيح. لأنّهم قُسط لهم أن يناهزوا أفقًا أبعد من التاريخ وأعرض من الرؤيا.

هؤلاء الوارثون الشرعيّون للعطايا... من بخور الهند إلى نسك الصين. ومن مبدئيّة الإغريق إلى براغماتيّة روما. ومن برارة المسيحيّة إلى وضاءة الإسلام.

هؤلاء المتكابرون على جودة الشائع... فقط لأنّه سيّار. الراؤون إلى الوجود إنسانًا يصنع الوجود لأنّ عنده شيئًا يقوله. العارفون كيف تكون البنوّة للإرث الأنور البهيّ. المدلّون على الـ بارتينون والمشتافون إلى الـ أولمب يرفلون ببُرد البرفير وبمطارف الأرجوان.

هؤلاء... يدلّنا على إيوانهم واحد منهم. صلاح لبكي. هو ابن النهضة الثانية في أدب الضاد. النهضة التي كانت في عشرينات القرن الماضي تتجاوز النهضة الأولى... نهضة التاسع عشر الآخذة وثبَتها عن عصر الأنوار.

وهو ابن نعوم لبكي. أوّل رئيس لأوّل مجلس نيابيّ منتخب في لبنان، في ٢٢ أيّار ١٩٢٢، ولو أنّه مجلس تمثيليّ بلا سلطة تشريعيّة.

قدره أن يكون ابن جبل لبنان. ابن المتن. ابن بعبدات. البلدة التي كما الجبل اللبنانيّ كلّه، بلدة الدم الأزرق. والعظم الأزرق. والعداوة الزرقاء. تجاور فيها بيت اللَّبْكي وبيت لحّود.

ولكن... على نصيحة عمر بن الخطّاب لـ أبي موسى الأشعري: مُرْ ذوي القربى أن يتجاوروا ولا يتزاوروا.

وقدره أن يكون ابن الزمن الآخذ عن الغرب... روما نطيقيّةً ورمزيّة. فإذا هو في «أرجوحة القمر» يغازلهم كلّهم... من فيكتور هوغو إلى شاتوبريان. وإذا هو في «سأم» مضرّبٌ على تلاقي الحزن والفرح كما في بسمة «لاجوكوفد».

ورمزيّته... من جوزي ماريّا دي إيريديا مثلما فيها من واجهة الرمزيين الفرنسيين، بول فاليري. فالفكر أرفع من المحسوس. والاكتشاف باب من أبواب الأدب. حتى ليصير الرائع والوضعيّ في حالة تشابك مدهشة.

ما عمّر صلاح لبكي، مثل أبيه. خمسون سنة ذَخَرها بأخْذٍ هَضَمه وصَقَله وأزجاه لا ينكر عمر بن أبي ربيعة الذي عاش ثمانين سنة فَتَك منها في أربعين ونَسَك في أربعين، ولا يشيح بوجهه عن صنّاع الوثبة الجماليّة في فرنسا... ليُطلع من ذلك كلّه صلاح لبكي. الشخصيّة المستقلّة بالقلم الريّان والمعنى النَديان والقافية الحانية. فكان الثائر المتمرّد. تمرّد العنفوان، لا تمرّد العصيان. ثورة العقل، لا ثورة الفوضى.

يُذكَر... فتواكب ذكرَه كرائم. وتمشي في موكبه كرامات. كانت الـ لا عنده كما الـ نعم. لكتيهما أوان... إذا قيلت فيه، كانت كمرافعة المحامي، وسَمْوةِ الشاعر، تقيم وجودًا وتُزري بوجود.

يُذكَر... فتمرّ بالبال أطيافُ لَمَع. فـ كسروان، شقيقه، الثورة في الصحافة والمرونة في الدبلوماسيّة. وعايدة، ملهمته ورفيقة عمره، بنت سلمى صايغ، المعاتبة مرّة، والعاذرة مرّات، والنزق الطيّب الحبيب علّمها رحابة الاقتبال وسماحة السّماح. ونعّوم الحبيب، نجله، رفيقنا وصديقنا، وأيّام لنا معه بالمودّات.

ووددت، في يومه، وكلّما امتُشق حُسامُ الكلمة يومُه... وددت لو أعود إلى شيء في مطامحي: لماذا لا يكون لنا «أهل قلم»، وقد كان رئيسًا... أفيجوز أن تصير، عندنا، الكلمة... حتى هي... بنت الطائفيّة والاقطاع... فتصير الكلمة اللبنانيّة وجهًا من وجوه «المرض اللبنانيّ؟»... لماذا لا يكون «أهل قلم»، وصلاح مات حاملاً همّ أهل القلم... طليعةً تكتب لنا «الأغاني الجديدة» على غرار أغاني أبي الفرج مع لفحة التحديث ونفحة العصرنة؟

فالأدب هو الباب إلى العوالم. يفتح على الخيال وعلى الاقتبال.

❖❖❖

بمحبّة وإعجاب أحكي عنه. ابن السياسة والشاعريّة والمحاماة. ومض حلو في خاطري. يخطر، وفي برديه أناقة وصبوة إلى الحلا، وطاقات قصفتها سيرورة الأيّام من دون أن تعتصر منها مواهة.

فإذا تصوّرنا عصرًا يكون قطبه المتنبّي وفولتيره بول فاليري، يكون صلاح لبكي واحدًا من أكابر رائديه.

لتكن الجامعة... جامعة

الأب بشاره الخوري
مدير شؤون الطلاّب في الجامعة

في خضمّ الصراعات (والصراع نسق طبيعيّ في بلورة الذات أو تكوين رؤية مجتمعيّة) يبرز خطر الضياع. والمخيف في الصراعات ليس الصراعات في ذاتها أو مضمونها، وإنّما إمكان فقدان المعنى والضياع في تحديد المغزى، ما يؤدّي غالبًا إلى غوغائيّة الحركة المجرّدة من الفكر. وكما يعلّمنا التراث الفلسفيّ، فإنّ الفكر من دون كلمة غير موجود، والكلمة من دون فكر ضرب من الجنون... فالانتحار.

وفي خضمّ هذه الصراعات، نكاد نخشى أن يضيع الدور الفعليّ للجامعة، إذا ما فقدت الكلمة معناها الفعليّ ومضمونها الفكريّ وتحوّلت وسيلة دون غائيتّها في يمين الحركيّة الغوغائيّة وفي يسارها. لذا، وجب توضيح مفهوم الجامعة وإعادة المعنى إلى معناه.

والجامعة في الأصل كلمة لاتينيّة مصدرها Elma Mater أي الأمّ المربيّة Mère Nourricière، منها يشتقّ الجامعيّ Universitaire والجامعة Université.

والجامعة في بعدها القانونيّ تعني الجماعة، وبتعبير أعمق، هي «الكليّة» أي السّعي الدائم إلى القيم الإنسانيّة الجامعة التي تربطنا بالآخر بهدف الانطلاق من الذات إلى القبول بالآخر، فروق نسعى إلى وعيها ففهمها لإغناء الإنسان ولبلورة قدرته على التخطيّ.

وفي قراءة أكثر عمقًا، تقوم على اختبار الجماعة الدينيّة المسيحيّة لهذا المفهوم، غايةُ الجامعة هي الجمع، وقد وردت في الكتاب المقدّس كمرادف للحكمة حيث أَخذ سفرُ الجامعة تسميتَه من الحكمة، التي يحتويها، فتكون الجامعة بذلك خلاصة تجارب الجماعة ومعارفها ووسيلة صون تراثها وخبراتها. وتُخرج هذه المقاربة الجامعة من كلّ إطار زمنيّ ومكانيّ محدّدين لتحوّلها إلى الشمول الكونيّ العامّ، ما يحمّلها مجموعة خصائص.

وخصائص الجامعة متعدّدة بدءًا بموضوع درايتها، مرورًا بالوسائل المستعملة، وصولاً إلى غناها البشريّ أي متخرّجيها.

وموضوع دراية الجامعة يقوم على الجمع ما بين الحريّة والعلم: الحريّة ،وهي خلاصة العلم بالكينونة البشريّة، والعلم، وهو نتاج خبرات العقل والروح في تفاعلها عبر مسار تاريخيّ طويل. والجمع ما بين الحريّة والعلم يحوّل الجامعة مؤسّسة للديمقراطيّة كتوجّه وشرعة تفاعل بين الأفراد والجماعات... بين البشر.

أمّا في وسائلها، فدور الجامعة يقوم على وضع خلاصة تجارب ومعارف الجامعة في متناول الجماعة، وذلك خارج آليّات السلطة ومرجعيّاتها وإرادة السيطرة ونزاعاتها. معرفة الجامعة لا تستند في شرعيّتها إلاّ إلى المعرفة كخير معبّر عن روح المجتمع.

ولكلّ جامعة متخرّجوها، ولمتخرّجي الجامعة دور طليعيّ، وهو دور المثقّفين الذين يبحثون عن تفعيل ثقافتها في بيئتهم عبر:

- حمل الهموم التي يرزح تحتها المجتمع الوطنيّ.
- إيقاظ هذا المجتمع الوطنيّ على هموم لا يعيها. وهذا الدور الطليعيّ لا يتأمّن فقط

الأب بشاره الخوري

بتوصيف المشكلة ووعيها، وإنّما بتقديم الخيارات البديلة عبر:

- تقديم مخارج وأفعال تنمية تتوسّل تقنيّات علميّة مكتسبة ومبتكرة.

- استشراف المستقبل، سعيًا إلى صناعة المصير وتوفير كلّ إمكانات هذه الصناعة.

والجامعة، لكونها جامعة، غير معزولة عن مجتمعها، تجمع ما بين العامّ والخاصّ، ما يعني أنّ الاهتمام بالشؤون الاجتماعيّة يجب أن يترافق مع الاهتمام بالجماعة وقوائمها بالمعايير نفسها التي يقوم عليها الشأن العامّ، وذلك لأنّ التربية عنصر أساسيّ في تمتين المجتمع.

والجامعة هي عالم مصغّر (Microcosme) عن المجتمع، تعيش مع طلاّبها رسالة المواطنيّة، وتحضّر مسؤولي الغد.

وعندما أقول «عالم مصغّر عن الجماعة الوطنيّة»، أشير إلى ما يمرّ به وطننا ومجتمعنا، لأؤكّد أنّ الجامعة ليست المكان الذي يعيد إنتاج الأزمات السياسيّة التي يعيشها مجتمعنا، بل هي تعمل دائمًا للمستقبل ضمن استمراريّة تكامليّة Continuité مع عناصر تطويريّة متحرّكة، تضعها في إطار أكثر بعدًا من مجال الاختصاصات والعلوم. إنّه الإطار الشموليّ الذي يحاكي الانسان في كلّ مكان وزمان.

فالجامعة إذًا هي المكان الذي يكبر في إطاره الانسان، ويتربّى على المبادئ، والخلقيّات، والتقنيّات التي تهيّئه لأن يكون إنسانًا فاعلاً في المجتمع. لذا، فالجامعة تجمع الإنسان مع ذاته، وتجعله أكثر استعدادًا لدخول معترك الحياة التي أصبحت تتطلّب الكثير، في عالم تحوّلت فيه الرغبة حاجة، وأصبح الخوض في غمارها أكثر صعوبة، وأكثر تعقيدًا.

هذا من مفهوم الوجود الإنسانيّ الصرف. أمّا من الناحية الاجتماعيّة والسياسيّة فالإنسان الجامعيّ في حاجة لأن يكون محاورًا، مثقّفًا، منفتحًا، وليس مقيّدًا بما ورثه من عصبيّات وحساسيّات متخلّفة وجامدة.

انطلاقًا ممّا ورد، إنّ للجامعة رسالتها، ولها مسؤوليّاتها، ولا يحقّ لأحد العمل فيها خارج نطاق هذه الخصوصيّات والمسؤوليّات، مهما كانت اقتناعاته وانتماءاته.

والجامعة لا يمكن أن تعيد إنتاج تفاوتات clivages الماضي، التي تستولد الأزمات.

الجامعة هي الرائدة التي تفكّر، وتدرس، وتقود، وتربّي الأجيال وتهيّئهم لبناء المستقبل. من هنا تبرز رسالتها السامية، وتبرز استقلاليّتها التي تحرّرها من الارتهان. هذا لا يعني أنّها تقيّد الحريّات وتمنع الحقّ الديموقراطيّ، بل على العكس، غناها في توجيهها السليم، لأنّها تعلّم الشباب الحياة الديموقراطيّة البعيدة من الاستئثار والتفرّد بالرأي. إنّها تعلّمهم قبول الآخر والحوار معه، وتنشّط العمل الاجتماعيّ السياسيّ والاقتصاديّ، من زاوية عدم وقوع الوطن في لعبة تكرار الأخطاء القاتلة. لذا، من الواجب أن تبقى المنارةَ التي تستضيء بها أجيالها الشابّة.

والجامعة مكان يجمع الإنسان بنفسه ليلتقي الآخر، بعيدًا من طموحات السياسيّين وغوغائيّة أفكارهم ومبادئهم أحيانًا. إنّها المكان الذي تنصهر فيه روح الشباب، بعيدًا من الحزبيّات الضيّقة، والعصبيّات الجافّة، والانفعالات الهوجاء، والعنصريّات البائدة.

وبعد، إذا كانت الجامعة مكانًا للتّثقيف والنضج، فهي المختبر الذي يتحضّر فيه إنسان الغد، وقياديّو الوطن.

إذًا، دعوا الجامعة تجمع، ودعوا خلافاتكم بعيدًا منها، ودعوا أولادكم يستمتعون بالحياة، وبحقّهم في تحصيل المعرفة، والعلم، والنجاح، والتفوّق، والفرح، والمحبّة.

الاحتباس الحراريّ والتغيّر المناخيّ

د. حسن الشريف#

لا يقتصر التغيّر المناخيّ، الذي نشهد مظاهره الصارخة تتزايد باستمرار، على بلد معيّن أو منطقة جغرافيّة محدّدة، ولكنّ هذا التغيّر يشمل الكرة الأرضيّة بكاملها، لأنّ عوامل كبرى تشمل كلّ أنحاء الكرة الأرضيّة تتسبّب فيه، أهمّها التغيّرات الجذريّة في التيّارات الهوائيّة الكبرى وفي طبقات الجوّ من جهة، والتغيّرات الجذريّة المرافقة لها في التيّارات البحريّة الكبرى في المحيطات. وهذه التغيّرات ناتجة، بدرجة أساسيّة، من ارتفاع معدّل درجات الحرارة الإجماليّة للكرة الأرضيّة بسبب ما يسمّى «الاحتباس الحراريّ»، وأحيانًا في بعض الأدبيّات العربيّة بعامل «الدفيئة» وباللغة الإنكليزيّة «green house effect».

لنبدأ **أوّلاً** بشرح سريع لمبدأ الاحتباس الحراريّ: عندما تدخل أشعّة الحرارة- وفي حالتنا أشعّة الشمس- إلى داخل نظام مغلق- في حالتنا منظومة الكرة الأرضيّة المحاطة بطبقات الجوّ الهوائيّة المختلفة-، فإنّ النظام يحتفظ ببعض كميّة الحرارة داخله، في حين تنعكس بعض هذه الحرارة ويقوم النظام بإشعاعها إلى خارجه. ويكون النظام في حالة استقرار حراريّ عندما تكون كميّة الحرارة التي يعاد إشعاعها مساويةً لكميّة الحرارة التي تدخل النظام. وعندها تكون درجة حرارة هذا النظام ثابتة تقريبًا، مع تذبذبات طفيفة جدًّا مرتبطة بتذبذبات كميّة الحرارة الآتية من الخارج. وهذا ما كانت عليه حال الكرة الأرضيّة في التاريخ المدوّن، أي منذ حوالى عشرة آلاف سنة، حيث كانت كميّة الحرارة الآتية من الشمس تساوي كميّة الحرارة التي تشعّها الأرض إلى الفضاء الخارجيّ.

أمّا إذا كان النظام غير قادر على الاحتفاظ بكميّة الحرارة في داخله وتكون الكميّة التي تصله من الخارج أقلّ من كميّة الحرارة التي تشعّ إلى الخارج- كما هي الحال في بعض الأجرام الباردة التي تفتقد غلافًا جويًّا-، فإنّ معدّل درجة حرارة الجرم تكون أقرب إلى الصفر المطلق في برودتها. وبالعكس، إذا كانت كميّة الحرارة التي تأتي من الخارج أكبر من كميّة الحرارة التي يعاد إشعاعها، فإنّه يحدث ما يسمّى بالاحتباس الحراريّ وتبدأ درجة حرارة النظام بالارتفاع.

وكمثل عمليّ من الحياة اليوميّة، لنأخذ «البيوت الحراريّة» التي تستخدم في الزراعة؛ فالحرارة داخلها تكون أعلى بكثير من الحرارة خارجها، لأنّ غلافها- في هذه الحالة من الزجاج أو البلاستيك- يسمح بدخول الحرارة ولكنّه يمنع معظم هذه الحرارة من الخروج، أي «يحبسها في الداخل» ، فترتفع درجة حرارة الداخل عنها في الخارج.

وكان غلاف الجوّ حول الأرض يتشكّل من مجموعة من الغازات التي أدّت في الماضي إلى نوع من التعادل بين كميّة الحرارة التي تصلنا من الشمس وكميّة الحرارة التي تعود الأرض فتعكسها وتشعّها إلى خارج الغلاف الجويّ. لهذا كانت درجة حرارة الكرة الأرضيّة بمجملها ثابتة نسبيًّا. ونتيجة لذلك كان الثبات النسبيّ في الأنماط المناخيّة على امتداد الكرة، وهي أنماط تتشكّل بتأثير مباشر وأساسيّ من أنماط التيّارات الهوائيّة الكبرى في الجوّ والتيّارات البحريّة الكبرى في المحيطات. هذا الثبات النسبيّ في درجة حرارة الأرض هو الذي أدّى أيضًا إلى الثبات النسبيّ في كميّات الجليد المتراكمة عبر العصور عند قطبي الأرض الشماليّ والجنوبيّ، وهو ما ساعد أيضًا في ثبات أنماط التيّارات الكبرى الهوائيّة والبحريّة التي تتأثّر بخريطة توزّع درجات الحرارة على امتداد الكرة.

وقد بدأ العلماء يلاحظون، منذ أواسط القرن العشرين، أنّ هنالك بدايات تغيّر في أنماط المناخ العالميّ السائدة في مختلف أنحاء الكرة، وبدأوا يتدارسون أسباب ذلك، والعديدون منهم بدأوا يشيرون إلى التغيّر الملحوظ في تركيب غلاف الجوّ حول الأرض بسبب زيادة نسبة الغازات التي تحبس الحرارة (وهي ستّة أسباب، أهمّها ثاني أوكسيد الكاربون CO_2 ، والميثان CH_4، وثاني أوكسيد النيتروجين NO_2) وتنتج هذه الغازات بنسب متفاوتة من الأنشطة البشريّة، وبشكل خاصّ الأنشطة الصناعيّة (وبشكل أساسيّ الاحتراق لإنتاج الطاقة)، والزراعيّة (وبشكل أساسيّ تخثّر النواتج الحيوانيّة والزراعيّة). وأشار العلماء منذ ذلك الوقت إلى احتمالات ارتفاع معدّل درجة حرارة الكرة الأرضيّة نتيجة الاحتباس الحراريّ الناتج عن زيادة نسبة هذه الغازات. وطرح هذا الموضوع بقوّة في «قمّة الأرض» التي عقدتها الأمم المتحدة في ريو دي جانيرو عام ١٩٩٢، وصدرت «أجندة ٢١» (للقرن الواحد والعشرين) التي أوصت بالعديد من الإجراءات للحدّ من انبعاث هذه الغازات للتخفيف من زيادة الاحتباس الحراريّ، والتي تؤدّي إلى تغيّرات كبرى في أنماط المناخ العالميّ.

وعلى إثر ذلك، تمّ إنشاء لجنة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة (CSD) لمراقبة هذا الموضوع بكلّ أبعاده ومتابعة إجراءات الدول في تنفيذ التوصيات ذات العلاقة. ثمّ في التسعينات من القرن العشرين، تمّت صياغة بروتوكولات كيوتو، للحدّ من انبعاث هذه الغازات، ومن ثمّ التخفيف منها. وقد التزمت الغالبيّة الكبرى من الدول بهذه البروتوكولات (ما عدا الولايات المتحدة وأستراليا وبعض الدول الصغيرة) وبدأ تنفيذها في شباط ٢٠٠٥.

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ لجنة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة قد رصدت زيادة في نسبة ثاني أوكسيد الكربون في غلاف الجوّ بأكثر من ٣٠٪ منذ عام ١٧٥٠. كما رصدت زيادة أكبر من المتوقّع في ارتفاع معدّل درجات الحرارة للكرة الأرضيّة، حيث وصلت هذه الزيادة إلى حوالى درجة مئويّة واحدة في

يحمل دكتورا في الهندسة النوويّة، وبكالوريوس في الهندسة الكهربائيّة. حاليًّا، هو مستشار لدى المجلس الوطنيّ للبحوث العلميّة والأسكوا والمنظّمة العربيّة للترجمة وأستاذ جامعيّ محاضر. وكان شغل وظائف عدّة، ولاسيّما لدى منظّمة الأمم المتحدة. وينتسب إلى جمعيّات متخصّصة إقليميّة ودوليّة.

د. حسن الشريف

القرن العشرين (كان المتوقّع أقلّ من نصف درجة)، وبالتالي زاد الارتفاع المتوقّع للقرن الواحد والعشرين إلى ما قد يصل إلى أربع درجات مئويّة بدلاً من درجة واحدة كانت متوقّعة. وهذا يعني أنّ هنالك أخطارًا حقيقيّة ستتعرّض لها الكرة الأرضيّة بسبب التغيّرات المناخيّة العظمى التي ستنتج عن هذا الارتفاع الكبير في درجات حرارة الكرة الأرضيّة الناتج عن الاحتباس الحراريّ.

أسباب زيادة انبعاث غازات الاحتباس الحراريّ

يمكن ذكر سببين أساسيين على الأقلّ:

- الأوّل زيادة إنتاج هذه الغازات، وخاصّة ثاني أوكسيد الكربون، بسبب الزيادة الهائلة في الأنشطة الصناعيّة واستهلاك الطاقة، وبشكل خاصّ احتراق الوقود الأحفوريّ (الفحم الحجريّ أوّلاً، ثمّ النفط، وأقلّ من ذلك الغاز الطبيعيّ)؛ وهنالك زيادة محسوسة أيضًا في الأنشطة الزراعيّة، خاصّة رَوث الحيوانات وتخثّر النواتج الزراعيّة والحيوانيّة التي تنتج الميتان.
- الثاني هو التناقص المرعب في الغابات والمساحات الخضراء التي تلعب دورًا أساسيًّا في امتصاص ثاني أوكسيد الكربون وتحويله إلى أوكسجين، وموادّ عضويّة من خلال التفاعل الضوئيّ. فالتسارع البشريّ الهائل في قطع الغاباتخ المطريّة بشكل خاصّ- وتحويلها إلى مساحات زراعيّة، ثمّ إهمال المساحات الزراعيّة وتحوّلها إلى مساحات جرداء بعامل التصحّر الذي ينتشر في مساحات شاسعة في العالم، جعل العالم يفقد بسرعة مساحات خضراء كبيرة جدًّا كانت تلعب دورًا جذريًّا في امتصاص كميّات كبيرة من ثاني أوكسيد الكربون والتخفيف من وجوده في طبقات الجوّ.

لهذا، فإنّ بروتوكولات كيوتو تسعى إلى التخفيف من انبعاث هذه الغازات من جهة، وإلى زيادة الغابات والمساحات الخضراء التي تمتصّ هذه الغازات من جهة أخرى.

التأثيرات المتوقّعة

- أهمّ التأثيرات المتوقّعة للانحباس الحراريّ وارتفاع معدّل درجة حرارة الكرة الأرضيّة تتمثّل بالتالي:

١. ارتفاع مستوى سطح البحر بالنسبة لليابسة بتأثير من التمدّد الحراريّ من جهة، وبسبب ذوبان كميّات من الجليد المتراكم عند قطبي الأرض الشماليّ والجنوبيّ من جهة أخرى. وسيؤدّي هذا الارتفاع إلى غرق مساحات واسعة من اليابسة في المناطق الساحليّة، خاصّة قرب المحيطات وفي المناطق المنخفضة في العالم.

وخسارة هذه المناطق الساحليّة سيجعل ملايين من البشر يخسرون مساحات حيويّة لحياتهم وزراعتهم.

٢. التغيّر الواسع الجذريّ في الأنماط المناخيّة، ما يعني:

- زيادة الجفاف في المناطق التي كانت معتدلة وفي بعض المناطق الاستوائيّة، وخسارة مساحات زراعيّة واسعة.
- زيادة الأمطار بشكل يفوق كلّ متوقّع في بعض المناطق الشماليّة وبعض المناطق الساحليّة الأخرى، وزيادة الفيضانات من حيث تكرارها وشدّتها نتيجة لذلك.
- زيادة الأعاصير والعواصف البحريّة من حيث التكرار ومن حيث القوّة أيضًا، وامتدادها إلى مناطق لم تكن تصلها من قبل، وزيادة احتمالات تسبّبها بالفيضانات الواسعة نتيجة لذلك.
- تغيّر ملحوظ في الأنماط المناخيّة السنويّة في معظم أنحاء العالم، بحيث لا تعود الفصول المناخيّة تتواءم مع ما كانت عليه في الماضي القريب، مثل زيادة في الأمطار في الحقبات التي كانت جافّة في السابق وبالعكس. وسيرافق ذلك زيادة ملحوظة في درجات الحرارة في بعض المناطق وفي أوقات غير معهودة، وانخفاض شديد غير معهود في درجات الحرارة في بعض المناطق وفي بعض الأوقات. ولهذا كلّه تأثيرات جذريّة كبرى على أنماط الزراعات المحليّة التي تتأثّر كثيرًا بالأنماط المناخيّة السائدة. وهذا بدوره قد يتسبّب في تغيّرات جذريّة في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة لأعداد كبيرة من البشر.
- اختلال الأنماط المناخيّة سينعكس سلبيًّا على صحّة الإنسان لجهة انتشار الأوبئة وتطوّرها وعدم قدرة الإنسان على معالجتها بالسرعة المطلوبة؛ وكذلك لجهة ظهور أنواع جديدة من الميكروبات والفيروسات بأسرع من قدرة الإنسان على اكتشافها وإيجاد العلاج لها.

ما العمل؟

حدّدت بروتوكولات كيوتو ما يجب على كلّ دولة القيام به، وكلّفت لجنة الأمم المتحدة لمراقبة التغيّر المناخيّ بمتابعة تنفيذ هذه البروتوكولات. وتقوم الأمم المتحدة بشكل دوريّ بمراجعة التقارير الوطنيّة حول ما يتمّ تنفيذه، وكذلك في مراقبة التغيّرات العالميّة وإصدار التقارير الدوريّة ونشرها. وهذا ما يدفع العديد من الحكومات في العالم إلى القيام ببعض الجهد لتنفيذ هذه البروتوكولات. لكنّ هذا الجهد الحكوميّ مازال غير كاف إطلاقًا.

وإذا كانت التغيّرات المناخيّة قضيّة عالميّة تتسبّب فيها عوامل على امتداد الكرة الأرضيّة، يبقى أنّ على كلّ منّا واجبه الفرديّ أيضًا، حيث يتطلّب من كلّ منّا أن نقوم، كمواطنين، بالضغط على الحكومات في كلّ بلد للقيام بواجباتها في كلّ المجالات ذات العلاقة. وكذلك العمل الجادّ لتغيير أنماط الحياة اليوميّة التي تساهم في هذه الآثار السيئة، بحيث يسعى كلّ منّاخ كمواطن وإنسان- للتخفيف من انبعاث الغازات الحابسة للحرارة في حياتنا اليوميّة وبشكل خاصّ تغيير أنماط الحياة اليوميّة التي نعيشها للتخفيف من انبعاث غازات الاحتباس الحراريّ، وعلى الأخصّ في استهلاك الطاقة: في التدفئة والتبريد في المنازل، وفي استخدام السيّارات ووسائل النقل، وفي استهلاك الكهرباء عمومًا.

السـلام

الأمّ مونيك كيروز

كلمة صغيرة بحروفها الثلاثة، كبيرة جدًّا بمعانيها وميزاتها، نفتقدها اليوم، وكلّنا يفتّش عنها ويلهج بها وينشدها: السلام!...

حقًّا إنّ التاريخ يعيد نفسه.

فمنذ نحو ألفين وسبع سنوات، وبينما كان الانسان متعاميًا غارقًا في ظلمة أنانيّته، كما هو اليوم، صامًّا أذنيه عن صراخ الآخر، ماضيًا في ظلمة غيّه، عابثًا بحريّات الآخرين، متدخّلاً متماديًا في مصائرهم وحقوقهم الفرديّة والدوليّة، مستعبدًا أخاه الانسان بالظلم واللامساواة، وبكلمة متمّمًا شريعة الغاب، «الحقّ للقوّة يا سيّد» ، كان الحدث العجيب، حدث المحبّة والسلام على الأرض من جديد.

نعم. في صقيع تلك الليلة وفي ظلمة الكون النائم، انشقّت سماء الشرق، ووُلدت المحبّة التي لا حدود لها، وعلت أصوات الملائكة التي راحت تصل السماء بالأرض وهي تبشّر مردّدة:

المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام

وفي الناس المسرّة

هناك في بيتَ لحم، في مذود صغير، وُلدَ طفل من عذراء بتول، أتى يحمل السلام ويعيد المصالحة بين الله والناس، بين السماء والأرض، حاملاً المحبّة والفرح والسلام. فالفرح لا ينبت إلاّ في تربة السلام والطمأنينة والعدل. وهذه الأخيرة لا تنمو إلاّ بمياه المحبّة. وكلّها معًا مصابيح تستمدّ زيتها من المحبّة النابعة من ذات الله، لأنّ الله محبّة.

إنّه سبحانه، خلق البشر، ويريد لهم، على اختلاف أعراقهم وأصولهم وانتماءاتهم وقناعاتهم، أن يعيشوا هذا السلام، ويبنوا علاقاتهم الانسانيّة على صخور المحبّة وأسس العدل.

بالسلام تكون الحياة والتطوّر والازدهار والتعاضد. بالسلام توجّه جميع الموارد والجهود والاكتشافات من أجل إسعاد الانسان، ذاك القريب الذي تكلّمت عنه الكتب المقدّسة، وأوصى به الربّ جميع خلائقه الناطقة. بالسلام نعمل على كسر حلقة العنف المفرغة، وعلى نشر ثقافة السلام لا ثقافة الحرب.

إنّ الأديان جميعها تدعو إلى المحبّة والتعاطف والتكافل والرحمة والابتعاد عن الظلم والبغضاء والأنانيّة وسفك الدماء والدمار.

فأين نحن اليومَ من السلام هذا، والمدافع والصواريخ تقذف حمم الموت والدمار في كلّ أنحاء العالم؟ أين نحن من تعاليم السماء؟ أين الضمير الحيّ اليقظ؟ أين نحن من نداءات أهل الخير الداعية إلى نبذ البغض والكراهية وزرع بذار المحبّة والفرح والطمأنينة كما قال أمير الشعراء:

لو أنّهم جعلوا العلاقة في غدٍ بين الشعوب مودّةً وإخاء

ما ضرّنا لو تعود المحبّة من جديد ويعمّ السلام العالم، فتأتي الحضارة ثقافة حياة وحبّ للحياة، ثقافة بناء لا ثقافة دمار، ثقافة انفتاح على الآخر لا انطواءً وانغلاقًا، ثقافة عدالة ومساواة لا هيمنة وسيطرة، ثقافة عطاء للأجيال الصاعدة، ثقافة أنسنة الانسان وليس ثقافة الوحش الجشع الرابض في كلّ ذات.

عندئذ يعيش العالم كلّه حياة أمن واستقرار في واحة مدعاتها السلام الذي يولد من رحم المحبّة. كلّنا يقرّ ويعلم أنّ العنف مرفوض رفضًا قاطعًا، والإرهاب ممقوت ومحارب ولا وجود له في قاموس المحبّة، والحرب مرفوضة من حيث المبدأ خصوصًا بعد الذي توصّل إليه العقل البشريّ من تكنولوجيا وسلاح نوويّ إذ لم يعد من غالب ومغلوب، بل أصبح الكلّ مغلوبين مدمّرين.

إنّ الله أعطى الانسان عقلاً لكي يتقدّم ويعيش بالخير وليس بالشرّ. فلنسترجع رشدنا لنفهم أنّ الحياة قائمة على التقاسم والمشاركة والتعاون، وفرسان المحبّة يمتطون صهوة البذل والعطاء مشهرين سيوف البرّ والخير في وجه الظلم والتعسّف والاستغلال، ويجوبون ميادين الانسانيّة الحقّة التي تصدّ أعداءها بالمحبّة إذ هي أمضى من أيّ سلاح آخر في كسر الشرّ.

المحبّة أقوى من البغض، أكبر من الحقد والانتقام، أرفع من أن تنزلق في حمأة الكراهية والجفاء؛ فما بالنا نيامًا؟ وما بالنا ساكتين؟!

إنّ صناعة السلام ليست بمعضلة ولا باللغز الصعب. علينا أن نريد الخير للآخرين كما نريده لأنفسنا. بهذا تصدق النيّة وتهيمن المحبّة على القلوب، فنفهم كتبنا السماويّة ونؤمن بها ونعمل بصدق ومصداقيّة، فنجعل من المحبّة شعارنا الأكبر، ونبني جسورًا من الثقة والتفاهم بعضنا مع بعض، نابذين الأنانية والمصلحة الذاتيّة.

إذ ذاك تلتقي القلوب ويعيش الناس جنبًا إلى جنب بالطمأنينة والسلام والفرح، فتلتقي الأديان في مسارها الصحيح، ويعمل الكلّ تحت نظر الربّ وظلّه، وتعلو راية السلام والدفاع عن الحياة والوقوف صفًّا عنيدًا في وجه من يتذرّع بالدين ليبلغ غايته ومصلحته الخاصّة. نعم إذ ذاك نصرخ معًا:

فيا صَحبي... أناديكم
فمنذ اليومَ تعاهدنا
فلا عينٌ بنا تدمع
ولا نفسٌ بنا تجزع
فعهدُ الغابِ قد ولّى
فلا شرقٌ ولا غرب
جميعًا نحملُ الرايةَ
ونبني صرحَنا العالي
لينمو زنبق الحقل
وتعلوَ صرخة الطفل
سلام... سلام

أناشيد الشعوب القديمة..
حقبة ما قبل التاريخ

ترجمة وتقديم
د. أنطوان يوسف صفير

من الأدب البابليّ: نشيد الشمس- القرن الثامن عشر ق.م.

يُعتبر نشيد الشمس الموضوع على شرف الإله شمش Shamach من أروع المصنّفات في الأدب البابليّ. اللوحات التي نُسخ عنها هذا النشيد بالأحرف المسماريّة، أصابها التلف، حتّى أنّ إعادة تركيبها وترجمتها كانت شديدة الصعوبة، ومع ذلك نطرب لجماليّة هذا النشيد الغنيّ بالصور ومحسّنات البيان. فتشبيه الكلام الباطل بالغيوم جاء في تعبير رائع لجهة سموّ الفكرة وفصاحة التعبير. وقد يُضاهي هذا النشيد الأناشيد الكنعانيّة والعبريّة.

..«القممُ العالية متوّجةٌ بمجدك. ونورُك يُضيء بلاد السهل المنبسط. أنتَ تملك على الجبال، ونظرك يجوب الأرض. أنتَ ترسم حدود الكون في عمق أعماق السماوات. سكّان الأرض أنت تسهر عليهم وتحمي منجزات الملك Râ. أنتَ تؤمّن للكائنات الحيّة أُكُلَها. نعم! أنت الراعي لكلّ ما هو تحت الأرض وفوقها. أنت العليم بمخطّطات البشريّة المعبَّر عنها في جميع اللغات، وتعرف منجزاتها. البشريّة بأجمعها، أنظارها مصوّبة إليك. أيّها الإله «شمش» ! الكون يتطلّع إلى بهاء نورك. أنت تهزم مساعي مَن يسيءُ إليك، وتهدم بيت كلّ الظالمين، وتجازي بالسجن تعسُّف القضاة وظلامات الحاكم الفاسد الشرّير.

أمّا الصلاّح غير الفاسدين، المدافعون عن قضايا المتواضعين، فهم ينعمون بعطاياك، أيّها الإله «شمش» وتطول أيّامهم. الحاكم الذي أوامره تنبع من ضميره، يبني له قصرًا، ومسكنه بين مساكن الأمراء. الذي يظلمُ أتباعه يُكتبُ اسمه في لوائح عدلك. فاعلُ السوء حبّاته لا تنبت. أمّا الذين ألسنتهم تتفوّه بالإثم فهكذا تجازيهم: تحرق أقوالهم في أفواههم. أنت تسمع صراخ المظلومين، فتأتي إليهم وتعيد لهم حقوقهم. تُمسك بيدك كلّ إنسان وكلّ شيء. تصغي، أيّها الإله «شمش» ، إلى دعاء ومديح وأنين من يسجدون لك راكعين.. بملء أصواتهم يتضرّع إليك التعساء: الخاطئ والضعيف، المعذّب والشقيّ يأتون إليك مع نشيد ضناهم وتوسّلاتهم.. أنت الغافر المسامح لمن يحني ركبتيه أمامك، وتقبل مديح مَن يمجّدونك لأنّهم مسكونون بمخافتك واسمك يمجّدون.

الذين ألسنتهم لا تعرف لغة العقل ويتفوّهون بكلام باطل، كلام لا وزن له ولا قيمة، كالغيوم التي تمرُّ فوق مساحات الأرض الواسعة وتستريح على قمم الجبال. الإله جفّوٌ يهزمهم ومعهم الذين يزرعون الإرهاب.. ثمار البحر وكلّ ما يتأتّى من الأعماق مكشوفٌ في حضرتك. أيّها الإله «شمش» أين هي الجبال التي لا يجلّلها بهاؤك والأمكنة التي لا تضيئها أشعة نورك؟..»

في الأدب السومريّ: أناشيد سومريّة: نحيب ومرثيّات

إنّها أناشيد في رثاء المدن السومريّة وخرابها جرّاء تحامل أعدائها الإلاميين Les Elamites وتاريخها السياسيّ المضطرب. قليلة هي مدن سومر التي لم ينزل بها الخراب حتّى غدا رثاء المدن الغرض الرئيسيّ في الشعر السومريّ.

سقوط العائلة الثالثة من سلالة أور Ur والقبض على ملكها Ibbi-Sin من قبل الإلاميين هما موضوع هذه الأناشيد، ومنها نقتطف:

«.. يوم تحقّق لهم النصر وقلبوا النظام، عندها كالطوفان جاؤوا ودمّروا كلّ شيء بلمحة بصر. أهكذا، يا سومر، بدّلوا وجهك وغيّروك؟ من الهيكل طردوا سلالتك المقدّسة. هدموا الهيكل وقوّضوا أساسات المدينة.

انتزعوا حكم البلاد: بتعليمات Enlil إلههم، قوّضوا النظام؛ وبعبقريّة Aru المهرول على الطرقات، انتزعوا الحكم. وعندما حوّل Enlil أنظاره شطر أرض غريبة، جندلوا Ibbi-Sin رهينة إلى بلاد الإلاميين».

في الأدب المصريّ: من أناشيد النيل والشمس

نشيد النيل

.. هذا نشيد النيل العائد إلى حقبة ملوك الهكسوس في مصر. وهو، بالمقارنة مع أناشيد سومر والبابليين، أقلّ إبداعًا وخيالاً.

«.. كلُّ المجد لك أيّها النيل! تتفجّر في باطن الأرض، وتروح تروي أرض مصر. أنت الذي تسقي المروج التي خلقها الإله «را» Râ غذاءً للماشية.

أنت تروي متاهات الصحراء البعيدة عن كلّ ينبوع، بالندى المتساقط من أعلى السماوات. أنت المختار من إله الأرض! يا سيّد الأسماك ومجاري الأنهر حيث تكثر طرائد المياه.. أنت تنبت عشب الشعير والقمح، فتسمح للهياكل أن تحتفل بأعيادها. لو أُهمل النيل وانعدم لغارت الحياة وهلك البشر وغدا الآلهة إلى نقصان والناس إلى هلاكٍ بالملايين».

نشيد الشمس لأخناتون

.. إنّه تعبير عفويّ عن عرفان بالجميل للشمس وجمالات الكون. ليس فيه العمق الروحيّ كما في أناشيد بابل. بيْدَ أنّ فيه فرادةَ السحر لما ينطوي عليه من الغبطة والفرح.

«.. لفجرك الطالع روعة الآلهة في أفق السماء. أنت يا أتون Aton الحيّ بدايةُ كلِّ حياة. غداة تطلع في المشرق بهيًّا في كبد السماوات، تغمر الكون بجمالاتك، لأنّك الروعة والعظمة وتشرق أنوارك عاليًا فوق الأرض.

تغمر الكون بأشعّتك وكلّ ما خلقت. أنت Râ. حبست الكلّ سجين عظمتك وملأت الكون بحبّك.. بالرّغم من كونك بعيدًا، بعيدًا جدًّا، فأنوارك هنا تملأ الأرض. ورغم كونك عاليًا، عاليًا جدًّا، فالأيّام هنا أثارُ خطاك.

متى تختفي في الأفق الغربيّ من السماوات، تلفّ الكون ظلمات كما الأكفانُ جسدَ الميت.

هم يرقدون في غرفهم. رؤوسهم مكسوّة. أنوفهم مزكمة ويجهلون بعضهم بعضًا. كلّ مقتناهم وما يسندون إليه رؤوسهم انتزع منهم دون علمهم... الأسود تخرج من أوجارها والحيّات تسعى إلى فريستها.. الظلمة تملك والكون يظلّ صامتًا. لأنّ الذي خلقها مضى يستريح في الأفق الخاصّ له.

وضّاءةً تصبح الأرض عندما تنهض أنت عند الأفق. وغداة تشرق، تختفي الظلمات، فالشجر ينمو وكذا النبات، وفي المروج تستريح الحيوانات، وعلى ضفاف الماء ترفرفُ العصافيرُ وأجنحتها صاعدة إليك في فعل عبادة. الخراف تنهض في خطى موسيقيّة، وكلّ مجنّح يطيرُ طافرًا إليك. المراكب تتهادى في الخلجان، وكلّ الدروب تنفرج واسعةً لأنّك أشرقت، ويقفزُ السمك في الأنهر أمامك، وأشعّتك تنزل إلى أعماق البحار.

أنت الذي تخلق الطفل من الرجل في أحشاءِ أمّه حين ترمي بذار الحياة في الرجل. أنت من يعطي الحياة للرضيع في جسد أمّه. ويوم ينعتق بالولادة من جسدها، تفتح فمه للكلام وتتولّى كلّ حاجاته. كثيرةٌ هي أعمال برّك، وإنْ مخفيّة عن ناظرينا. أنت أيّها الإله الأوحد الذي لا يمتلك سلطانه أحد.

جدار تلو جدار

الطالب وسام قسطنطين
السنة الجامعيّة الثانية
Medical Laboratory Technology

حتّى السنوات القليلة الماضية، لم يكن الأصمّ شبه معزول في المجتمع اللبنانيّ فحسب، بل كان أحيانًا متروكًا من أهله. وبسبب قلّة الوعي في مجتمعنا، كان هناك عدد من الصمّ يمضون معظم أوقاتهم على الطريق، وعدد آخر منغلقين على أنفسهم وحيدين، وذلك نتيجة خوف الأهل وعدم معرفتهم بكيفيّة التعامل معهم. إلاّ أنّه كان هناك عدد من الأهالي الذين حاولوا بشجاعة أن يتكيّفوا مع وضع أبنائهم الخاصّ. ولكن، للأسف، لم تكن الوسائل المناسبة والمساعدة المحترفة والتشجيع متوفّرة لهم، على عكس ما كانت الحال مع أبي وأمّي.

إسمي وسام. أصمّ، أعاني مشكلة في السمع. ولكنّ والدي نديم قسطنطين وفّر لي كلّ الوسائل الممكنة للتعويض عن هذا النقص، فملأ المنزل بكتب مختلفة، وشجّعني على المطالعة، وعلّمني كلّ ما تلزم معرفته، شأنه شأن والدتي، ريفا حايك قسطنطين، التي كانت تجلس بقربي تترجم لي البرامج التلفزيونيّة غير المترجمة، وتُفهمني ما يدور في المناسبات والزيارات العائليّة. فلقد وفّرا لي كلّ الحنان والحبّ والعاطفة. ولطالما قال أبي: «إذا كان عندك ولد فيه إعاقة جسديّة (الصمم، العمى، الشلل...)، وأعطيته كلّ ما يلزم من الحبّ والاهتمام، فسيصبح إنسانًا سليم العقل والأخلاق. أمّا إذا كان ولدك طبيعيًّا ولم تعطه هذا الذي يلزم فسيصبح معاقًا نفسيًّا وأخلاقيًّا». وعمد والدي ووالدتي إلى فتح أبواب القلب والمنزل لي ولأخوتي إلى أقصى حدود. وزوّدني جدّي وأخوالي بما صرت أعرفه في الرياضيّات والفيزياء والمعلومات العامّة، فيما زوّدتني جدّتي بدروس في القيم والأخلاق والقصص المعبّرة.

وهكذا، مُزَوّدًا بكلّ الظروف المناسبة، نشأت وكبرت وكلّي عزيمة بأن أتخطّى الصعوبات في هذا العالم القاسي الذي لا يرحم أحيانًا، وأحطّم الجدار تلو جدار!

عندما أنهيت دراستي الثانويّة، اقترح كثيرون أن أتابع دراستي في الخارج، ولكنّني صمّمت أن أتابعها في لبنان، في وطني وقرب عائلتي، مع العلم أنّ في الخارج جامعات متخصّصة للصمّ أو جامعات عاديّة فيها متابعة خاصّة لهم، وليس جديدًا عليهم أن يتابع الأصمّ تحصيله العلميّ (الولايات المتحدة، كندا، أوروبا...) بينما من الصعب على الأصمّ اللبنانيّ أن يتابع تعليمه حتىّ بعد الشهادة المتوسّطة. بعد البحث والتفكير الطويل، قرّرنا أن أتابع تعليمي في جامعة سيّدة اللويزة (NDU). فنجحت في امتحان الدخول، وحطّمت الجدار، وأصبحت أوّل أصمّ في جامعة في لبنان.

هذه التجربة الجديدة والفريدة من نوعها أعطتني معنويّات عالية، وإيمانًا وثقةً بأنّ كلّ شيء ممكن في الحياة. وإليكم التفاصيل.

الصفوف

في أوّل يوم دراسيّ، كنت مرتبكًا لأنّني في عالم جديد غريب بكلّ ما في الكلمة من معنى. كان قلبي يدقّ بقوّة مثل قلب أيّ إنسان يعيش مغامرة. وهنا لا بدّ من الكلام عن Dr. Christophe Tratrat الذي ساهم كثيرًا في تشجيعي. أذكر ذلك اليوم الذي كنت أدخل فيه الصفوف لأوّل المرّة. كنّا نوضح لكلّ معلّم، أستاذ طوني صابر (صديق والدي) وأنا، بعض الأمور التي تجب مراعاتها في الصفّ تمشّيًا مع ظروفي.

عندما بدأ صفّ الكيمياء، وتأخّر أستاذ طوني في الوصول، قلقت ودخلت إلى الصفّ حائرًا. بدأ Dr. Tratrat الكلام بسرعة، وهو يتمشّى يمينًا وشمالاً بطريقة كان من المستحيل عليّ معها أن أقرأ شفتيه، ولا هو كتب شيئًا على اللوح؛ فتعذّر عليّ التقاط أيّة معلومة. بعد انتهاء الحصّة، توجّهت إليه وقلت: «عذرًا. لكنّني أصمّ». قبل أن أكمل كلامي قاطعني: «لا تهتمّ، سوف أتكلّم على مهل وأكتب كلّ شيء على اللوح وأقف أمامك». وبدأ في إعادة ما شرح. صُدمت وكأنّني لا أصدّق ما يحصل. ثمّ تشجّعت وزال عنّي التخوّف والاضطراب، وصار أن كلّما واجهتني مشكلة في فهم درس ما، وأحيانًا في مادّة أخرى لا يكون هو المشرف عليها، يقدّم لي من وقته ويشرحها لي. وهنا أودّ أن أشكره على وقته وصبره.

ولا يمكنني كذلك أن أنسى معلّمة الانكليزيّة Miss Diane Samrani، التي عملت كلّ ما في وسعها لأتكيّف وأندمج في الصفّ. فكانت تقف قربي وتدلّ على الجملة التي يقرأها زملائي وتعطيني فرصة لقراءتها، فضلاً عن تحضيرها لتمارين إضافيّة أقوم بها وتصلحها. إنّ ذلك ليس سهلاً عليها بالتأكيد. لكنّها كانت تقوم به بفرح. وغالبًا ما كانت تسمتع إلى صعوباتي وتشجّعني. فشكري الكبير لها!

أمّا مادّة البيولوجيا، والتي هي من أصعب صعوباتي، لأنّ المعادلات والعبارات فيها قصيرة، وفيها الكثير من المعلومات، فطبيعيّ أن يبدأ الدكتور في الشرح شفهيًّا، وطبيعيّ أن يتكلّم من دون كتابة أيّ شيء على اللوح. هذا الأمر صعّب عليّ استعيابي للمادّة، وألزمني بمجهود مضاعف حتّى تمكّنت من فهمها. فلا بدّ بالتالي من شكر د. كابريتا بوسرحال ود. جعلوق على كلّ مجهود كي يتواصلا معي. من الصعب الدخول في تفاصيل كلّ الموادّ. ولكن من الضروريّ شكر كلّ المعلّمين على المجهود التي يقدّمونها في الصفّ، وعلى الوقت الذي يخصّصونه لي في مكاتبهم.

بالنسبة للموظّفين، العلاقة معهم كانت دائمًا ممتازة، لأنّهم يوفّرون وسيلة للتواصل معي: أحيانًا عبر الحكي الواضح، أحيانًا عبر الكتابة، وأحيانًا عبر الإشارة البسيطة... بصراحة، لم أواجه مشكلة قطّ في التواصل مع أيّ من الموظّفين أو الاداريّين.

الأصدقاء

أوّل ما دخلت إلى الجامعة، واجهتني صعوبات في التواصل مع الناس، ولاسيّما أنّ عددًا كبيرًا منهم يلتقون بشخص أصمّ لأوّل مرّة في حياتهم. تصوّر نفسك تلتقي أحدهم، تكلّمه ولا يفهم، يكلّمك ولا تفهم؛ فقد تراودك للوهلة الأولى أنّه ربّما يعاني مشكلة في دماغه. استنتاج طبيعيّ. ولكنّ السؤال هو: لو أنّ هذا الشخص لديه مشكلة في عقله فعلاً، هل كنت لتلتقيه طالبًا في الجامعة؟؟

وهكذا، كنت ألتقي طلاّبًا لارتباكهم يتجنّبون الكلام معي. وهذا شيء طبيعيّ. أنا لا ألومهم. ولكنّني أقول لهم: أعطوا أنفسكم الفرصة، فالتعرّف إلى أشخاص مختلفين (أصحاب حاجات إضافيّة) تجربة إنسانيّة مميّزة وثقافة فريدة، كما يقول الدكتور عبدو القاعي.

إليكم هذه الحادثة البسيطة التي تجمع نموذجين من الطلاّب (البشر عمومًا): أذكر أوّل صفّ بيولوجيا مع د. جعلوق. كنت مضطربًا، لأنّني كما قلت لديّ صعوبة في هذه المادّة. أثناء الشرح، لم أتمكّن من المتابعة، فسألت الصبيّة الجالسة بقربي، ارتبكت ولم تجب، وتجنّبت الجلوس بقربي مرّة ثانية طوال الفصل. تضايقتُ كثيرًا وقلت في نفسي: هذه مشكلتي أنا، ويجب أن أجد حلاًّ. في اليوم التالي، جلست وحيدًا. وفجأة أتت صبيّة «كتير حلوة» وجلست بقربي. لكنّني انطويت على نفسي ولم أجرؤ على أيّة حركة. عندما بدأت الدكتورة الشرح، لم أتمكّن من المتابعة، فقرّرت قراءة كلّ شي في الكتاب أمامي. لاحظت الصبيّة أنّني لست في الجوّ، فمالت صوبي ودلّتني على المقطع الذي تفسّره الدكتورة. في نهاية الصفّ حاولتْ أن تتواصل معي، فكتبتْ على ورقتها أنّ اسمها رنا (السعيد) وأعطتني دفتر ملاحظاتها حتّى أنقلها وأدرسها. أشكرها على هذه المبادرة الطيّبة التي أعادت لي الأمل بالتعرّف إلى طلاّب متعاونين. (في أميركا مثلاً، لكلّ شخص من ذوي الحاجات الإضافية طالب مرافق تؤمّنه له الدولة).

من أهمّ هؤلاء الطلاّب المتعاونين صبيّة «مهضومة» وضعتها العناية الإلهيّة في دربي، هي سينتيا القدّوم. فنحن ندرس الاختصاص نفسه، ونتلاقى في معظم الصفوف. سينتيا قدّمت ولا تزال كلّ مستطاعها لكي أتمكّن من المشاركة في الصفوف: ترجمة كلّ ما يقوله الدكتور على الدفتر، وفي بعض الأوقات هي صلة التواصل بيني وبين الدكاترة، وفي أكثر الأحيان تقدّم من وقتها وتشرح لي ما لم أستوعبه. شكرًا سينتيا!

كذلك الشكر الكبير للآنسة رنا قرطباوي التي عرّفتني مع سينتيا على العمل الرعويّ الجامعيّ (Pastoral). باستورال استقبلني بشكل رائع. والدعم الروحيّ الذي آخذه من الآب فادي بو شبل مهمّ كثيرًا بالنسبة لي. هو دائمًا يصغي لي إذا كان عندي من مشاكل اجتماعيّة ودينيّة، ويقدّم لي النصائح، ويحاول دائمًا إيصال المعلومات إليّ أثناء الاجتماعات. كلّ الشكر لإخوتي في هذه المجموعة، لأنّهم استقبلوني وحاولوا بكلّ إمكاناتهم التواصل معي ولو بطرق مختلفة. لا أنكر وجود صعوبات في التواصل، لكنّنا دائمًا نجد السبيل. وهذا شيء رائع.

أكثر ما أحببته في هذه المجموعة المميّزة، رغبة الشباب والصبايا في أن نترافق في مشاريع خارج الجامعة، خصوصًا عندما يدعوني ويصرّ على حضوري صديقي المميّز فرانسوا ناضر، وهو أمر أقدّره من أعماق قلبي. لماذا؟ لأنّه أهون على الشبّان والصبايا أن يترافقوا أو يسهروا مجموعة مستمتعين؛ إذًا لن يضطروا لأن يترجموا لي الأحاديث أو يخفّفوا من سرعة كلامهم أو يفتّشوا على ضوء حتّى أتمكّن من قراءة شفاههم. أما كان أهون عليهم أن يستمرّوا مجموعة كما كانوا من دون أن يضطروا إلى تغيير بعض تصرّفاتهم وعاداتهم حتى أندمج معهم؟!!!

جرعة دعم وتشجيع لا أقدر أن أنساها كانت بتاريخ ٢٣ آذار ٢٠٠٧ من د. يوسف الحاج (عميد كليّة العلوم الطبيعيّة والتطبيقيّة) عبر رسالة وزّعها بالبريد الألكتروني على جميع الأساتذة والإداريين والموظّفين في الجامعة، قدّر فيها وثمّن نجاحي، وطلب منهم تقديم كلّ مساعدة ممكنة لي.

وقبل الختام، تبقى التجربة التي طبعت دخولي الحرم الجامعيّ، ألا وهي علاقتي مع د. زياد فهد (المدير المساعد لمكتب شؤون الطلاّب)، الذي، ومن بعد أن كان في لقائنا الأوّل من الأشخاص المتردّدين حيال تجربة دخولي الجامعة، أصبح اليوم الداعم الأوّل والرئيسيّ لي. وهو، من خلال لقاءاتي الدائمة واليوميّة معه، يسمعني ويشجّعني ويذلّل كلّ الصعوبات التي تواجهني. فتجربته هذه معي أخبرها بكلّ فرح، وبكلمة مميّزة كانت بمثابة شهادة معبّرة ورائعة منه أمام الحضور في حفلة تخرّجي واستلامي شهادة البكالوريا (التي تأجّلت سنة بسبب حرب تمّوز ٢٠٠٦).

والشكر الدائم يبقى للصديق والجار والأخ الأستاذ طوني صابر، الذي يعطيني وجوده الشعور بالأمان، وبأنّ هناك شخصًا مستعدًّا دائمًا لأن يستجيبَ لحاجاتي أو حتّى أن يرافقني عندما يكون عندي أيّة صعوبة.

وفي الختام، أودّ استذكار شعار جمعيّة «أولياء الصمّ في لبنان»، التي أعرف جيّدًا فرحها بنا أنا وزملائي الصمّ، وأقدّر عاليًا كلّ ما تقوم به: «أنا أصمّ يعني ما بسمعك، الفرق بيني وبينك إنّي بفهمك بلا ما إسمعك».

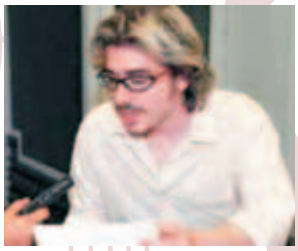

بين بيتهوفن والزبّال

الطالب أحمد قرقناوي
قسم العلوم الموسيقيّة
السنة الأخيرة

ما انفكّت تشغل أفكاري تلك الجدليّة العقيمة، والأسئلة المُحبطة: ما الذي أفعله أنا كمؤلّف موسيقيّ ومتخصّص في العلوم الموسيقيّة في هذا العالم؟ بماذا أنا قادر أن أفيد البشريّة؟ كلّما شاهدت أخبار الساعة الثامنة غدوت أفكّر: هل إذا ألّفت لأطفال الجنوب بيانو سوناتو سيفرحون؟ هل إذا ذهبت إلى فلسطين وعلّمتهم الفرق بين نغمتي السيكا والبياتي سينتهي جوعهم وشقاؤهم وألمهم؟ وكلّ حين وآخر تطرأ أمام عينيّ تلك الصورة السرياليّة الساخرة، فأرى نفسي في وسط تفجير في بغداد، وسط صيحات الثكالى وأنّات الجرحى، ولا أجد ما أقوله أو أفعله، إلاّ أن أغنّي لهم «الورد جميل!» أو أشرح لهم الأبعاد الفكريّة والفلسفيّة والنفسيّة لرائعة ريتشارد شتراوس «هكذا تكلّم زرادشت». هذا كلّ ما أتقنه في الحياة!

مع مرور الوقت بدأت دائرة الجدليّة تتّسع، فصرت أفكّر بمعلّمي عالم الآثار البروفيسور إدموند موسى الذي يُتقن ما يزيد عن عشر لغات بائدة. هل لو أرسل إلى سماحة السيّد حسن نصر الله رسالة بالهيروغليفيّة، ولرئيس مجلس الوزراء فؤاد السنيورة رسالة بالمسماريّة تنتهي الأزمة ويستقرّ لبنان؟

أخيرًا، وصلت إلى قناعة أنّ إخواننا من عُمّال النظافة هم أقدر على خدمة الإنسانيّة منّي، وتمنّيت لو أنّني عرفت هذا قبل فعملت زبّالاً. اخترت أن أكون زبّالاً لأنّني أضعف من أن أكون طبيبًا. ففي رأيي عامل النّظافة والطبيب هما المهنتان الأنبل على وجه الأرض. وبناء على هذا، فإنّ أيّ زبّال هو أهمّ من بيتهوفن. تسعون في المئة من العالم لا يعنيهم بيتهوفن، بينما إضراب عُمّال النظافة لأسبوع يعني كارثة بيئيّة لا يستطيع إنقاذنا منها إلاّ الأطبّاء. فأين قيمة بيتهوفن في سيناريو كهذا؟

استقرّيت على هذه القناعة المؤلمة مدّة من الزّمن، ولكنّها ظلّت تبدو لي- رغم منطقيّة التحليل- غير منطقيّة، ولكنّني مضطرّ إلى قبولها ما دام رُشْدي لم يهدني إلى قناعة أرسخ.

في يوم من الأيّام أصابتني نوبة زكام، فقدت خلالها حاسّة تذوّقي، ولم أعد أستمتع بالأطعمة التي لطالما كنت أحبّ. اقتربت لأقبّل حبيبتي، فلم أشمّ رائحتها التي كان قلبي يخفق كلّما شممته، وتفاجأت أنّ جُلّ متعة القُبلة يكمن في رائحة الحبيب!

لطالما كانت أمّي تضع عطر ياسمين خفيفًا، وكنت كلّما شممت عطرًا يُشبهه، يهفو قلبي لأقبّل جبينها، فأتّصل بها لأقول لها كم اشتقت إليها.

رحت أفكّر، ماذا إذا استيقظ العالم كلّه وقد فقد ذاكرته؟ ماذا إذا فجأة نسينا أسماء أحبّائنا، وألوان عيونهم، وروائح أجسادهم؟ ما قيمة الحياة من دون ذاكرة؟ ماذا إذا نسي العاشقان الأغنية التي رقصا عليها أوّل مرّة؟ أو الأغنية التي تبادلا على أنغامها أولى قبلاتهما؟ ماذا إذا نسيت الشعوب الموسيقى التي تذكّرهم بأوطانهم، بطفولتهم، بأهاليهم، بأحبّائهم؟ أيّ بؤس يكون هذا؟

الإنسان ذاكرة، وذاكرة الإنسانيّة فنونها. وحدهم الفنّانون يهبون الإنسانيّة ذاكرتها، ويجعلون من الجغرافيا الصمّاء أوطانًا.

بيتهوفن لم يكن ألمانيًّا! بل ألمانيا هي بيتهوفن.

أعتذر منك يا بيتهوفن إذا قارنتك بطبيب قد يكون قادرًا على تأخير الموت ساعة، وغالبًا يعجز!

صِنِّيْنُ الأُرْجُوان

د. أمين ألبرت الريحاني

في زحمة الانشغال اليوميّ الهارب وجدتني على شرفة وادي الفريكة، أمام صنّين، وكأنّني للمرّة الأولى أقف أمام مهابته ووقاره. وفي أصيل ذلك اليوم، سمعتني أخاطبه، وكأنّه الكلام الأوّل الذي بلا مقدّمات ولا سابق تصميم؛ فكانت هذه السطور على دفتري العفويّ وأوراقه العاجيّة الأنيقة.

مُنْذُ زَمَن
تسلّقتُ هضابَكَ قبل الفجر
افترَشْتُ قِمّتَكَ مع مطلع الشمس
رَسَمْتُ أشكالَ أحلامي الطريدة
كَتَبْتُ فيكَ شبهَ قصيدة،
ومنذ زمن
تتربّعُ على عرشِكَ حيثُ أنت
لا تَهزُّكَ القصائد،
لا تَبهَرُكَ الدواوين، ولا تُغريكَ الطرائد.
منذ زمن
تَربضُ حيثُ أنت
تُراقِبُ من بعيد قوافلَ الناس والأشجار
تُراقِبُ، لا تَهزُّكَ العواصف
لا تُبَلِّلُكَ الأمطار.
كلُّ الحكاية
أنّكَ تَعْرِفُ كَيفَ تَنْسَحِبُ خلفَ الغيوم،
خلفَ ديمةِ الأماني الشريدة
فصلَ الشتاء
لتتجلّى بثوبكَ الملكيّ،
بردائِكَ الناصِعِ البياض
فصلَ الربيع.
كلُّ الحكاية
أنّكَ لا تكشِفُ عن وجهكَ الحقيقيّ
إلاّ بعدَ أن تطلعَ ورقَةُ الكرمة

ويَمرُّ موسمُ اللوزِ الأخضر
ويستوي العنقود
ويتدلّى نُسغُ الصنوبر.
عندها تُهدينا الشمسَ مع الصباح
تُهدينا نوراً تَرُشُّهُ بَخوراً بين التلال
في بُرهَةٍ نورانيّة
في لحظةِ المُحال.
ويمرُّ بجلاله السكون،
يمرُّ هادراً في صمته
صارخاً في سكونه
يتباركُ من قَدَمَيك
يتناغمُ ورياحَ وَجْنَتَيك
يتوغّلُ بين الجبال
يُتقِنُ معنى القداسة،
معنى الخشوع والوقار
معنى الصمودِ والسكونِ والحماسة،
يبنيها جسراً لكلّ دار.

قبيل المساء
يرتدي صنّينُ حُلّتَه الأرجوانيّة،
يرتدي قِمّةً جرداء
قِمّةً رابضَةً مُرابطَة
قِمّةً شامخةً أرجوانيّة،

تُحَدّق فتمُرُّ أمامَكَ ظلالٌ كثيفة
وتحْتَشِدُ وفودٌ من الألوان:
ألوانِ الروح الحزينة
وألوانِ الكآبةِ المكابرة،
ألوانِ القوّةِ والجَبَروت
وألوانِ الحُبِّ الذي لا يموت.
ويستمرُّ موكبُ الألوان
يستعرضُ أمامكَ فُنونَه المُلَوّنة
بِلَوْنِ الوَجَعِ والانْكِسار
ولَونِ الجُرحِ العميق،
بِلَوْنِ الغَلَبَةِ والانتِصار
ولَوْنِ طائرِ الفينيق،
بِلَوْنِ الرّمادِ المُقَدّس
ولَوْنِ الغَمام،
بِلَوْنِ الغاباتِ الكئيبةِ الكثيفة
ولَوْنِ هَجْعَةِ الليلِ الأليفة،
بِلَوْنِ العَشِيّةِ الواعدة
ولَوْنِ الأحلامِ الساهِدة،
لِيَنْتَهي بِلَوْنِ اللّيلِ الأَلْيَل.
ويُسْدَلُ السِتار
على مشهدٍ جديدٍ للوَقار
على رهبةٍ أخرى للسكونِ والدُوار
على ذُرى البَيلَسان
على صنّينَ الأُرْجُوان.

د. وديعة- نبال الأميوني

عيد آخر

عيدٌ آخرُ
في بريق أعين
تلهو بحجارةِ الورد
تنامُ فوق خدودِ الشعر...

يومٌ آخرُ
تنبعثُ الأمواجُ
في لونها الأرجوانيّ
أسفارَ طيرٍ فينيقيّ
يَطلُعُ من رمادِه..
تباركُ سفنًا
من تراثِ الدمِ الصوفيّ
فينامُ قدموس
وتزهرُ يداه ألفَ حرفٍ
وحرف...

يومٌ آخرُ
تفوحُ رائحةُ العطر
من أعمدةِ الروح
ويزهرُ مَثوى حيرام
ألفَ حكايةِ عزٍّ ومجد
وتَتحاكى الأصواتُ
ممّن رحلوا
كأسطورةِ نغم
لا تشبهُ النغم...

يومٌ آخرُ
وسنةٌ بعد سنة
نضيفُ ألْفًا
ونعبرُ جسرًا
فوق حقولٍ سمراء
نركضُ نحو السماء
وأطرافُنا تلامسُ الأرض...

هكذا،
تتواصلُ آلهةُ قرطاج
وصيدون
هكذا نصبحُ ذاتًا
تفوحُ منها رائحةُ البحر
ومعابدُ البخور
فيَختزلُ عمرُنا
عمرَ الحضارة
وأوراقَ التاريخ
وأجسادَ الملوك...

عيدٌ مجيد

تكتبُ العيدَ أغنيةً وأنتَ ترصُد
القمر من خلالِ أوراقِ الشجر...
تُلامس بريقَ الشمس وتَنبتُ
كالعشب بين الصخورِ صامتًا...
أشبَهُ فيك صوتُ الشتاء صارخًا
كهالةِ أسرار الحياة وانقشاعِ شعاع
القمر في حاضرِ النهار... تسافرُ
فوق البحار طيفًا، يعود فينحني
أمامنا كبرياء...
تشتاق إليك لدغةُ الجمال ولحنُ
نسيم السنابل ...

غريبٌ أنت عن المدينة في ليلِ
هذا العيد... تضحكُ في ساحاتها
ساخرًا... عارفًا أنّه ليل «نجمة
الصبح»، الممتلئ طهرًا على مقربة
الكفر الدنيويّ...
تَنهّدْ، إنّه ليلُ المساكين الأقوياء
الآتين مع نورِ الكواكب وشفاه
الروح ...
تنهّد، فالنُعاسُ أسكرَ جفونَ
الكون، والنّبيذُ في الخوابي
ينتظر...

إضحكْ في سرِّ ظنونِك... فالكلُّ
عاد إلى كوخه راكعًا، منطويًا حولَ
جسده... يتوسَّلُ رداء هذا الليل
المجيد، ليَلبسَ من أطرافه ثوبًا،
عساهُ يصحو على رنينِ الابتهاج.
وأنتَ...
أنت تبقى صاحيًا ؟بدًا، تهمسُ في
أذُنِ الروح، تُخبِّر عن أريجِ الزهور،
العابقةِ برائحةِ المطر...

د. يوسف عاد

وطني

وطني الكرامة
والنيافة
والفخامة
والسعادة
والبداوة
والربى
والمنظر الخلاّب، والكون الكبيرْ

وطني ملوك الحرب، أو أمراؤها
تجّارها
نوّابها
وزراؤها
خصيانها
نوّامها
قوّامها
يستنفدون الشعب، يهجون
الحمى
يتسلّطون على الفقير
وينهبون المستنيرْ

وطني الظلامة للفقير
وللمقمّط بالسرير
وللغبيّ المستطيرْ
هو حاجة للكلّ، لكنْ
أين أملاك الفقيرْ
وحدود صنّاع المصيرْ
وكرامة الشعب المعفّر بالمسيرْ
وضرائب الشعب النميرْ
بالمال يحيون الموائد للكبير
وللصغيرْ
فالحاكم المخصيّ يركب شعبه
ويسوقه عند النفيرْ

في الاحتفال بكتاب الأب فادي بو شبل
القدّيسة ريتّا.. الأمّ التي صارت راهبة

في الليلةِ، قبل أن يسلّمَ تشرينُ الأوّل روزمانةَ الأيّام إلى تشرين الثاني، تَجمهرَ بَنو ريتّا حول أخٍ لهم هو الأب فادي بو شبل، وكان بيده كتابه: القدّيسة ريتّا- الأمّ التي صارت راهبة!

وفي الكتاب هذا، وفي غمرة توقيعه والترانيم، كانت كلمات، قدّمت لها من "العمل الراعويّ" الطالبة باميلا شمالي.

الأستاذ سهيل مطر رأى في الكتاب ثلاثة: حكاية حبّ، وقصائد شعريّة، ومجموعة صلوات. قال: الأب فادي عاشق، وحبيبته ليست كالحبيبات. وإنّي أتخيّله في ظلمة الليل يناجيها، يسكر، ينخطف... لقد كتب حكاية ريتّا بأسلوب وجدانيّ طافح بالحبّ. كتب قصيدة منقّطة بحبر المحبّة والوجدان. ثمّ إنّ من يقرأه فكأنّه يصلّي؛ لا كلمة، لا عبارة، لا سطر إلاّ وينبض بالقيم الأخلاقيّة...

وتحت عنوان «سيّدة السكون»، وبعد استعراض لأبرز المحطّات الفاتنة المثيرة في حياة ريتّا، انتهى **الأستاذ جورج مغامس** إلى القول: وحدَها، تلك الهالةُ، الهالةُ السريّةُ الغامضةُ الملتبسةُ اللامحدودةُ، العاصفةُ مثلَ غَضْبةِ بحرٍ أو هَيْجةِ صحراءٍ وزَلزلةِ بركان... هي ما تملَّكَني، ولن أعرفَ لها تفسيرًا.

فثمّةَ ما لا أدري تَنزّلَ عليّ؛ امتلأتُ به، وأكادُ أفيض.

فأنا، منذ ما أخذَتْني يدُ الأب فادي إليها، قبل الأمومةِ وفيها وبعدَها، وقبل الرهبنةِ وفيها وبعدَها، وقبل إعلانِ القداسةِ وفيه وبعدَه، على نحو ما يَزيدُ على الستّةِ عقودٍ من العمر والستّةِ قرونٍ من التاريخ... وأنا الجنينُ الزنبقيُّ في الرحمِ البتول!
ما لا يَقعُ تحت حسٍّ وعقلٍ وخيال، وهو في مُقامِ هَيولى الطفولة، هوذا ما صار يَسكنُني.
السكونُ سَكنَني.
فإنّيَ الروحُ المولودُ، كالروحِ الوالدِ، يُرفُّ على وجهِ المياه، ويقولُ: كنْ، فإذا ما أصنعُ حَسَنٌ جدًّا، فتُوافيني استراحةُ اليومِ السابع؛ ثمّ أَتَسَقّطُ عَدْنًا تفّاحةً تفّاحةً فوق المعاصي!
السكونُ سَكنَني.
فإنّيَ، بَعْدُ، أَرى سبعَ مناورَ وسبعةَ كواكبَ وكتابًا مختومًا بسبعةِ أختامٍ وكِنّارةً وأكوابًا من ذَهب...
السكونُ سَكنَني.
وإنّي أرى سماءً جديدةً وأرضًا جديدةً... أرضًا نازلةً من السماء!
أرى..
أرى الشجرةَ
شجرةَ الحياةِ
شجرةَ الشفاء!!
وكانتِ الرؤيا ممتلئةً بالسكون!!!
آهٍ ريتّا
يا سيّدةً تَكلّلتْ بتقوى الشعوبِ وصارتِ النشيدَ في قلوبها الوجيعة
أنتِ، يا مَن ضَممتِ إلى آلامِك آلامَهم، وحَضنتِ بأحلامِك أحلامَهم، وطَيّبتِ بورودِك أشواكَهم والأشواق
أيّتها الحبُّ كحَملٍ سِيقَ إلى الذبحِ
ولم يَفتحْ فاه
مَن ذا الذي يَذكرُ، لكِ عنكِ، كلمةً..
كلمةً واحدة؟
كلمةٌ واحدةٌ
لا
لم تُذكَرْ.
فلأنتِ سيّدةُ السكون
وهو السكونُ، سكونُكِ، يَسكنُني.
وإنّه الأب فادي بو شبل أَخذَني
إليكِ.

والرئيس العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة **الأباتي سمعان أبو عبدو**، مَن كان الاحتفال برعايته وقدّم باسم الجامعة درعَ القدّيسة ريتّا إلى الأب فادي، وبعد أن أشار إلى أخصّ ما في كتاب الأب فادي، قال: أمس، يوم كانت ذخائر القدّيسة تريزيا الطفل يسوع تجوب طرقات لبنان وشوارعه، كان هناك راهب مريميّ يسير وراءها ويرافقها منظّمًا الاستقبالات والصلوات، ويقول: تريزيا هي أختي الروحيّة. اليوم، بعد هذا الكتاب، عرفنا من هي أمّه الروحيّة، ولعلّنا في غدٍ نعرف من يكون أبوه الروحيّ ومن إخوته وأصدقاؤه الروحيّون!... وبانتظار ذلك، نقول: سلم قلمك وسلمت يداك يا أبونا فادي! شكرًا على ما قمت به من جهدٍ ليتكامل عملك تاريخيًّا، روحيًّا وأدبيًّا.

وأضاف: اليوم، وإذ نحن جميعًا، نحيا زمنًا صعبًا، زمن مستحيلات وتناقضات وصعوبات وتردّيات سياسيّة ووطنيّة واقتصاديّة وخلقيّة، في هذا الزمن إيّاه، نلتجئ معكم إلى شفيعة المستحيلات لعلّها تشفع بوطننا وبنا نحن المسيحيّين خصوصًا، فيلتئم شملنا ويسقط انقاسامنا ونواجه استحقاقاتنا الوطنيّة والاجتماعيّة بوعي وحكمة ومحبّة.

أمّا **الأب فادي بو شبل** فأعلن بعضًا من الأمور التي اعتبرها مهمّةً جدًّا في حياته المسيحيّة والرهبانيّة والكهنوتيّة:

أوّلاً: أنا راهب لا أحيا إلاّ بالحبّ، وهذا الحبّ الذي اختبره، هو فيض من حبّ الله الذي منحني أن أحياه مع إخوةٍ لي في السماء هم القدّيسون، ومعكم أنتم المدعوّين إلى القداسة والذين لا تزالون معي على الأرض.

ثانيًا: إن كانت رسالتي الأولى ككاهن إعلان الحقيقة، فإنّني أسعى بقدر استطاعتي، وبالاتكال على العناية الإلهيّة، أن أظهر الحقّ في كلّ مجالات عملي، حتّى يمجّد الناس أبانا السماويّ.

ثالثًا: إنّ الاختبار الروحيّ الذي نحياه مع إخوتنا القدّيسين يدفعنا لنسلّط الضوء عليه، علّ الآخرين يقبلون إلى من قدّسهم الآب بروحه ورفعهم على مذابح الكنيسة المقدّسة عروسة المسيح، فيقتدوا بهم، ومعنا يمجّدون القدّوس الذي يستريح بالقدّيسين.

ثمّ ذكر ثلاثًا من **النعم** التي نالها من القدّيسة ريتّا:

أوّلاً: عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري وقع حصار دير القمر الشهير، وكنت قبل أشهرٍ قليلةٍ قد وضعت صورةً للقدّيسة في منزلنا لإكرامها وطلب شفاعتها. ولمّا بُلّغنا بأنّ الجيش اللبنانيّ سوف ينقلنا بالطائرة المروحيّة إلى بيروت وبأنّنا لا نستطيع أن نأخذ معنا إلاّ حقيبة صغيرة، قلت للوالدة: قرّرت أخذ صورة القدّيسة الشفيعة معي، ولكنّها أجابت: «الصورة كبيرة وربّما لا يسمحون لك بذلك، لعلّه من الأفضل أن تصلّي للقدّيسة لكي نبقى في بيوتنا». وهكذا دخلت إلى الغرفة وصلّيت من أعماق قلبي والدموع تملأ عينيّ: «أيّتها القدّيسة الحبيبة، إمّا أن نذهب معًا أو نبقى معًا... وكان أن بقينا في منزلنا حتّى اليوم.

ثانيًا: عندما كنت أصلّي أمام جثمانها في كاسيا، شعرت بقوّة من الحبّ تجتاحني تجاه من أدعوها بحقّ أمّي الروحيّة، فتوجّهت إلى الأمّ الرئيسة، وطلبت منها أن تسمح لي بتخطّي الحاجز الحديديّ الذي يفصلني عن جثمان القدّيسة، فأذنت لي بدخول الحصن والوقوف بالقرب من قلب أمّي الروحيّة، والله وحدَه يعلم بذاك الشعور الذي عشته في تلك اللحظات.

ثالثًا: عندما كنت مريضًا في المستشفى اللبنانيّ، كانت للقدّيسة صورة في المبنى المجاور لغرفتي تهمس في أعماقي «عيني تسهر عليك».

وسأل أخيرًا: لماذا الكتاب؟ وأجاب: في ١٣ أيّار ٢٠٠٤ كنت أصلّي للقدّيسة ريتّا «أيّتها العظيمة، ساعديني لأحقّق ما أحلم به. ساعديني لأنّني مدين لك منذ صغري، وأريد أن أقدّم لك شيئًا جميلاً، وأرسم على وجهك بسمة جديدة».

لم تكن الفكرة واضحة. ولكنّ صلاتي تزايدت، فكتبت في عيد القدّيسة ريتّا، في ٢٢ أيّار ٢٠٠٤: «أكثر من ٦ مرّات زرت القدّيسة في كاسيا، وفي كلّ مرّة كان حبّي لها يتنامى. أريد بنعمة منكَ يا ربّ أن أحقّق ما أرغب فيه، وهو أن أكتب عنها لأحدّث إخوتي المؤمنين عن محبّتها وأحثّهم على الاقتداء بفضائلها. ساعدني يا روح الربّ لكي أكتب ما تريد أنت أن توصله للقرّاء، واجعل قلمي لا يكتب إلاّ الحقيقة التي تؤدّي إلى المحبّة الكاملة». واليوم، وبعد ثلاث سنوات، أرى أنّ صلاتي استجيبت.

منصور عيد في ألحان الكروم شاعر متصوّف

د. عصام الحوراني

يا من تمرُّ على تلك الدروب القصيّة، عند منحدرات «حرف العقاب» الجنوبيّة، عرِّج على كرم منصور عيد بدواليه الأربع والأربعين، المثقلة بعناقيد الخير، والبركة، والجمال، والإبداع، والفكر، والصوفية التائهة في عالم نورانيّ، حيث يذوب في بهاء شمس الإله. هناك ترى فتى ولهان، يقفز بين الكروم الغنيّة، الممتدّة على مدى العمر. يترنّح نشوان مع أنغام علويّة، لا تدركها الآذان، بل تسمعها القلوب والأعماق المرهفة. إنّها تختبئ في جوف الذات كما الخمر المعتّقة في خوابي غبار الزمان، ثمّ تعود لتطفو، بين الحين والآخر، على صفحات النفس. تلك الألحان تموج بها الروابي والمنحدرات الممتدّة من حرمون إلى «تومات نيحا»، فإلى «حرف العقاب»، وبتدّين اللقش، حيث الحقول، والكروم، والجلول، والمياه العذبة، وشذا الوزّال، وأزهار الزمزريق الأرجوانيّة، والصنوبر الشامخ، والمنحدرات الممتدّة صوب البحر.

◁ يا مهبط النور والأضواء، منحدرًا نحو المدى، سابحًا في لجّة اللجب

كرم منصور عيد، على درب الجمال، فلا تتردّد أيّها القارىء العزيز، عن زيارته. تعال نغرق معًا في حناياه، نتنقّل بين الدوالي، نوشوش العناقيد، ونتذوّق أشهى العنب، قبل أن تُحمل إلى المعصرة، ونشربها خمرًا شهيّة، وننتشي، ونصلّي:

◁ قومي نهلّلْ، يا كروم هيّا نحاكِ الأوحدا
الآبُ في خلدٍ يدوم والإبنُ صار مُجسّدا
والروحُ في قدسٍ يروم نورًا يضيئكِ عسجدا
هيّا نرتّل يا كروم صوتًا يغنّيه المدى

نعم، فإنّ هذه الصلاة تدفعنا لأن نتعرّف بعمق، وانجذاب العارف إلى الذات الإلهيّة، عبر عناقيد الدوالي، ومن خلال الصور المستقاة من تلك الأرض الطيّبة. كم هذه الألحان، مثقلة بالوجد، والحب الصافيّ، والعشق النقيّ، والأمل، والرجاء، والتوحُّد، والفيض، والأنوار البهيّة، والإنخطاف:

◁ إذ يضوع الطيبُ في النسْمِ العليلْ تسكرُ الأنفاسُ وجدًا يخطفُ
هلْ جِنانُ الله أشهى موئلٍ أم جِناني، في كرومي، المُتحفُ

إنّ بين الأفياء المضطربة وكروم منصور عيد، تجانسًا ورموزا وأسرارًا، فتلك الظلال المتبدّلة مع اللحظات، هي «**مثل الزمان مع الخلود/ يمشي ولا يتحلّل**». وها هي ترفل بأثوابها، تعلو وتسجد، وتغري، وتتحوّل لكي تتنقّى، وتندمج أخيرًا بالنرفانا. وهي تسعى دائمًا لأن تتوحّد بالخلود، أي بالذات الكليّة السرمديّة. منصور عيد، هنا، يحاكي نظريّة (الزمكان)، أي التحام الزمان بالمكان بحسب مقولة أينشتاين: «إن الإنسان الذي لم يختبر وقفة من وقفات الصوفيّة حيال ذلك العالم، ولم يشعر نحوه بالروعة، هو حيٌّ، حكمه حكم الميت». وأردف أينشتاين: «كنت كلما تعمّقت في نظريّة النسبيّة ازددت قربًا من منطقة الروح والإيمان».

ظلال منصور عيد عاشقة والهة متصوّفة أضناها الوجد. وكما قال «العطّار» رجل العرفان: «**ففنوا فيه أخيرًا إلى الأبد... وقد فنيَ الظلُّ في الشمس، والسلام ... كما ختم على الشمس النور...**» وقال شاعرنا في (ألحان الكروم):

◁ والعمر خطْفٌ في الوجود متبدّلٌ، متحوّلُ
إنّ النفوس إلى الخلود تمشي ولا تتحلّلُ

▼ عيد يتسلّم جائزة سعيد فيّاض عن ديوانه

تتجلّى الصوفيّة في شعر منصور عيد من خلال عناصر الطبيعة كلّها، لأنّ التصوّف هو نظريّة شمول، ووحدة معنويّة بين المخلوقات كلّها، ومع صور الحياة بألوانها المتنوّعة. فكلّ ما في كروم الشاعر من جماد وكائنات حيّة تترنّح بنشوة، وتغرق في عالم من الحبّ الصافي، والإشراق، والشوق، والوصال. فالعصفورالعاشق يحدّث الأنسام عمّا يختلج في أعماقه من الحبّ العميق، ويبوح بما يعتمل في ذاته من هيام ووجد:

◁ مـن قـبـاب الـدوح أجـراس الإيـاب ... أرجـعت عصـفـورنـا نـحـو الـظـلالْ
فـارتـمـى فـي الأيكِ غِـرًّا، عـاشِـقًـا ... نـاشِـدًا مـن قـلـبـه حُـبَّ الـجـمـال
شـاهـد الـمـغـرورُ فـي الـمـاء رسـومْ ... أبـدعـتـهـا ريشـة تـجـلـو الـخـيـال
فـانـتـشـى بـالـوجـد يشـدو مـغـرمًـا ... مسـتـهـامَ الـقـلـبِ مـن ذاك الـدلالْ

إنّ عصفور الشاعر يسعى مشتاقًا نحو الذات العليا، نحو الجمال الأسمى، وكأنّي به وقد تقمّص هُدهُد فريد الدين العطّار في (منطق الطير) الذي سعى جاهدًا برفقة ثلاثين من أصحابه لكي يصلوا إلى الحضرة الإلهيّة، وعندما وصلوا، ونظروا إليها، أي إلى (السيمُرغ) رأوا أنفسهم. وقيل لهم: إنّ هذه الحضرة مرآة، فمن جاءها لا يرى إلاّ نفسه. وعصفور منصور عيد أبصر نفسه على صفحة مياه الحوض، فأحبّ نفسه بنرجسيّة، وكان العشق وكان الفناء:

◁ فـهـوى فـي الـحـوض يـرجـو قـبـلـة ... يـرتـوي مـن رشـفـهـا الـقـلبُ الـكسـيـر

وكما يسعى النهر نحو البحر، حتّى يتّحد به ويصبح الإثنان واحدًا، هكذا كان أهل التصوّف يسعون إلى الذات الإلهيّة، ويكون الإتحاد. وها شاعرنا يقول:

◁ هـوذا الـنـبـع إيـابٌ لـلـبـحـارْ ... فـي غـمـار الـمـوج، سـكـبٌ يـعـدمْ

أو كما يقول الشاعر على لسان رابعة العدويّة:

◁ ربّـي، فَـورَدُك مـطـلـبـي والـمـنـتـهـى ... شـوقٌ وتـوقٌ واحـتـراقٌ قـد نشـا
مـن لـطـفـك الـمـعشـوق حبٌ فـي دمـي ... يـهـوى سـنـاءك تـائـقًـا مـتـعـطّـشـا
لا خـوف مـن ذنب أجـازاه ضـنـى ... لا رغـبـة فـي جـنّـة، لا أرتشـى
حسـبـي مـن الـدنـيـا رضـى أسـمـو بـه ... أنـا إن أشـا حـبًّـا فـذاتَـك مـا أشـا

كذلك، فإنّ (ألحان الصمت) في (كروم) شاعرنا كما (السمسمة) لدى الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، حيث يتّسع الزمان ويكبر، وتتعالى الأشياء وترتفع، ويشرق الكون بالألوان والصور، وتفيض الدنيا بالبركات والخيرات. والكون، بكلّ عناصره، لدى منصور عيد في هذه القصيدة، حركة تنبض حياة، وخيرًا، وأنوارًا سنيّة، وأحلامًا ورديّة، وربيعًا واعدًا، وأزهارًا منوّرة باسمة، وهيامًا، وعشقًا، فيقول:

◁ فـي رطـيـب الـكـرم سـكـرٌ وهـيـامْ ... وعـدُهُ الـكـأسُ وعشـقٌ مـؤنِـسُ
فـي خـفـايـا الـنـفس شـوقٌ وحـنـيـن ... تـنـطـوي الأفـكـارُ فـيـهـا، تـهـجُـسُ
فـي نِـداء الـروح شـوقٌ لـلـقـديـر ... دأبُـهُ الـنُّـعـمـى وخـلـدٌ يـقـدُسُ
هـوذا الـكـون نشـيـدٌ واحِـدٌ ... رجـعُـه هـمسٌ، وشـكـلٌ يُـلـمسُ

هكذا نعاين مع الشاعر، كما يعاين المتصوّفون العارفون، وحدة الوجود، والإنسجام القائم بين الكائنات كلّها؛ فكلّ الأشياء في هذه الدنيا، هي بالنسبة إلى أهل الصوفيّة أنغام سرمديّة تواكب ألحان الوجود. هي الألحان التي تنساب بخفّة ورشاقة ولطف، وتسعى هامسة في أذنيّ شاعرنا، وفي «خفايا النفس» و«نداء الروح»، (ألحان الكروم) التي هي شوق للقدير، للحضرة الإلهيّة.
يقول ابن عربي في (الفتوحات) ج ١: «العارف يخلق بهمّته الأشياء كالصور الخياليّة في مخيّلة المتصوّرين».

وقديمًا قال ابن رشد: «إنّ الإنسان هو وحده بين المخلوقات القادر على أن يحوّل الصور الكونيّة إلى معان ومدارك عقليّة هي مرآة هذا الوجود». وقد قال الشاعر:

يـا سـائـلاً عـن مـهـجـتـي بـعـد الـنـوى فـلـذاتُـهـا بَـوْحـي، وطـيـبُ مـنـاهـلـي

وتبقى (ألحان الكروم)، بصورها المتدفّقة، نبضًا حيًّا، ونغمة صافية تبعث الفرح المنشود، والسعادة الروحيّة القصوى، مع الإتحاد بالله سبحانه، وكما قال الشبلي: «التصوّف هو الجلوس مع الله بلا همّ». والطبيعة في (ألحان الكروم)، بعناصرها المتنوّعة، تفيض حبًّا، وراحة، وصفاء، وانسجامًا، ما تجعلنا نردّد مع الشاعر :

يـا نـافـخًـا فـي الـريـح أنـفـاسَ الـقـصـبْ جـرّح حـنـايـا مـهـجـتـي، واضـرمْ لـهـبْ

وارسـل لـهـاث الـصـدر نشـدًا لـلـعـلـى وأطـفـئ صـدى الألـحـان، وقّـع لـلـطـربْ

ويقول أيضًا:

إنـزع مـراسـي الـهـمَّ مـن بـحـر الـعـنـا واتـرع كـؤوسَ الـصـفـو لـثـمًـا يـرخـمُ

إلى أن يقول في القصيدة عينها:

يـا نـافـخًـا فـي الـريـح هـلّـلْ لـلـهُـدى واحمل حنين الأرض في عرض المدى

إنْ تـبـتـغِ لـلـحـبِّ بـيـتًـا لـلـصـلا فـانشـد جـوى، واجـعـلْ ضـلـوعـي مـعـبـدا

كذلك، فإنّنا نهيم مع الشاعر في أرجاء الطبيعة المتجسّدة بهاء وجمالاً وحبًّا في (بسمات الكون)، و(نحلة طائشة)، و(قوس قزح)، و(حلم الأرجوان)، و(زهرة الثلج)، و(أقحوانة)، و(حدّثتني الأنجم)، و(ذاك الصبيّ) الذي «يرمي خطاه على الدروب مناجيًا... أطياف ذيّاك الصبيّ الغافل». ففي كلّ زاوية من (ألحان الكروم)، وجه مشعٌّ، ونشوة عامرة، وغناء عذب، وشمس تشرق، وبدر يضيء...

هي الدنيا، لدى شاعرنا المفكّر، العارف، السابح في بحر هذا الوجود، المعاين لحركات الكون، والذي تمتلىء نفسه ظمأ، وشوقًا، وحبًّا... فنسمعه يردّد:

مـا الـعـمـرُ إلاّ رغـبـة تُـجـنـى وتُـروى بـالـوصـال

ويقول أيضًا:

فـإذا الشـوقُ لـهـيـبٌ مـوقـدٌ يشـعـلُ الـحـبَّ غـرامًـا، ووصـالْ

وإذا الـعـمـر سـرابٌ عـابـرٌ نـجـتـنـيـه خِـلسـةً، قـبـل الـزوال

(ألحان الكروم) باكورة نتاج الدكتور منصور عيد في القريض. حكايته مع الشعر رواها في المقدّمة، وفي قصيدتيه الأخيرتين: (جُنّ القريض)، و(هذا الزمان). كان شاعرًا يحمل في أعماقه طاقة كامنة، وحدسًا شعريًّا منذ البدايات، وهذا ما كنّا نلمسه في أدبه القصصيّ والروائيّ، ولكنّه كان ينصرف عنه بحياء، على الرغم من تعلّقه بالشعر الجيّد الموزون، وإذا بعبقر يناديه ويلحّ عليه، باعثًا في أعماقه الشوق لملاقاته، فيقول:

ألـفـيتُ نـفـسـي، وبـي شـوقٌ يـكـابـدُنـي عشـقُ الـجـمـال سـلـيـلُ الـخَـلـق والـحِـقـبِ

لـمّـا ارتـوتْ مـن رحـيـق الـحُـسـن خـابـيـتـي جُـنّ الـقـريـضُ، وهـزّت نـارُهُ عـصـبـي

غـنـيّـتُ عـمـرًا، وقـد طـابـت مـنـاهـلـه بـيـن الـكـروم، وفـي الـسـاحـاتِ والـلـعـبِ

وهكذا وُلد البيت الأوّل:

كـتـبـت اسـمـكِ فـي قـلـبـي، وفـي كـتـبـي هـاجـت شـجـونـي، وسـال الـحـبُّ فـي أدبـي

فيا شاعرنا العزيز، قرأنا شعرك فأحببناه كثيرًا، لأنّنا وجدنا فيه رشاقة وطلاوة، وعاطفة صادقة، وفكرًا لامعًا، وصوفيّة محبّبة، ولطافة في التخيّل. شعرك ليس فيه تكلّف، ولا تعقيد، ولا غموض، وليس في قوافيه قلق ولا نفور. هو يتدفّق سلاسة وابتكارًا؛ فمرحبًا، وأهلاً بك شاعرًا في دنيا الأدب، إلى جانب دنياك المبدعة، والمتفوّقة في عالم القصّة والرواية.

أحداث وحكّام في تاريخ لبنان

يُبرزُ هذا المصنَّفُ أهمَّ الأحداثِ المدنيّةِ والدينيّة في تاريخ لبنان على مدى عشرين قرنًا، بتعريفاتٍ موجزة، تقابُلها جداولُ اسميّةٌ ورقميّةٌ ملوّنة، هي جميعًا موصولةُ الحلقات، وتتيحُ، بسهولةٍ كليّةٍ، تبيّنَ مختلفِ المفاصلِ والمنعطفاتِ الأساسيّة في مسارِ هذا التاريخ.

المؤلّف: الأب عبدو أنطون
الطبعة: ٢٠٠٧
اللغة: العربيّة
عدد الصّفحات: ٥١

أين ذهب المجتمع اللبنانيّ؟
المواطنيّة بين الهويّة والعولمة

هذا الكتاب يتناول انعكاسات العولمة في العالم المعاصر على المجتمعات بمختلف أنواعها، فيسلّط الأضواء على تأثيرات التطوّر التكنولوجي وتضاعف السرعة في إطار كلّ من حركة المعارف وديناميّات السوق والاعلام والتواصل الإنسانيّ.
وتدور مواضيع الكتاب على الإشكاليّات الجديدة التي تمرّ بها المسألة المجتمعيّة في العالم اليوم نتيجة لهذا التطوّر، مع التركيز بصورة خاصّة على الحالة اللبنانيّة المتأزّمة بشكل خاصّ في الزمن الحاضر.
وعليه، يتطرّق الكتاب إلى الوسائل والصيغ الملائمة لمواجهة الديناميّات الجماعيّة الفئويّة القائمة في العالم المعاصر، توصّلاً إلى إعادة بناء دولة الغد ومجتمع الغد.
المشاركون: عبدو القاعي، الأب وليد موسى، أ. سهيل مطر، أ. جورج مغامس، د. منصور عيد، د. أنطوان مسرّة، د. نصري الصايغ، الأب بولس وهبه، أ. د. فيفيان نعيمه، أ. فرنسوا فرح، أ. إغناسيو رامونيه، أ. د. جاك بوشار، أ. د. ليليان بورشنتي بركات.

الطبعة: ٢٠٠٧
اللغة: العربيّة والفرنسيّة
عدد الصفحات: ١٥٨

اللبانيّون في ساحل العاج ١٩٠٠-١٩٨٦

يتمحور هذا الكتاب حول الهجرة اللبنانيّة إلى ساحل العاج من منطلق الانتماء الجغرافيّ، والأحوال المعيشيّة، وطرق التأقلم الاقتصاديّ والاجتماعيّ والدينيّ. فهو، بعد التعريف بلبنان وبساحل العاج، يسلّط الضوء على تاريخ التوجّه اللبنانيّ صوب أفريقيا وبواعثه، وعلى خصائص الهجرة إلى ساحل العاج تحديدًا، وما كان من نجاحات أو إعاقات أو تنوّعات في مختلف وجوه الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وبالتالي تأثير الحرب اللبنانيّة أخيرًا فيها.

والكتاب معزّز بجداول إحصائيّة حول الانتماء الجغرافيّ والدينيّ، والمستوى التعليميّ والمعيشيّ، والمشاركة في النهضة العمرانيّة والتنمية العامّة، فضلاً عن البواعث والتنوّعات. وهو يخلص إلى طرح اقتراحات عمليّة، لتعزيز وضعيّة هذه الهجرة، وبالتالي العلاقات الثّنائيّة بين لبنان وساحل العاج.

الكتاب، في الأساس، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع البشريّ- الاتنيّ. وهو بمثابة حلقة تاريخيّة مهمّة في سلسلة الأبحاث في الانتشار اللبنانيّ عمومًا، وفي أفريقيا فساحل العاج خصوصًا.

المؤلّفة: د. دنيا فيّاض طعّان
الطبعة: ٢٠٠٧
اللغة: العربيّة
عدد الصّفحات: ٢٢٣

Events and Governors in Lebanon's History

This book highlights the most important events in Lebanon's secular and religious history throughout twenty centuries, with brief profiles facing colored name and number tables, all linked, thus allowing the main lines and turning-points in the country's history to be easily perceived.
Author: Fr. Abdo Antoine
Edition: 2007
Language: Arabic
Number of pages: 51

What has the Lebanese Society Come to?
Citizenship between Identity and Globalization

The book relates the influence of globalization on different types of societies in the contemporary world. It sheds light on the effects of technological development and the rapid transmission of knowledge, market dynamics, media and human communication.
The themes of the book cover the social issues resulting from the above-mentioned developments, with particular emphasis on those involved in the present acute crisis in Lebanon.
The book puts forward the means and procedures appropriate for facing the sectarian group dynamics currently prevailing in the world, in order to rebuild tomorrow's state and tomorrow's society.
Co- authors: Abdo Al Kai, Fr. Walid Moussa, Mr. Souheil mattar, Mr. George Mghames, Dr. Mansour Eid, Dr. Antoine Messarra, Dr. Nasri Saygh, Fr. Boulos Wehbe, Prof. Viviane Naimy, Mr. François Farah, Mr. Ignacio Ramonet, Porf. Jacques Beauchard, Prof. Liliane Buccianti Barakat.
Edition: 2007
Language: Arabic, French
Number of pages: 158

Lebanese in the Ivory Coast 1900-1986

This book centers on the Lebanese emigration to the Ivory Coast from the perspective of geographic belonging, living conditions, and economic, social and religious adaptation. Following an introduction on Lebanon and the Ivory Coast, the book sheds light on the history and circumstances of emigration to Africa in general and the characteristics of this emigration to the Ivory Coast in particular. The book emphasizes the successes achieved and the obstacles faced by the Lebanese whether in the economic, social or political arenas; it also addresses the impact of the Lebanese war on the Lebanese community in the Ivory Coast.

The book is supported by statistical tables concerning geographic and religious attachment, as well as the level of education, the living conditions, and the participation in the prosperity and development of the county. The book ends with recommendations to support this emigrant community and to strengthen bilateral relations between Lebanon and the Ivory Coast.

The book was originally a Ph.D. dissertation in sociological ethnography and is considered an important historical source for studying Lebanese emigration in general and Lebanese emigration to Africa and the Ivory Coast in particular.

Author: Dr. Dunia Fayad Taan
Edition: 2007
Language: Arabic
Number of pages: 223

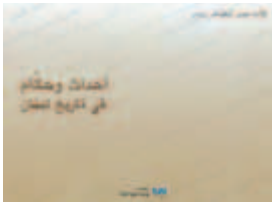

في خُطى مريم

من أربع وعشرين محطّةً في حياة العذراء مريم، نسجَ الأب بطرس طربيه أربعًا وعشرين لوحةً، هي خيرُ ممثّلٍ لها من بيت الآباء إلى بيت الآب، فإذا الكتابُ وقائعُ من زمانٍ ومكانٍ وأحداثٍ ونبوءاتٍ ودراسات ورسومات، صيغت بوجدانيّة تأمّليّة مفعمةٍ بروحانيّةٍ عاشقةٍ كثيرةِ التسليم...

المؤلّف: الأب بطرس طربيه
الطبعة: ٢٠٠٧
اللغة: العربيّة
عدد الصّفحات: ٢١٢

In the Footsteps of Mary

For the twenty-four stations of the life of the Blessed Virgin Mary, Fr. Boutros Tarabay has drawn twenty-four portraits that represent her in a vivid fashion on her way from her parents' home to the home of God. Thus, the book gives facts of time and place, with scenes, visions, studies and illustrations done with a spiritual meditation full of love and peace...

Author: Fr. Boutros Tarabay
Edition: 2007
Language: Arabic
Number of Pages: 212

Christian Education Series